الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا ......[illegible]......، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي /أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع: [signature]

التاريخ: ١٣/٦/٢٠١٢

العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والقصص الوارد فيها (قصتا مريم وعيسى عليهما السلام أنموذجاً)

إعداد

غدير عدنان حسين جبر

المشرف

الدكتور جهاد محمد فيصل النصيرات

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

حزيران 2012

قرار اللجنة

نوقشت هذه الرسالة (العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والقصص الوارد فيها (قصتا مريم وعيسى عليهما السلام أنموذجاً) يوم الإثنين الموافق ١٤-٥-٢٠١٢

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور: جهاد محمد فيصل النصيرات/ مشرفاً	....
أستاذ مشارك/ أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن.	
الدكتور: أحمد فريد أبو هزيم/ عضواً	....
أستاذ دكتور/ أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن.	
الدكتور: أحمد اسماعيل نوفل/ عضواً	....
أستاذ مشارك/ أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن.	
الدكتور: أمين المناسية/ عضواً	....
أستاذ دكتور/ أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن. جامعة مؤتة.	

الإهداء

إلى والدي الحبيب الذي غمرني بجوده وعطائه وحبه ... رمز البذل والعطاء

إلى والدتي الغالية التي أحاطتني بحبها وحنانها ... نبع الحب والحنان

إلى زوجي الذي كان لي عوناً في رسالتي

إلى أخي وأخواتي الأعزاء

إلى أخواتي في الله

أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة ، وشرفني بدراسة موضوع له صله بكتابه العزيز.

قال رسول الله ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[1] ، فبعد حمد الله وشكره أجد من واجبي أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان للدكتور الفاضل جهاد النصيرات لتفضله قبول الإشراف على هذه الرسالة، حيث بذل جهداً خيراً في تتبعه ، وأفادني بعلمه، وجاد علي بسعة صدره، وكان لنصائحه وملحوظاته أكبر الأثر في تمكيني من إتمام البحث وإخراجه على هذه الصورة.

والشكر موصول إلى أساتذتي الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحملوا عناء قراءتها، طامحة الإفادة من علمهم الرفيع وتوجيهاتهم القيمة.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأساتذتي في كلية الشريعة الذين تتلمذت على أيديهم، واغترفت من ينابيع علمهم، فجزاهم الله خير الجزاء.

[1] الترمذي السلمي، محمد بن عيسى(279)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، ، كتاب أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، حديث رقم 2020، وهذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، وسنده" حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا الربيع بن مسلم حدثنا محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ الحديث.

فهرس الموضوعات:

العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والقصص الوارد فيها (قصتا مريم وعيسى عليهما السلام أنموذجاً)

إعداد

غدير عدنان حسين جبر

المشرف

الدكتور جهاد محمد فيصل النصيرات

الملخص

تناولت هذه الدراسة العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والقصص الوارد فيها (قصتا مريم وعيسى عليهما السلام أنموذجاً) وذلك بالحديث عن العلاقة بين ورود مشاهد وحلقات من قصة مريم وعيسى عليهما السلام وبين الوحدة الموضوعية للسور التي ذُكرا فيها .

فتحدثت الدراسة في الفصل التمهيدي عن مقدمات حول القصص القرآني والوحدة الموضوعية ، بينت فيها مفهوم القصص القرآني وأهدافه ومنهج القرآن الكريم في عرضه، وعرضت كذلك معنى الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتفسير الموضوعي، والعلاقة بين الوحدة الموضوعية وعلم المناسبات والسياق القرآني، وأهمية دراسة الوحدة الموضوعية.

وتناولت الدراسة في الفصل الأول الحديث عن العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي ورد فيها ذكر مريم وعيسى عليهما السلام واختيار وترتيب القصص القرآني الوارد فيها ، وذلك في السور التي ذكرت فيها القصتان إشارةً أو إجمالاً، والسور التي ذكرت فيها القصتان تفصيلاً، وبينت أن القصتين وردتا في السور التي كانت أحداثها تدور حول قضية التوحيد ونفي الشرك والولد وإفراد الله سبحانه بالعبودية، وبيان كمال قدرته سبحانه وتعالى الدالة على التوحيد، وبيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، وكذلك بيان وحدة الرسالة ومصدر الوحي .

وبينت الدراسة في الفصل الثاني العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي ورد فيها ذكر مريم وعيسى عليهما السلام واختيار أسلوب عرض هذه القصة، وخلصت إلى أن أسلوب عرض قصة مريم وعيسى عليهما السلام اعتمد على وحدة وجو السورة التي ذكرا فيها.

أما الخاتمة فقد بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ، حمداً يليق بجلال ذاته وكمال صفاته، والصلاة والسلام على الرحمة المُهداه، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه المصطفاة المجتباه، وعلينا معهم بفضلك وكرمك وجودك ياالله.

فبعد حمد الله وشكره أجد من واجبي أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان للدكتور الفاضل جهاد النصيرات لتفضله قبول الإشراف على هذه الرسالة، حيث بذل جهداً خيراً في تتبعها ، وأفادني بعلمه، وجاد علي بسعة صدره، وكان لنصائحه وملحوظاته أكبر الأثر في تمكيني من إتمام البحث وإخراجه على هذه الصورة.

والشكر موصول إلى أساتذتي الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور أمين المناسية الذي تجشى وعثاء السفر لمانقشة هذه الرسالة بما يُثريها ويرفع من سويتها ، والأستاذ الدكتور أحمد نوفل ، والأستاذ الدكتور أحمد فريد أبو هزيم الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحملوا عناء قراءتها، طامحة الإفادة من علمهم الرفيع وتوجيهاتهم القيمة.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم دستور هذه الأمة ونبراسها، وطريقها إلى صلاحها وقوامها، وسبيلها إلى فلاحها ونجاحها، قال تعالى: { إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } سورة الإسراء آية 9، فهو بحر لا يُدرَك غَوره ، ولا تنفد دُرره ، ولا تنقضي عجائبه، وبُنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً، قال رسول الله ﷺ: (إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم ، إن هذا القرآن هو حبل الله وهو النور البين

والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاء لمن تبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد) ،[1] قال الدكتور دراز " فهو في لحن متنوع متجدد تنتقل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل على أوضاع مختلفة يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأمة، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد"، فكل سورة من سور القرآن الكريم تُعد " بُنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفاً "،[2] ، وبما أن قصص القرآن الذي شغل حيزاً واسعاً في سور القرآن الكريم، وهو موزع توزيعاً موضوعياً على السور القرآنية المكية منها والمدنية ، أسلوب من أساليب القرآن البالغة التأثير، وأداة عملية ناجحة لتربية النفس، وتقويم السلوك، وتصحيح الاعتقاد، وتوجيه الإنسان نحو عبادة الله الواحد الأحد، والخضوع لقدرة الله العظمى، وهيمنته التامة على هذا الوجود، فالقصة كما بين مطاوع " تخاطب العقل بأصدق منطق وأوضحه وهي في ذات الوقت تخاطب الوجدان والمشاعر بأقرب حديث إليها

---

[1] ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (235)، مصنف ابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، باب في التمسك بالقرآن، حديث رقم 3 وهذا الحديث رواه عبد الله عن رسول الله ﷺ .

[2] دراز ،محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، الكويت: دار القلم، ص131، 195

وأحبه"،[1] وورود هذا القصص في أي سورة من سور القرآن الكريم لا بُد أن يكون له وثيق الصلة بوحدة هذه السورة الكريمة حيث إن لكل سورة من سور القرآن الكريم غرض سيقت لبيانه، قال الكومي: "السورة القرآنية وحدة متكاملة وإن تعددت موضوعاتها، فهي تدور حول مركز ركيز يُسمى الغرض سواء أكان عاماً أو خاصاً" [2] فالقصة في القرآن الكريم تتميز بأنها تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجاً عضوياً لا مجال فيها للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، بحيث لو حذفنا القصة من موقعها الوارد في السورة لاختل المعنى، لأن القصة تسهم في بيان مضمون النص وإيضاحه للقارئ، فهي وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ومظهر من مظاهر بلاغته وبيانه، قال التهامي: " استخدم القرآن الكريم لتبليغ العقيدة ألوان البيان و فنون القول ، و لما كانت القصة أهم هذه الفنون، اعتمد القرآن فيها منهجاً محكماً لتنبيه الفكر بالملاحظة، واستثارة المشاعر بما قدمه من أخبار الأمم الماضية، و ما عرضه من عظمة الكون و أسرار النفس البشرية".[3]

وقد دفعني جمال نظم القرآن الكريم، وأسلوبه الفريد الذي امتاز به عن ما سواه من الكلام، والذي يأخذ بمجامع الأفئدة إلى البحث عن مكنون العلاقة بين ورود قصة عيسى ومريم _عليهما السلام_، وبين السور التي عُرضت فيها، وذلك لأن هذه القصة قد عُرضت مبسوطة في سور وأشير إليه إشارة أو جاءت موجزة في سور أخرى، وحتى السور التي بُسطت فيها عرضت حلقة من هذه القصة ولم تعرض كامل القصة.

---

[1] مطاوع، أ.د سعيد عطية علي،الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية، ط 1، 2006، ص219.

[2] الكومي، أحمد السيد،التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، القاهرة، دار الكتب العلمية، ص22.

[3] التهامي، نقرة، سيكلوحية القصة في القرآن،الشركة التونسية للتوزيع، 1971،ص258 .

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما مفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم وما دور القصة القرآنية في تحقيق تلك الوحدة؟
2. ما هي العلاقة بين المشاهد المنتقاه من قصتي مريم وعيسى _عليهما السلام_ وبين الوحدة الموضوعية في السور التي ذكرت فيها؟
3. ما هي العلاقة بين قصتي مريم وعيسى _عليهما السلام_ والقصص الأخرى في السور التي جاءت فيها؟
4. هل لموضوعات السور القرآنية التي ذكرت فيها قصتا مريم وعيسى _عليهما السلام_ أثر في تنوع الأسلوب الذي وردت فيه؟

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

1. إبراز دور الوحدة الموضوعية في بيان اختصاص كل سورة قرآنية بشخصية مستقلة عن غيرها من السور مضموناً وأسلوباً.
2. تأكيد التلازم بين موضوع السور التي وردت فيها قصتا مريم وعيسى _عليهما السلام_ والمشاهد المنتقاه من هذا القصص.
3. بيان العلاقة بين قصتي مريم وعيسى _عليهما السلام_ والقصص الأخرى في السور التي جاءت فيها.
4. تعليل التباين في أسلوب عرض هاتين القصتين في ضوء اختصاص كل سورة بموضوع و شخصية مستقلين.
5. إضافة دراسة جديدة تتحدث عن دور الوحدة الموضوعية في اختيار وانتقاء القصص القرآني في السورة وطريقة عرضه.

الدراسات السابقة :

يمكن تقسيم الدراسات السابقة التي تناولت موضوع هذه الدراسة بحسب عنوانها وحدودها ومدياتها إلى الأقسام التالية:

أولاً: ما يتعلق بالقصص القرآني:

هناك دراسات ومصنفات كثيرة تناولت القصص القرآني على وجه العموم تعد من مصادر هذه الدراسة أقدمها وعلى رأسها ما كتبه سيد قطب رحمه الله في التصوير الفني منها:
قصص القرآن لمحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي والسيد شحاته 1969، و سيكلوجية القصة في القرآن الكريم ، لتهامي نقرة1971 ونظرات في أحسن القصص لمحمد السيد الوكيل، وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار، والقصة في القرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي 1996، و القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ل د.صلاح الخالدي 1998، والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه ،لعبد الكريم الخطيب، و قصص القرآن الكريم، ل أد.فضل حسن عباس2010، وغيرها كثير.

ومنها ما يتعلق بالقصص القرآني بشكل خاص:

- نهاية عيسى _عليه السلام_ وعودته في القرآن والإنجيل، هنا عبد الغني عبد النبي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، إشراف د. خضر عبد اللطيف سوندك،سنة 2007.

تحدثت الباحثة عن الجانب النظري من حياتهما _عليهما السلام_، فتحدثت عن اصطفاء مريم _عليها السلام_، وحملها بعيسى_عليهما السلام_، وعن ميلاده ورسالته _عليه السلام_، وعن قضية الصلب ، وعن رفعه _عليه السلام_، وعودته آخر الزمان، وهذا ما تشترك به هذه الدراسة مع دراستي إلا أن هذه الدراسة تمتاز ببيان العلاقة بين ورود هذه المشاهد وبين الوحدة الموضوعية للسور التي ذُكرت فيها ، وكذلك بيان العلاقة بينها وبين القصص الوارد في ذات السور، وبيان أسلوب العرض لهذه اللقطات المنتقاه.

- مريم ابنة عمران في المسيحية والإسلام دراسة مقارنة، عوني فتحي سليم المصطفى، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، إشراف أد.محمد أحمد الخطيب، 2008.

تحدث الباحث عن الجانب النظري من حياتها _عليها السلام_، حيث تحدث نسبها ونشأتها وحملها بعيسى_عليهما السلام_، وعن وفاتها في المسيحية وفي الإسلام ثم عقد مقارنة بينهما في النظرة إلى مريم _عليها السلام_، وتشترك هذه الدراسة مع دراستي في بيان الجانب النظري من حياتهما _عليهما السلام_، إلا أن هذه الدراسة تمتاز ببيان العلاقة بين ورود هذه المشاهد وبين الوحدة الموضوعية للسور التي ذُكرت فيها ، وكذلك بيان العلاقة بينها وبين القصص الوارد في ذات السور، وبيان أسلوب العرض لهذه اللقطات المنتقاة.

ثانياً: دراسات تحدثت عن الوحدة الموضوعية :

هناك دراسات تناولت الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم على وجه العموم ومنها:

- الوحدة الموضوعية في القرآن ، محمد محمود حجازي ، دار الكتب الحديث، 1970.

تحدث المؤلف عن الوحدة الموضوعية في بعض السور، وعن تكرار الموضوع الواحد في القرآن ، وعن القصة القرآنية في القرآن ،وعن اسلوب القصص القرآني، وعن الحوار في القصص القرآني، وعن التكرار في القصص القرآني، كما تحد ث عن القول الحق في السيد المسيح من وجهة نظر القرآن الكريم، وذلك بذكر الآيات التي ورد فيها ذكره _ عليه السلام_ وفي أي سورة، وتتميز هذه الدراسة بذكر العلاقة بين اللقطات الواردة عن مريم وعيسى _عليهما السلام_ وبين الوحدة الوضوعية في السور التي ذُكرا فيها، وكذلك بيان العلاقة بين هذه المشاهد المنتقاه وبين حلقات القصص الأخرى الواردة في السور التي ذُكرا فيها، وكذلك بيان أسلوب العرض لهذه اللقطات المنتقاه.

- دلالة السياق في القصص القرآني ، محمد عبد الله العبيدي ،إصدار وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، 2004.

اهتمت الدراسة بالجانب النظري لموضوع السياق من خلال مفهومه وخصائصه وأنواعه وضوابطه، وعلاقته بعلوم القرآن الأخرى كالوحدة الموضوعية وعلم المناسبات، وبيان دلالة السياق في تماسك النص في قضيتي التناسب بين السور والتكرار، وتشترك هذه الدراسة مع دراستي في الجانب النظري المتعلق ببيان العلاقة بين الوحدة الموضوعية وعلوم القرآن الأخرى كالتفسير الموضوعي، وعلم المناسبات، والسياق القرآني، وبيان تماسك النص، وامتازت هذه الدراسة بإيراد مثال على تماسك النص وذلك بذكر العلاقة بين اللقطات الواردة عن مريم وعيسى _عليهما السلام_ وبين الوحدة الوضوعية في السور التي ذُكرا فيها، وكذلك بيان العلاقة بين هذه المشاهد المنتقاه وبين حلقات القصص الأخرى الواردة في السور التي ذُكرا فيها، وكذلك بيان أسلوب العرض لهذه اللقطات المنتقاه.

- القصة القرآنية ومناسبتها للسياق القرآني، بثينة محمود الملكاوي، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية ، إشراف د. حسيب السامرائي ، سنة 2000.

تحدثت الباحثة في رسالتها عن أغراض القصة وخصائصها وعناصرها وتحدثت عن السياق القرآني وعن التناسق المعنوي بين القصة وسياقها وأوردت على ذلك أمثلة قصة أدم _ عليه السلام_ وقصة موسى _ عليه السلام _ فذكرت مناسبة ما عرض من القصة مع سياق السورة التي وردت فيها ومناسبة التعبير عن القصة مع سياق السور التي وردت فيها، وتشترك هذه الدراسة مع دراستي في الحديث عن أغراض القصة وخصائصها وعناصرها والحديث عن التناسق المعنوي بين القصة وسياقها، إلا أنها تحدثت عن قصة أدم _ عليه السلام_ وقصة موسى _ عليه السلام _ وذكرت مناسبة ما عرض من القصة مع سياق

السورة التي وردت فيها ومناسبة التعبير عن القصة مع سياق السور التي وردت فيها، وتحدثت هذه الدراسة عن العلاقة بين اللقطات الواردة عن مريم وعيسى _عليهما السلام_ وبين الوحدة الوضوعية في السور التي ذُكرا فيها، وكذلك بيان العلاقة بين هذه المشاهد المنتقاه وبين حلقات القصص الأخرى الواردة في السور التي ذُكرا فيها، وكذلك بيان أسلوب العرض لهذه اللقطات المنتقاه.

وهناك دراسات تناولت الوحدة الموضوعية في السور مدار الدراسة ومنها :

- سورة الزخرف دراسة تحليلية موضوعية، محمد يوسف أحمد عبابنة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، إشراف أد. أحمد محمد شكري، 1996.

تحدث الباحث عن اسم السورة وعدد آياتها ومميزاتها، وعن منهجية السورة وخصائصها، كما تحدث الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة، وشرع في تفسير السورة الكريمة تفسيراً تحليلياً، وتشترك هذه الدراسة مع دراستي في بيان الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة، إلا أن هذه الدراسة امتازت ببيان العلاقة بين اللقطات الواردة عن مريم وعيسى _عليهما السلام_ وبين الوحدة الوضوعية في هذه السورة وفي جميع السور التي ذُكرا فيها، و بيان العلاقة بين هذه المشاهد المنتقاه وبين حلقات القصص الأخرى الواردة في السور التي ذُكرا فيها، و بيان أسلوب العرض لهذه اللقطات المنتقاه.

- خصائص التعبير البياني في سورة آل عمران، إبراهيم خليل أبو غالية، رسالة ماجستير، جامعة القدس، إشراف د.حسين الدراويش، 2001.

تحدث الباحث عن التعبير البياني القرآني، وعن نظرية النظم ، وعن الجملة الخبرية والإنشائية، وعن التعبير البياني في العلوم الأخرى، وعن الخصائص المميزة لسورة القرآن وهذا ما يشترك مع دراستي إلا أن هذه الدراسة امتازت ببيان العلاقة بين اللقطات الواردة عن

مريم وعيسى _عليهما السلام_ وبين الوحدة الوضوعية في هذه السورة وفي جميع السور التي ذُكرا فيها، و بيان العلاقة بين هذه المشاهد المنتقاه وبين حلقات القصص الأخرى الواردة في السور التي ذُكرا فيها، و بيان أسلوب العرض لهذه اللقطات المنتقاه.

- التفسير الموضوعي لسورة مريم ، أحمد محمد الشرقاوي ، دار السلام، 2007.

تحدث المؤلف عن اسم السورة، وفضائلها، ومحورها والمناسبات في السورة وتحدث عن الرحمة التي ظللتها ، وعن العلاقة بين القصص الوارد فيها ومحور السورة، وامتازت هذه الدراسة بمزيد من التفصيل في ذكر العلاقة بين اللقطات الواردة عن مريم وعيسى _عليهما السلام_ وبين الوحدة الوضوعية في هذه السورة وفي جميع السور التي ذُكرا فيها، و بيان العلاقة بين هذه المشاهد المنتقاه وبين حلقات القصص الأخرى الواردة في السور التي ذُكرا فيها، و بيان أسلوب العرض لهذه اللقطات المنتقاه.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

1. أنها تتناول الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والذي يُعد من أهم دعائم التفسير.
2. أها تربط بين الوحدة الموضوعية وأثرها في انتقاء القصص الوارد في السورة، وكذلك في اختيار أسلوب العرض لذلك القصص.
3. عدم وجود دراسات سابقة _فيما أعلم_ تناولت العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسور التي ورد فيها ذكر مريم وعيسى _عليهما السلام_، وبين انتقاء تلك المشاهد والحلقات ، وترابطها مع غيرها من القصص الوارد في ذات السور.

منهج البحث:

وقد استدعت طبيعة هذه الدراسة استخدام المنهج الاستقرائي للآيات القرآنية التي ورد فيها القصص القرآني المتحدث عنها في هذا البحث والمنهج التحليلي والاستنباطي لورود هذه القصة دون غيرها من القصص في هذه السورة وفي هذا الموقع من السورة وعلاقتها بالآيات التي وردت في السورة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسمه إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة

المقدمة: تحدثت فيها عن أسباب اختيار البحث، والمنهج الذي ارتضيته، والأهداف المرجوة منه، والدراسات السابقة ، وخطة البحث.

الفصل (التمهيدي): مقدمات حول القصص القرآني والوحدة الموضوعية. وقد تضمن مبحثين:

المبحث الأول: القصص القرآني: أهدافه ومنهج القرآن الكريم في عرضه. ومطالبه:

المطلب الأول: مفهوم القصة في القرآن الكريم.المطلب الثاني: أهداف القصص القرآني

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في عرض القصص القرآني.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم. ومطالبه:

المطلب الأول: معنى الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتفسير الموضوعي وعلم المناسبات والسياق القرآني.

المطلب الثاني: .أهمية دراسة الوحدة الموضوعية للسور القرآنية.

الفصل الأول: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي وردت فيها ذكر مريم وعيسى _عليهما السلام_ واختيار وترتيب القصص القرآني الوارد فيها.

وقد تضمن مبحثين:

المبحث الأول: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي وردت فيها ذكر مريم وعيسى _عليهما السلام- واختيار القصص القرآني الوارد فيها. ومطالبه:

المطلب الأول: السور التي ذكرت فيها القصتان إشارةً أو إجمالاً:

المطلب الثاني: السور التي ذكرت فيها القصتان تفصيلاً:

المبحث الثاني: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي وردت فيها ذكر مريم وعيسى _عليهما السلام_ وترتيب القصص القرآني الوارد فيها. ومطالبه:

المطلب الأول: السور التي ذكرت فيها القصتان إشارةً أو إجمالاً.

المطلب الثاني: السور التي ذكرت فيها القصتان تفصيلاً.

الفصل الثاني: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي وردت فيها ذكر مريم وعيسى _عليهما السلام_ وطريقة عرض القصص القرآني الوارد فيها.

وقد تضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض ولادة مريم وعيسى عليهما السلام وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها. ومطالبه:

المطلب الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض ولادة ونشأة مريم عليها السلام وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها

المطلب الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض ولادة عيسى عليهما السلام وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها .

المبحث الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض نبوته عليه السلام ومعجزاته وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها. ومطالبه:

المطلب الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض نبوته عليه السلام، وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المطلب الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض معجزاته عليه السلام، وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المطلب الثالث: طريقة القرآن الكريم في عرض عبوديته عليه السلام لله سبحانه ودعوته إلى التوحيد وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المبحث الثالث: طريقة القرآن الكريم في عرض نفي دعوى التثليث ونفي قتل عيسى عليه السَّلام وصلبه وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردتا فيها ومطالبه:

المطلب الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض نفي دعوى التثليث وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المطلب الثاني طريقة القرآن الكريم في عرض نفي قتل عيسى عليه السَّلام وصلبه وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

الخاتمة : وفيها تعرض الباحثة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وأهم التوصيات.

وأخيراً قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

الفصل (التمهيدي): مقدمات حول القصص القرآني والوحدة الموضوعية.

ويتضمن:

المبحث الأول: القصص القرآني: مفهومه وأهدافه ومنهج القرآن الكريم في عرضه.

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم القصة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أهداف القصص القرآني.

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في عرض القصص القرآني.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم .

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: معنى الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتفسير الموضوعي وعلم المناسبات والسياق القرآني.

المطلب الثاني: أهمية دراسة الوحدة الموضوعية للسور القرآنية

المبحث الأول: القصص القرآني: مفهومه وأهدافه ومنهج القرآن الكريم في عرضه.

مقدمة:

تشغل القصة القرآنية مكانة كبيرة من كتاب الله تعالى، وذلك لدورها في الدعوة وحسن التأثير ، فالقصة جزء من نسيج القرآن القوي، فهي تطرق المسامع بشغف وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر فلا تمل ولا تكد، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزهار والثمار، فهي سراج ينير السبيل للهدى، ونسيج مكين به يُحتذى ، والقصة تأتي في المكان المحدد لها وتؤدي الغرض المراد منها على أكمل وجه وبأوضح بيان، قال سيد قطب رحمه الله : " يرد القصص القرآني في مواضيع ومناسبات ، وهذه المناسبات التي يُساق القصص من أجلها هي التي تحدد مسار القصة، والحلقة التي تُعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدى بها تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تُعرض فيه، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي وتحقق غايتها النفسية وتُلقي إيقاعها المطلوب ولذلك لم يلتزم القرآن الكريم بأسلوب واحد في عرض قصصه"، [1] فهي تمتزج بموضوع السورة امتزاجاً عضوياً لا مجال فيه للفصل بينها وبين غيرها من مجموع موضوعات السورة بل إن هذه القصة تجيء في معرض الاستشهاد على الأمر الذي تعرض له السورة، كما أن للقصة أثراً عميقاً فى النفوس ، وما من شيء أشد أثراً على النفوس من أسلوب القصة، لما تحتويه من عناصر التشويق و جوانب الاعتبار والاتعاظ ، فهي وسيلة عظيمة من وسائل تربية الأمة وتثبيتها على طريق الحق، قال دراز: " لما سبقت كلمته أن يصون علينا نفائس العلوم التي أودعها هذا الكتاب الكريم قضت حكمته أن يختار لها صواناً يحببها إلى الناس بعذوبته ويغريهم عليها بطلاوته ويكون بمنزلة الحداء يستحث النفوس على السير إليها ويهون عليها

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق ، القاهرة، ط35، 2005، م1، ج1، ص55.

وعثاء السفر في طلب كمالها لا جرم اصطفى لها من هذا اللسان العربي المبين ذلك القالب العذب الجميل ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبدا في أفواه الناس وآذانهم ما دامت فيهم حاسة تذوق وحاسة تسمع وإن لم يكن لأكثرهم قلوب يفقهون بها حقيقة سره وينفذون بها إلى بعيد غوره إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "،[1] فهي كما بين الدالي " تستهوي النفوس البشرية لما بها من عناصر التشويق و أساليب الاستمالة اعتمدها المنهج القرآني فالتقى الغرض الديني بالغرض الفني لأن القصة صورة من صور البيان العربي، ووسيلة من وسائل نشر الدعوة، فضلاً أن لكل قصة شخصية مميزة و روحاً متفردة يعيش معها المتلقي كما لو كان يعيش عصرها و يشارك الأحداث و الحوار و الصراع ففي القصة القرآنية ثروة من الحقائق و المعارف، و ثروة من التصورات و التوجيهات" .[2]

المطلب الأول: مفهوم القصة في القرآن الكريم:

القصة لغةً :

تدور معاني مادة (قص) حول تتبع الأثر، قال ابن فارس: "القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبُّع الشَّيء. من ذلك قولهم: اقتصَصْتُ الأثَر، إذا تتبَّعته ومن الباب القِصة والقَصص، كل ذلك يُتَتَبَّع فيذكر ومن الباب قص الشعر وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها فصارت

---

[1] دراز ،محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، الكويت: دار القلم، 1960، ص133.

[2] الدالي، محمد، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، مون للطباعة والتجليد، ط1،2001 ، ص15،18.

الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقتها "[1]، وقال العسكري: " أصل القصص في العربية اتباع الشيء الشيء، وسُمي الخبر الطويل قصصا لأن بعضه يتبع بعضاً حتى يطول، وهذه قصة الرجل يعني الخبر من مجموع أمره، وسُميت القصة لأنها يتبع بعضها بعضاً حتى تحتوي جميع أمره".[2]

كما تدل كلمة القصص على الأخبار المتتبعة ، قال الراغب الأصفهاني: "القصص: الأخبار المتتبعة، والقِصاص: تتبُّع الدم بالقَوَد، قال تعالى : {وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ } سورة البقرة آية 196 ، {.. وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ .. ﴿٤٥﴾ } سورة المائدة آية 45، ويقال: قص فلان فلاناً، وضربه ضرباً، فأقصه، أي أدناه من الموت. "[3]

ودلت كذلك على القطع، قال ابن منظور: " أَصل القَص القطع. يقال: قصصت ما بينهما أَي قطعت."[4]

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا،(395)،معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل،ط1، ج 5، ص 11. وينظر الفيروز أبادي، مجد الدين يعقوب ين محمد بين إبراهيم بن عمر الشيرازي،(817) القاموس المحيط، تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، ص 1413-1414.

[2] العسكري، أبو هلال، (1005) الفروق اللغوية، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي،دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص 29-30.

[3] الراغب الأصفهاني،أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل (502)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم ، دمشق ،ط1، 1995، ص 404.

[4] ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(711)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، مجلد 11، ص 190-193.

كما دلت كلمة القصص على إيراد الحديث وتوضيحه وبيان روايته والإخبار عنه قال ابن منظور: " القص: البيان، والقاص: الذي يأْتي بالقصة على وجهها كأَنه يتتبع معانيها وأَلفاظها."

- بناءً على ما سبق يتبين أن مادة (القصص) تدور حول التتبع سواء أكان التتبع مادياً كقص الأثر أي تتبعه واقتفاؤه ومنه قوله تعالى: { فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ } **سورة** الكهف آية 64 أي: رَجَعا من الطَّريقِ الذي سلَكاهُ يَقُصَّانِ الأَثَرَ، وقوله تعالى: { وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾ } **سورة** القصص آية 11، قصيه " بمعنى اتبعي أثره، وقص الظفر، وقص الشعر أي قطعه بعد تتبع أطرافه ، أم كان معنوياً كقص الأخبار وقص الكلام، فالقصص بفتح القاف :"الخبر المقصوص المتتبع "[1] ، والقِصَص، بكسر القاف: "جمع القِصّة التي تكتب"[2] فالقاصُّ عندما يروي القصة فهو يَتَتَبّع معانيَها وأَلفاظَها .

القصة اصطلاحاً :

من أقدم التعريفات التي وقعت عليها الدراسة في تعريف القصص ما ذكره الإمام الرازي رحمه الله فقال: " القصص مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة " [3] فضمَن _رحمه الله_ تعريفه للقصص بذكر أهم أهدافه، وكأنه بذلك يقول: إن الغرض الأساس من ذكر القصص هو الهداية وليس مجرد التسلية أو غرض القص.

---

[1] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني عرض أحداث وتحليل وقائع، دار القلم،عمان، 1998، ج1، ص20.

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مجلد 11، ص 191.

[3] الرازي، فخر الدين،(606)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1995،ج3، ص75.

وقال الدكتور بلبول: القصص القرآني هو: "إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات من كائنات بشرية أو غير بشرية بهدف الهداية والعبرة".[1]

ويرى د. عبد الكريم الخطيب أن " القصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمان... فهو أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق ...هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدَث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والباطل وبين مواكب النور وجحافل الظلام".[2]

- يتبين مما سبق وجه العلاقة بين المدلولات اللغوية التي تدور حولها مادة (قصَ) وبين المعاني الاصطلاحية لها فالقصة القرآنية هي :الأخبار الماضية التي قصها القرآن الكريم على النبي ﷺ سواء أكانت تتعلق بالأنبياء السابقين أم بغيرهم.

المطلب الثاني: أهداف القصص القرآني.

القصة في القرآن الكريم تُساق لغايات معينة، وأهداف محددة، ومراميَ مقصودة، تتظافر فيها عناصر القصة في تسلسل محكم و تناسق بديع لتجسيد هذه العبرة ، قال الشيخ محمد الغزالي: "القرآن الكريم يتناول قصص الأنبياء والمرسلين ويذكر طرفاً من معجزاتهم، ومن المُقرر أنه ليس الغرض من ذلك استقراء الوقائع، ولا تحديد الأزمان، ولا تناول الظروف والملابسات، ولا تسجيل مجرد للحوادث والأشخاص، وإنما الغرض من ذلك الهداية والعِظة والعبرة، وتقرير قواعد هذه الهداية في

---

[1] بلبول ، إبراهيم محمد عبده ، القصص القرآني، رسالة دكتوراه في التفسير، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، مصر، ص36، وينظر العدوي،محمد خير محمود، معالم القصة في القرآن الكريم، دار العدوي،عمان،الأردن، 1988،ص33 .

[2] الخطيب، عبد الكريم،القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار الفكر العربي، 1974، ص 41-42.

النفوس بذكر هذا القصص وعرض وقائعها أمام السامعين والقارئين، و القرآن الكريم يُصرح بهذا في وضوح"[1] ، وقد تعددت أهداف القصص القرآني نظراً لتعدد مقاصد القرآن الكريم ، فالأهداف المُتوخاه من القصص القرآني هي ذاتها أهداف القرآن الكريم، فالقصة القرآنية كما يقول الشهيد سيد قطب " ليست عملا فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه _ كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق _ إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية"[2] وهي أكثر وسائل القرآن الكريم تأثيراً في النفوس ووقعاً عميقاً في القلوب لما بها من عناصر التشويق و أساليب الاستمالة، قال أ.د فضل عباس رحمه الله: " القصة القرآنية قصة هادفة فهي ليست مجرد حلية للنص القرآني أو ترفاً فنياً أو تأريخاً لمجرد التأريخ أو سرداً لمجرد التسلية والمتعة الفنية ، وهي وإن كانت ذات خصائص فنية راقية وتأثير فذ في المتلقي – فإنها صدق لا خيال فيه وحق لا زيف فيه، وبما أن مصدر القصة القرآنية هو القرآن نفسه وهو الوحي الإلهي– فالأهداف المتوخاه منها هي ذاتها المتوخاه من أشكال التعبير الأخرى في القرآن غير أن للقصة تأثيراً نفسياً ووجدانياً ذا طابع خاص لما فيها من عرض حي للفكرة " ،[3] وهذه الأهداف منها ما عبر عنها القرآن الكريم صراحة كقوله تعالى: { فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ } سورة الأعراف آية 176 وقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ

---

[1] الغزالي،محمد، نظرات في القرآن، ط5، دار الشروق ص117.

[2] قطب، سيد ،التصوير الفني في القرآن ، دار المعارف،1956، ص120–121.

[3] عباس ،أ.د. ،فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار النفائس، ط3، 2010، ص 43–44 .

وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ } سورة يوسف آية111، فقد بين سبحانه أنه قصَ علينا هذا القصص لنتفكر ونتدبر في أحداثها لتكون عظة وعبرة لنا بما جرى للسابقين المكذبين من هلاك ودمار حتى لا يؤول حالنا كحالهم ، وهي كذلك هدى ورحمة لنا بإرشادنا إلى الطريق المستقيم وتقديم القدوة والأسوة الحسنة، وكذلك سيق هذا القصص لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت قلوب المؤمنين كذلك، من خلال عرض ما عاناه الأنبياء السابقون ومن آمن معهم من أذى وتعذيب وبيان صبرهم على ذلك ، وبيان سنة الله سبحانه في نصر أنبياءه وإهلاكه لأعدائهم، قال تعالى :{ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ } سورة هود ، وهناك أهداف أخرى يمكن أن تستنبط من هذه الأهداف ومن آيات أخرى في القرآن الكريم. [1]

---

[1] لا بد من الإشارة إلى أن الشهيد سيد قطب هو أول من تطرق إلى عرض هذه الأهداف وطرحها في كتابه التصوير الفني في القرآن وأن من جاء بعده أفاد منه، وللإفادة يُنظر كل من خلف الله، محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1965، ص230– 234، و طبارة، عفيف عبد الفتاح، اليهود في القرآن، دار العلم للملايين، ط 1، 1965، ص250–252، والبوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن تأملات علمية،مؤسسة الرسالة،ط 1، 1966، ص 192، وعامر، فتحي أحمد، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1976، ص228 وقطب، محمد، دراسات قرآنية، دار الشروق، ط2، 1980، ص100–105 و حسن، محمود السيد، روائع الإعجاز في القصص القرآني، المكتب الجامعي الحديث، ط 1، 1981، ص60 –62 ، والعمري،أحمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، ط 1، 1986، ص 2–4، قطب، محمد عبد العال، القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن ، دار قباء، القاهرة، 2001، ص

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في عرض القصص القرآني.

أشار سيد قطب _رحمه الله_ لبعض هذه المناهج القرآنية التي اتبعها القرآن الكريم في عرض القصص القرآني _وإن عدها من الخصائص الفنية للقصة القرآنية وربما عُذره في ذلك عدم استقرار المفاهيم والمصطلحات في ذلك الوقت_ وهي:

1. تنوع طريقة العرض:

سلك القرآن الكريم أسلوباً خاصاً في عرضه للقصص القرآني فلم يجرِ في أسلوبه على نمط واحد معين في قصصه كلها بل نوع في طريقة عرضه للقصص فلم يذكر القصة كاملة في موضع واحد في سورة واحدة من سوره بل كان ينتقي من مشاهد القصة وحلقاتها ما يتناسب مع الغرض الذي تسعى السورة التي وردت فيها القصة إلى تحقيقه ولذلك نرى تنويعاً في عرض مشاهد القصص المنتقاه وفي طرائقه في عرض ذلك القصص[1].

قال د.إبراهيم عوضين: " امتاز القرآن الكريم بأسلوبه المعجز الذي تنوعت فيه طرائق البيان وتعددت فيه أوجه الخطاب وهو في عرض قصصه لم يلتزم نمطاً معيناً واحدا بل تنوعت الطرائق تبعاً لتنوع الأغراض ولختلفت الوسائل البيانية تبعاً لتنوع الطرائق"[2]

2. إقامة العرض على التصوير:

203، ، و الصديق، محمد الصالح، مقاصد القرآن، دار الفجر، ط 1، 2004، ص444 –446، وقطب، محمد عبد العال، القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن ، ص1997–1998.

[1] يُنظر قطب، سيد ،التصوير الفني في القرآن ، ص 134–136.

[2] عوضين، د.إبراهيم، البيان القصصي في القرآن الكريم، القاهرة: مطبعة السعادة ،ط 1، 1985، ص123.

الأسلوب التصويري من أبرز الأساليب التي اتخذها القرآن الكريم وسيلة في بيان مراميه وأهدافه المرجوة لما له من أثر بالغ في قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم وأفهامهم.

قال سيد قطب رحمه الله: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية ؛ وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور ؛ وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ، .... ثم يقول: " فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية ؛ وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي ، إنما هي ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ، ولا شخوص تعبر ، أدركنا أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن".[1]

3. اختلاف موقع المفاجأة :

اتخذ القرآن الكريم عنصر المفاجأة وسيلة من وسائله الفنية في عرض أحداث القصة القرآنية لما له من دور فعال في التأثير بالمتلقي وجذبه للغاية المرجوة من سوق القصة القرآنية، وقد تعددت وتنوعت أساليب القرآن الكريم في تقديم الحدث المفاجئ في القصة القرآنية، قال د.إبراهيم عوضين: "يلاحظ المتأمل في القصة أنها لا تسير على نظام واحد قي تقديم الحدث المفاجئ الذي يُسهم في النهاية ويحرك القصة إلى حل عقدتها الرئيسية، ولكنها تراعي المكان والزمان المناسبين

---

[1] قطب، سيد ،التصوير الفني في القرآن ، ص137.

لإظهار المفاجأة، فتقدمها فيهما محافظة بذلك على القيمة الفنية المعجزة التي يقوم عليها البيان القرآني في عمومه".[1]

وقد ذكر سيد قطب رحمه الله أشكالاً لتنوع طريقة عرض المفاجأة : الأول: يكتم سر المفاجأة عن شخصيات القصة وعن القارئ حتى تكشف لهم معاً في آن واحد في ختام القصة وذلك مثل قصة موسى _ عليه السلام _ مع العبد الصالح في سورة الكهف، الثاني: تأتي المفاجأة بعد بدء القصة مباشرة حيث تُكشف للقارئ وتترك أبطال القصة في عماية وغالباً ما يكون هذا في موضع السخرية كما في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، الثالث: يُكشف السر للقارئ من أول الأمر وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على القارئ والبطل في موضع آخر من القصة الواحدة ، كما في قصة ملكة سبأ مع سيدنا سليمان _ عليه السلام _ ، فالمتلقي يعرف المفاجأة في نقل العرش الذي احضر في غمضة عين في حين بقيت الملكة تجهل هذا الأمر ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير ظلت خافية عليها وعلى المتلقي[2].

4. <u>تنوع وسائل ربط المشاهد:</u>

لم يهتم القرآن الكريم وهو يعرض قصصه باستقصاء المشاهد وعرض جميع الأحداث بل كان تركيزه على ما يتحقق به العبرة ويتم به الهدف التي سيقت من أجله القصة ولذا كان يعرض أحياناً أحداثاً متتابعة من القصة الواحدة وأحياناً يترك فجوات بين المشهد والمشهد ليملؤها خيال القارئ ، قال د. بلبول: " لا يُعنى القرآن في قصصه بالتفاصيل وتقصي الجزئيات وإنما يعمد إلى مواطن العبرة ويركز على محور الهدف من الإيمان بالله وتوحيده والجزاء لمن يؤمن والعقاب لمن يكفر وسنة الله في الوجود أن المستجيب له الحياة المثلى في الدنيا والأخرة وأن المخالف له سور

---

[1] عوضين، د.إبراهيم، البيان القصصي في القرآن الكريم، ص 136.

[2] يُنظر قطب، سيد ،التصوير الفني في القرآن ، ص 134-136.

العقبى"[1] ولذا فقد جاءت بعض مشاهد هذا القصص مترابطة متتابعة الأحداث وبعضها تخللته بعض الفجوات ليملؤها خيال القارئ.

قال د.إبراهيم عوضين: " في كل قصة من قصص القرآن الكريم تواجه بهذا التنوع في الربط بين المشاهد وهو تنوع قائم على أُسس فنية يعجز عن متابعتها والقيام عليها الكائن المخلوق، ويلاحظ أن التنوع ليس في الربط بين المشهد والمشهد فحسب بل هو كذلك في الربط بين الموقف والموقف في داخل المشهد الواحد فتارة نجد بين الموقفين أو المشهدين المتجاورين علاقات مادية ومعنوية تنظمها، وتارة أخرى نجد بينهما فجوة مادية تجد الخيال يؤدي دوره في ملء هذه الفجوة دون تعثر أو تعذر" ".[2]

5. <u>تكرار القصص القرآني:</u>

التكرار من القضايا التي كثر فيها اهتمام العلماء قديماً وحديثاً، وأصله في اللّغة من الكرّ بمعنى الرجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف، فـ"كرّر" الشيء وكركره أي: أعاده مرة بعد أخرى[3]،فهو " عبارة عن الاتيان بشيء مرة بعد مرة"[4] وقد تباينت نظرات العلماء في ظاهرة تكرار القصص القرآني ، فقد ذهب فريق من العلماء إلى أن هناك تكرار في القصص القرآني ولكن هذا التكرار له أهدافه وأغراضه وفوائده التي تجعله يخرج عن التكرار الممل المتعارف عليه، وذلك بكون التكرار

---

[1] بلبول ، إبراهيم محمد عبده ، القصص القرآني، ص 265.

[2] عوضين، د.إبراهيم، البيان القصصي في القرآن الكريم، ص141.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة (قص)،ج10،ص125.

[4] الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات، مكتبة لبان، بيروت، 1969، ص 68.

أسلوب من أساليب البلاغة والفصاحة المعروفة عند العرب، ولون من ألوان التحدي لهم[1] أما الفريق الثاني فقد ذهب إلى نفي التكرار عن كتاب الله تنزيهاً له عما لا يليق به من إعادة الشيء نفسه بلا غرض، قال الآلوسي: " إن ذكر القصة في القرآن في أكثر من موطن لا يُعد تكراراً لأن ذكرها في كل موطن لفائدة غير الفائدة التي ذكرت لها فيها قبل وهكذا ذكرها في كل موضع ذُكرت فيه من الكتاب الجليل ومثل هذا يقال في كل ما هو تكرار بحسب الظاهر فيه، وعلى هذا نستطيع القول بأنه إذا كانت كل مقولة في المكرر تؤدي هدفاً معيناً في ذاته، مرتبطاً بالسياق أو بالمقام في السورة فليس ذلك تكرار في الحقيقة وإنما تكرار في الظاهر، ولا يخفى أن أكثر المكررات ظاهرة مختلفة الأساليب متفاوتة الألفاظ والعبارات وفي ذلك من الأسرارالإلهية مافيه فيه فلا يستزلنك الشيطان"،[2] والقصة القرآنية لم تذكر كاملة في سورة واحدة من سور القرآن الكريم بل تم انتقاء حلقة من حلقات القصة التي تخدم الموضوع الرئيسي التي اختصت السورة ببيانه وإن تم إعادة ذات الحلقة في أكثر من موضع أو في أكثر من سورة كانت تلك الحلقة المعادة مصحوبة بفائدة أو زيادة خلت منها غيرها في السور الأخرى، فالتكرار في قصص القرآن لم يكن لمجرد التكرار، بل له وثيق الصلة بمنهجه القصصي، قال السيوطي رحمه الله: "القصة الواحدة لما كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى فأفاد ذلك

---

[1] يُنظرالخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم(388) رسالة البيان في إعجاز القرآن ضمن كتاب ل محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام،هو ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، دار المعارف، القاهرة،ط5، 2008، ص255، ويُنظر النورسي، بديع الزمان سعيد(1960)، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط2، 1992، ج2 ، ص 267.

[2] الآلوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ج15، ص 294.

الأمر العجيب في إخراج الأمر الواحد في صور متباينة في النظم وجذب النفوس إلى سماعها لما جُبلت عليه (النفوس) من حب التنقل بين الأشياء المتجددة واستلذاذها بها، وإظهار خاصة القرآن، حيث لم يجعل مع ذلك التكرار هجنة في اللفظ ولا ملل عند سماعه فبياين بذلك كلام المخلوقين" ،[1] وقد بين الرافعي أن أسلوب التكرار في القرآن الكريم يخدم غرضين في آن واحد :غرض فني يتمثل في تجدد أسلوب القصص إيراداً وتصويراً، والتفنن في عرضها إيجازاً وإطناباً، والتنوع في أدائها لفظاً ومعنى، فهو تكرار تختلف فيه طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، وذلك لتقديم زيادة لم تكن وردت من قبل أو لتحقيق التكامل في جسم القصة، وغرض نفسي بما له من تأثير في النفوس لأن المكرر ينطبع في خلجات النفوس ووأعماق القلوب، فهو تكرار غير مخل ولا ممل. [2]

- إذن لا تكرار في القصص القرآني إذ إن التكرار الذي ننفيه (هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، ولمعنى واحد) فإذا لم يتوافر هذان الشرطان فلا يسمى تكراراً، وهذا التكرار غير موجود في كتاب الله العزيز، كما أن نفي التكرار ليس عدم ذكر حدث من أحداث القصة في سورة أو أكثر فإن هناك أموراً كلية وأحداثاً مهمة رئيسية، لا يجوز أن تخلوا منها سورة من السور، ولو خلت منها لخلت القصة من رحيقها الشذي وسلسبيلها العذب. [3]

---

[1] السيوطي،جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري(911)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تصحيح أحمد شمس الدين، دار الفكر،القاهرة، 1969، ج1، ص437-438 .

[2] يُنظر الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان،ط1، 1997، ص 253-255 .

[3] يُنظرعباس، د.فضل حسن ،قصص القرآن الكريم،دار النفائس، ط3، 2010، ص80-81.

- يظهر مما سبق أن القرآن الكريم لم يتخذ أسلوباً واحداً مضطرداً في عرض القصص بل نوع في أساليب العرض مما يدل على إعجازه وبما في ذلك من جذب للنفوس وتعميق هدف ذكر القصة في القلوب .

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

المطلب الأول: معنى الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتفسير الموضوعي وعلم المناسبات والسياق القرآني.

معنى الوحدة الموضوعية:

الوحدة لغة: من "(وحد):وهو أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد. ". [1]

واصطلاحاً كما يراها أول من كتب عنها وهو محمد حجازي: "هي البحث عن القضايا التي عرض لها القرآن في سوره المختلفة ، ليظهر ما فيها من معانٍ خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبحثه، لنحقق الهدف وهو الوحدة الموضوعية للقرآن".[2]

أو هي " التفسير الذي يتوجه فيه المفسر إلى الكشف عن الموضوع الذي تعالجه السورة في ضوء معطيات آياتها المحكمة النسج والارتباط بأسلوبها المتميز وخصائصها المعجزة بلوغا إلى مقاصدها الهدائية."[3]

أو هي " اجتماع أهداف السورة في تقرير موضوع محدد أو إبراز القضية المحورية في السورة القرآنية والتفسير الموضوعي من هذه الناحية يعني الكشف عن ذلك الموضوع والتعرف على

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا،معجم مقاييس اللغة، ج 6، ص 90.

[2]حجازي، محمد محمود, الوحدة الموضوعية في القران الكريم, القاهرة: دار الكتب الحديثة, ط 1, 1970، ص 33-34.

[3] عبد الرحيم، عبد الجليل ،التفسير الموضوعي للقرآن في كتفي الميزان، د(ن) ،1992، عمان، ص35-36.

أسلوب طرحه ومعالجته وإبراز أجزائه وعناصره في ضوء منهج محدد وضمن قواعد بحثية منضبطة".[1]

قال الميداني: "السورة القرآنية تشتمل على وحدات معان متماسكة تشبه حلقات مترابطة مشمولة بحلقة أكبر منها وهي داخلة فيها ومتعلقة بها ولا يشترط أن تكون كل حلقة مرتبطة بالتي قبلها من الحلقات مباشرة بل قد يكون الارتباط بالحلقة الكبرى التي هي أساس الموضوع "[2]

- يتبين مما سبق أن الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية تدور حول:

كشف أو بيان ما في السورة القرآنية من تماسك وارتباط وذلك بتضافر عناصرها واتحادها لإبراز الهدف أو المقصد الذي جاءت السورة لبيانه أو التأكيد عليه.

علاقة الوحدة الموضوعية بالتفسير الموضوعي:

تعددت آراء العلماء المحدثين في تعريف التفسير الموضوعي والمُلاحظ في هذه التعريفات التداخل والتكرار بين كثير منها ، وأن كثيراً منها يعد بياناً لمنهجية التفسير الموضوعي وإجراءاته وخطواته أكثر من كونها تعريفات جامعة ، كما أن بعضها قصر تعريفه على نوع واحد من أنواعه أو لون واحد من ألوانه وأن بعض تلك التعريفات مجمل وعام.[3]

والتعريف المختار لدى الباحثة للتفسير الموضوعي هو:

---

[1] الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، دارعمار، ط1 ،2007، ص205.

[2] الميداني، عبدالرحمن، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، دار القلم ط1، 1980 ، ص 17–18.

[3] يُنظرالنصيرات، د.جهاد محمد فيصل، منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية تأصيل ونقد ص12

"البحث عن موضوعات قرآنية تربطها صلات خاصة لغاية خاصة وفق منهجية خاصة"."[1]

ألوان التفسير الموضوعي:

تعددت آراء الباحثين فيما يتعلق بتحديد ألوان التفسير الموضوعي إلى ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول: يرى كلٍ من أ.د مصطفى مسلم ود. صلاح الخالدي وغيرهم [2] أن التفسير الموضوعي يشمل ثلاثة ألوان :

1. الموضوع القرآني:
2. الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية:
3. المصطلح القرآني :

---

[1] "الموضوعات القرآنية: تشمل القضايا العقدية أو التشريعية أو الكونية أو غيرها مما له صلة بحياة الناس للخروج بنظرة قرآنية حول تلك الموضوعات، أما الصلات الخاصة فتشمل التناسب بين آيات السورة الواحدة أو ما يسمى بالوحدة الموضوعية وتشمل كذلك جمع الآيات المتحدثة عن موضوع واحد في القرآن، وأما الغاية الخاصة فهي: معرفة حكمة التشريع والمقاصد القرآنية لهذه الموضوعات بما يكشف عن وجوه إعجازه ،وأما المنهجية الخاصة: فهي الطريقة التي يسلكها الباحث في سبيل ذلك من خلال الإجراءات والضوابط والقواعد والأصول التي يتبعها والتي قد تتباين بين الباحثين في هذا الميدان" النصيرات، د.جهاد محمد فيصل، منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية تأصيل ونقد ، 2009–2010، ص11..

[2] يُنظر مسلَم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي ، (ط 1)، دمشق: دار القلم، ص 32–53، و الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية التطبيق، الأردن: دار النفائس، ط 1 ،1997، ص59.

الاتجاه الثاني: يرى كلٍ من د. الكومي ود. الفرماوي ود. الألمعي ود. رحماني ود. الدغامين وغيرهم[1] أن التفسير الموضوعي يشمل الموضوع، أي في القرآن ككل أو في السورة على وجه الخصوص إذ أن لكل سورة موضوعها الخاص وشخصيتها البارزة.

الاتجاه الثالث: يرى كلٍ من د. فرحات[2] وأد. فضل عباس[3] _رحمه الله_ أن التفسير الموضوعي يقتصر على الموضوع القرآني.[4]

والذي يترجح لدى الباحثة أن دراسة المصطلح القرآني إنما هي مرحلة من مراحل دراسة الموضوع القرآني ، وقد بين ذلك د. الدغامين حيث قال: " إن دراسة المفردة القرآنية على مستوى القرآن الكريم كله ليس قسماً مستقلاً من أقسام التفسير الموضوعي ولكنها حلقة البداية"[1]

---

[1] يُنظر الكومي، د. أحمد السيد والقاسم، د.محمد أحمد يوسف، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دار الهدى للطباعة والنشر، القاهرة،ط1، 1980، ص23، الفرماوي، د.عبد الحي، مقدمة في التفسير الموضوعي أو البداية في التفسير الموضوعي، ط 4، 1989، ص51-52، الألمعي، د. زاهر بن عواض، دراسات في التفسير الموضوعي، (د، ن)، (د، ط) الرياض، 1995، ص21-22، رحماني، د. أحمد ، مصادر التفسير الموضوعي، مكتبة وهبه،عابدين، القاهرة، ط 1، 1998، ص26 وص55، الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص71-72.

[2] يُنظر فرحات، د. أحمد حسن، في علوم القرآن الكريم عرض ونقد وتحقق، دار عمار،عمان، ط 1، 2001، ص296-270، مع أن د. فرحات قال بعد ذلك أن هذا يمكن أن يكون في السورة الواحدة باعتبارها تركز على موضوع واحد وأنه يمكن أن يدخل تحت التفسير الموضوعي الحديث عن كلمة واحدة أو صيغة واحدة في أماكن متعددة فب القرآن بحيث تشكل موضوعاً واحداً.

[3] يُنظر عباس، أد.فضل حسن،التفسير أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس،عمان، ط1، 2005، ص646-647، مع أنه ذكر الألوان الثلاثة.

[4] تم الاستفادة من ، د.جهاد محمد فيصل النصيرات ، منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية تأصيل ونقد ص16-20.

- يتبين مما سبق أن التفسير الموضوعي إذا أطلق يقصد به البحث عن موضوع معين في سور القرآن الكريم ، والوحدة الموضوعية تطلق على البحث عن موضوع السورة القرآنية ومقصودها، وأن علاقة الوحدة الموضوعية بالتفسير الموضوعي أنها إحدى أنوعه التي تهدف إلى بيان تماسك وتكامل عناصر السورة القرآنية .

العلاقة بين الوحدة الموضوعية وعلم المناسبات:

المناسبة لغة واصطلاحاً:

المناسبة لغة :

قال ابن فارس :" النون ، والسين ، والباء ، كلمة واحدة ، قياسها اتصال شيئ بشيئ "[2]

وقال ابن منظور:": وتقول : ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة والمشاكلة بمعنى : المماثلة [3]

- يتبين مما سبق أن المناسبة لغة تعني : الإتصال ، والمقاربة ، والمماثلة .

المناسبة اصطلاحاً :

المناسبة كما قال البقاعي رحمه الله : هي "علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن " [1]، ففيها يتم بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة ، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة ، أو بين السورة والسورة .

---

[1] الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص71-72.

[2] ابن فارس ، أحمد، معجم مقاييس اللغة ، ج5، ص 423، 424 .

[3] ابن منظور ، لسان العرب ، ج14 ، ص 119 .

فمعرفة المناسبة بين الآيات يساعد على حسن التأويل ، ودقة الفهم ، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات ، وترابط أفكارها ، وتلاؤم ألفاظها، قال الإمام الزركشي رحمه الله : " واعلم أن المناسبة علم شريف ، تحرز بها العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ... ثم يقول: وفائدته : جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء "، [2] وبمعرفة هذا التناسب نتمكن من معرفة كيف اتسق للقرآن الكريم هذا التآلف ، وكيف استقام له هذا التناسق الذي يشهد بحق وصدق على إعجاز القرآن ، ويدل أبلغ دلالة على مصدر القرآن ، وأنه كلام الله المنان، قال الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله : " لعمري لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات وفي أساليب ترتيبه معجزات ، وفي نبوءته الصادقة معجزات ، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ، لعمري إنه في ترتيب آياته معجزة المعجزات " [3]

- يتبين مما سبق أن علم المناسبات علم مهم إذ إنه رافد من روافد الإعجاز القرآني، وهو علم له أثر عظيم في تفسير القرآن الكريم، لما في ثماره من التفات إلى الحكمة من ترتيب السور والآيات على الوجه الذي هو عليه، واهتمام باستخراج المعاني والحكم ولطائف الفوائد، التي لا يتوصل إليها إلا بالتماس المناسبة بينها، ومعرفة وجوه الربط بين أنواع المناسبات .

---

[1] البقاعي :ابراهيم بن عمر (885هـ) : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ط 2 ، القاهرة دار الكتاب الاسلامي ، ج1، ص 6.

[2] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار التراث، 1984، ج1، ص162.

[3] دراز ،محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ص 209.

- أن العلاقة بين الوحدة الموضوعية وعلم المناسبات أنه أحد الركائز التي يقوم عليها بيان الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية الواحدة ، وذلك ببيان وجوه الاتصال والاتساق بين الآيات والمقاطع في السورة الواحدة التي لا يظهر ترابطها بما قبلها ، وكذلك في سور القرآن الكريم وذلك ببيان تمام الصلة وكمال الارتباط بين السور الواردة إثر بعضها البعض والتي تبدو كبناء متسق مترابط، قال البقاعي نقلاً عن الشيخ ولي الدين محمد بن أحمد المنفلوطي رحمه الله : " والذي ينبغي في كل آية أن ُيبحث أول شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم".[1]

العلاقة بين الوحدة الموضوعية والسياق القرآني:

السياق لغة:

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:" السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء. "[2]

وقال الزمخشري : "تساوقت الإبل :تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه كذا، وجئتك بالحديث على سوقه :على سرده".[3]

وورد في المعجم الوسيط أن "سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"[4]

- يظهر مما سبق أن كلمة السياق تدور حول معنى التتابع والانتظام لبلوغ غاية أو هدف منشود وهذه الحركة مستمرة متصلة غير منقطعة[1]

---

[1] نظم الدرر ، ج1، ص6.

[2] ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة،ج5، ص423-424.

[3] الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، لبنان: دار الفكر، 1979، ص ٣.

[4] الزيات ،أحمد وآخرون،المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، (د،ت)، ج2، ص335.

السياق اصطلاحاً:

إن التعريف الذي ترتضيه الباحثة هو تعريف عبد الفتاح المثنى الذي يقول: السياق هو: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"،[2] وقد عني المفسرون منذ وقت مبكر بالسياق القرآني؛ لما له من أثر فاعل في الكشف عن مراد الله تعالى في كتابه العزيز، وكان له – السياق – حضور بارز إلى جانب القرائن الأخرى، كأسباب النزول, واللغة، والعموم, فقد أشار الإمام الطبري رحمه الله إلى وجوب مراعاة السياق حيث قال: "فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة"،[3] وصرح عبد القادر الجرجاني بمصطلح السياق أثناء حديثه عن سر إعجاز القرآن الكريم ، إذ يرى أن العرب " أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب".[4]

---

[1] يُنظر الحديد، روان فوزان مفضي، السياق القرآني في تفسير أبي السعود العمادي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2010، ص29.

[2] المثنى،عبد الفتاح محمود،نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل، عمان، 2008، ص15.

[3] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،(310)، جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 ،ج 6، ص 23.

[4] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(471)، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ،مكتبة الخانجي، مصر ،1987، ص 39.

وقال ابن العربي: "إن لكل كلمة في القرآن معنى في ضوء سياقها، قد لا يصح هذا المعنى لسياق آخر"، [1] وبين صاحب المنار أن السياق " أفضل قرينة تكشف عن حقيقة معنى اللفظ حيث لقي السياق في مدرسة المنار عناية خاصة، فالنظر إلى النص في ضوء السياق يعد مظهراً من مظاهر تفسير القرآن بالقرآن".[2]

وقال التهامي: " إن معرفة السياق الذي عرضت فيه القصة يُعين على فهمها فهماً دقيقاً ويجعل تأثيرها في النفس أعمق، ففهم القصة على هذا النحو ينقلنا إلى جوها ويجعل عباراتها أكثر شفافية" [3].

فالسياق القرآني يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة، ويُبين ترابط المعاني الفرعية بالمعنى الأصيل الذي سيق لبيان الهدف والغرض من السورة الكريمة لتبدو وحدة واحدةً متلاحمة متماسكة في ذاتها وفي كونها لؤلؤة متراصة في عقد اللؤلؤ والمرجان، فهو طريق للاستدلال على الوحدة الموضوعية إذ يُعين على تحديد موضوع السورة القرآنية ، كما أن الدراسة الموضوعية الإجمالية تُسهم في إبراز سير معاني السور وتناسبها.[4]

---

[1] ابن العربي، أبو بكر محمد. أحكام القرآن، تحقيق محمد على البجاوي دار المعرفة، بيروت د.ت, ج3, ص 138.

[2] رضا ، محمد رشيد بن علي (1933) ،تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 ،ج1،ص22.

[3] التهامي، نقرة، سيكلوحية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، 1971، ص257.

[4] يُنظر المثنى، عبد الفتاح محمود،نظرية السياق القرآني، ص16−19 .

- إذن العلاقة بين الوحدة الموضوعية والسياق القرآني أن السياق طريق للاستدلال على الوحدة الموضوعية إذ أنه يُبرز ترابط المعاني السابقة بالمعاني اللاحقة، وبالتالي بيان موضوع السورة القرآنية.

المطلب الثاني: أهمية دراسة الوحدة الموضوعية للسور القرآنية:

إن معرفة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية التي تُلقي بظلالها على مجموع السورة والتي تُشكل بدورها روحاً قويةً تُسيطر على قارئها بسلطانها، وضوءاً باهراً يغمر الآيات ، ويجتذب روح قارئه بشعاعه، فبهذه الروح الآسرة تنتظم آيات القرآن جميعها، وترفرف عليها رفرفة عطرة، فتكون بمثابة وحدة جامعة للآيات، رابطة بين المعاني والتعبيرات . [1]

تتعدد جوانب أهمية دراسة الوحدة الموضوعية للسور القرآنية منها ما يلي:

❖ إن معرفة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية تهدى إلى الحكمة:

قال الفراهي رحمه الله: " الكلام لا يلتئم بعضهاً ببعض إلا بجامع يشتمل على أشتات المطالب والجامع يكون أعلى وأوسع ، فمن طلب النظم لا بد أن ينظر فوق ما يراه حتى يجد جامعاً عاماً . وهذا الطلب هو سلم الحكمة ولا يتعاطى ذلك إلا ذو بصيرة وذكاوة. ولولا ذلك لما جعل الله نظام كلامه محل التدبروالتفكر. فالله تعالى راعى ذلك ليعلمهم الحكمة ويرشحهم لملكة هي أصل العلم والمعرفة لا ، نفس المعلومات ، فإنها منحصرة محدودة . ثم العلم بها ليس في شئ من ملكة هي

---

[1] يُنظر البيومي، د. محمد رجب،البيان القرآني،دار النصر للطباعة ،1971، ص 176. بتصرف.

المقصود. وقد أشار إلى كون القرآن (علياً) لاشتماله على الحكمة حيث قال تعالى : { وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ } سورة الزخرف "[1].

- ❖ إن دراسة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية يُعين على تفسيرها بما هو أعمق وأدق وأشمل لأنه سيكون مبنياً على ذلك الموضوع، وعلى ذلك لا تبدو موضوعاتها الجزئية أشتاتاً متفرقة، ولا تبدو قصص القرآن قصصاً مكررة، وإنما يُنظر إليها على أنها مترابطة الموضوعات تسير كلها إلى غاية واحدة، فالاهتمام بالوحدة الموضوعية يؤدي إلى تضييق هوة الخلاف وتوحيد الآراء والمواقف.

قال الفراهي رحمه الله: " لما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم ، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه والقرآن حكمة ونور.... ثم قال: " إنا وقعنا فى اختلافات شديدة فى تأويل القرآن، ثم اختلفت عقائدنا وقلوبنا وألفتنا والنظم يرد الأمور إلى الوحدة وينفى تشاكس المعانى، والاتفاق والائتلاف أعظم مطلوب للنيل إلى أعلى مدارج الانسانية" .[2]

وقال محمد حجازي: " فإن من يفرق النظر في الآيات على أنها منفصلة تماماً عن غيرها، ولم ينظر نظرة إجمالية عامة في السورة وفي هدفها العام لم يحصل إلا على فهم ظواهر الألفاظ بحسب الوضع اللغوي فقط لا بحسب المقصود الأعلى للمتكلم"،[3] وقال الدكتور دراز: " إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه فلا يتقدم

---

[1] الفراهي، عبد الحميد الهندي(1930)، دلائل النظام، المطبعة الحميدية، ط1، 1969، ص 39.

[2] ا لفراهي، عبد الحميد الهندي ، دلائل النظام، ص75، 89.

[3] حجازي، محمد محمود, الوحدة الموضوعية في القران الكريم, ص 49، ويُنظرعبد المطلب، رفعت فوزي، الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، القاهرة: دار السلام، ط.1، 1986، ص11.

الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء منه وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معواناً له على السير في تلك التفاصيل عن بينة".[1]

❖ إن معرفة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية يُبين سبب اختلاف عرض الحلقة من القصة الواحدة في كل سورة تعرض فيها ، فلكل سورة شخصيتها، فقد ترد القصة الواحدة في أكثر من سورة ولكنها تختلف في طريقة عرضها وانتقاء مشاهدها وفي بسطها واقتضابها، تبعاً لموضوع السورة العام وغرضها الذي سيقت لبيانه، قال الفيروزأبادي رحمه الله : "وأَما تصريف القصص والأَحوال فهو أَن الله تعالى ذكر بحِكَمه البالغة أَحوال القرون الماضية، ووقائع الأَنبياء، وقصصهم، بأَلفاظ مختلفة، وعبارات متنوعة، بحيث لو تأَمل غوّاصو بحار المعانى، وخوَّاضو لُجَج الحُجج، وتفكّروا فى حقائقها، وتدبَّروا فى دقائقها، لعلموا وتيقَّنوا وتحققوا وتبيَّنوا أَنَّ ما فيها من الأَلفاظ المكرَّرة المعادات، إنما هى لأسرار، ولطائف لا يرفع بُرْقع حجابها من الخاصة إلا أَوحدُهم وأَخصَّهم، ولا يكشف سِتر سرائرها من النحارير إلا واسطتهم وقصهم"، [2] وقال صاحب الظلال رحمه الله: " إن لكل سورة من سور القرآن شخصيتها الخاصة ، وملامحها المميزة ، ومحورها الذي تشد إليه موضوعاتها جميعاً .. ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أن تتجمع الموضوعات في كل سورة وتتناسق حول محورها في نظام خاص بها ، تبرز فيه ملامحها ، وتتميز به شخصيتها. كالكائن الحي المميز السمات والملامح ".[3]

---

[1] دراز، محمد عبدالله ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ص158.

[2] الفيروابادي، محمد بن يعقوب(817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار،المكتبة العلمية بيروت، ج1، ص 71.

[3] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م1، ج 1 ، ص555.

- إن معرفة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية تبرز إعجاز القرآن الكريم الذي جمع بين ضروب شتى وأجزاء متفاوتة، قال الفراهي رحمه الله: " القرآن أفضل آيات شاهدة على نبوة خاتم النبيين ، وأبقاها وأبينها وأهداها، ونعلم بالبداهة أن حسن الترتيب من أكبر محاسن الكلام البليغ، ونحن نوقن باعجاز القرآن"[1]، وقال: صاحب الظلال رحمه الله: " وهكذا يتكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق، من التناسق والاتساق. فمن نظم فصيح. إلى سرد عذب. إلى معنىً مترابط .إلى نسق مُتسلسل. إلى لفظ مُعبر. إلى نعبير مُصور. إلى تصوير مُشخص. إلى تخييل مُجسم. إلى موسيقى مُنغمة. إلى اتساق في الأجزاء. إلى تناسق في الإطار. إلى توافق في الموسيقى. إلى افتنان في الإخراج. ويهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز." [2]

---

[1] ا لفراهي، عبد الحميد الهندي، دلائل النظام، ص89.

[2] قطب، سيد ،التصوير الفني في القرآن ، ص 142.

الفصل الأول: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي ورد فيها ذكر مريم وعيسى عليهما السلام واختيار وترتيب القصص القرآني الوارد فيها. ويتضمن:

المبحث الأول: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي ورد فيها ذكر مريم وعيسى عليهما السلام واختيار القصص القرآني الوارد فيها.

ويتضمن:

المطلب الأول: السور التي ذكرت فيها القصتان إشارةً أو إجمالاً:

المطلب الثاني: السور التي ذكرت فيها القصتان تفصيلاً:

المبحث الثاني: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي وردت فيها ذكر مريم وعيسى عليهما السلام وترتيب القصص القرآني الوارد فيها.

ويتضمن:

المطلب الأول: السور التي ذكرت فيها القصتان إشارةً أو إجمالاً:

المطلب الثاني: السور التي ذكرت فيها القصتان تفصيلاً:

الفصل الأول: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي ورد فيها ذكر مريم وعيسى عليهما السلام واختيار وترتيب القصص القرآني الوارد فيها:

بينت الدراسة في الفصل التمهيدي أن لكل سورة من سور القرآن الكريم هدفاً أو محوراً تدور حوله وتسعى لبيانه ، وأن القصة هي أحد وسائل القرآن الكريم في تحقيق ذلك، فالقصة تمثل جزءاً أصيلاً من النسيج المحكم للسورة القرآنية تأتي في المكان المحدد لها وتؤدي الغرض المراد منها على أكمل وجه وبأوضح بيان، فهي تمتزج بموضوع السورة امتزاجاً عضوياً لا مجال فيه للفصل بينها وبين غيرها من مجموع موضوعات السورة بل إن هذه القصة تجيء في معرض الاستشهاد على الأمر الذي تعرض له السورة.

وفي هذا الفصل ستبين الدراسة العلاقة والرابط بين الوحدة الموضوعية للسور القرآنية التي وردت فيها قصة مريم وعيسى _عليهما السلام_ وبين ورود ذلك القصص فيها.

المبحث الأول: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي ورد فيها ذكر مريم وعيسى عليهما السلام واختيار القصص القرآني الوارد فيها.

ذُكر كل من مريم وعيسى _عليهما السلام_ في خمس عشرة سورة من سور القرآن الكريم وهي حسب ترتيب المصحف كما يلي:

البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام ،التوبة، مريم، الأنبياء، المؤمنون، الأحزاب، الشورى، الزخرف، الحديد، الصف، التحريم.

وقد ورد ذكرهما في كل من سورة (آل عمران، مريم،) تفصيلاً، وفي كل من سورة (الأنبياء، المؤمنون) إشارة و إجمالاً.

وورد ذكر جوانب من قصة عيسى _ عليه السلام _ منفرداً في كل من سورة (النساء، المائدة، الزخرف، الصف) تفصيلاً ، وفي كل من سورة (البقرة، الأنعام، التوبة، الأحزاب، الزخرف، الحديد،) إشارة و إجمالاً.

وورد ذكر مريم _عليها السلام _ في سورة التحريم إشارة و إجمالاً.

وقد ذُكر اسم عيسى _ عليه السلام _ في القرآن الكريم في ستة صور:[1]

<u>الصورة الأولى:</u>

وفيها ذُكر الاسم كاملاً (لقباً وعَلَماً وكنية) (المسيح عيسى ابن مريم) وذلك في ثلاثة مواضع:[2]

---

[1] تم الاستفادة من كتاب، لمسات من إعجاز كلام الله في سيرة كلمة الله السيد المسيح عيسى بن مريم _ _ عليه السلام_، إلا أن الكاتب ذكر بعض الأمثلة على كل صورة وقامت الباحثة باستقراء جميع الأمثلة. سندي، أ.د فؤاد بن محمود بن محمد، لمسات من إعجاز كلام الله في سيرة كلمة الله السيد المسيح عيسى بن مريم _ عليه السلام_، دار الصفا، مكة المكرمة، ط1، 2009، ص20–22،

[2] الآية (45) من سورة آل عمران ، والآيتان (157)، (171) من سورة النساء .

الصورة الثانية:

وفيها جاء الاسم (علما وكنية) (عيسى ابن مريم) وذلك في ثلاث عشرة موضعاً:[1]

الصورة الثالثة:

وفيها ذُكر الاسم (اللقب والكنية) (المسيح ابن مريم) وذلك في خمسة مواضع:[2]

الصورة الرابعة:

وفيها جاء العَلم (عيسى) في أكثرها معطوفاً على بعض الأنبياء، وفي بعضها جاء منفرداً وذلك في تسعة مواضع: [3]

الصورة الخامسة:

وفيها جاء اللقب وحده (المسيح) وذلك في ثلاثة مواضع:[4]

الصورة السادسة:

وفيها جاءت الكنية وحدها (ابن مريم) وذلك في موضعين:[5]

---

[1] الآيتان (87) و(253)من سورة البقرة ،والآيات (46)، (78)،(110)،(112)، (114)،(116) من سورة المائدة، والآية (34) من سورة مريم، والآية (7) من سورة الأحزاب، والآية (27) من سورة الحديد، والآيتان (6)،(14) من سورة الصف.

[2] الآيات (17) ، (72) ، (75) من سورة المائدة والآية (31) من سورة التوبة .

[3] الآية (136) من سورة البقرة، والآيات(52)، (55) (59)، (84) من سورة آل عمران، والآية (163) من سورة النساء، والآية (85) من سورة الأنعام، والآية (13) من سورة الشورى،والآية (63)من سورة الزخرف .

[4] الآية (172) من سورة النساء ، والآية (72) من سورة المائدة، والآية (30) من سورة التوبة.

[5] الآية (50) من سورة المؤمنون، والآية (57) من سورة الزخرف .

المطلب الأول: السور التي ذكرت فيها القصتان إشارةً أو إجمالاً:

ستبين الدراسة في هذا المطلب السور التي ذكرت فيها قصة مريم وعيسى _عليهما السلام_ إشارة أو إجمالاً حسب ترتيبها في المصحف الشريف وبيان العلاقة بين ذكرهما _عليهما السلام_ والوحدة الموضوعة للسورة التي ذُكرا فيها.

أولاً: سورة البقرة:

هذه السورة مدنية[1]، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، وهي السورة الثانية في ترتيب المصحف، وقد ضمت السورة الكريمة عدة موضوعات ولكنها ركزت على قضية واحدة تمثلت في بيان مقاصد الدين ومجمل أحكامه وذلك إعداداً للجماعة المسلمة لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض ، وذلك بعد بيان موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية، وإعلان نكول بني إسرائيل عن حملها ، ونقضهم لعهد الله بخصوصها ، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم _ عليه السلام _ صاحب الحنيفية الأولى ، وتبصيرها وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم،[2] فهي كما بين ابن عاشور رحمه الله: " مترامية الأطراف ، وأساليبها ذات أفنان ، قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيبها فُسطاط القرآن ، فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان ،... وقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية من لُحمة محكمة في نظم الكلام ، وسدًى متين من فصاحة الكلمات" [3].

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج1، ص205.

[2] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، م1، ج 1 ، ص28.

[3] ابن عاشور، محمد الطاهر(1393هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ط 1، 1984، ج1 ، ص 203.

علاقة القصص الوارد في سورة البقرة بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

تحدث الكثيرون عن الوحدة الموضوعية لهذه السورة الكريمة[1] ولكن يعجبني ما قاله دراز الذي رأى أن هذه السورة الكريمة جاءت في مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة: جاء فيها التعريف بشأن القرآن الكريم، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حداً من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يُعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قبله مرض،[2] وقسَمت الناس إلى ثلاثة أصناف: متقين، كافرين، منافقين، وقد امتدت من الأية (1−39)، القسم الأول: جاء فيه الحديث عن بني إسرائيل وقد شمل الآيات من (40−141) وقد بين محمد قطب أن من أهم دواعي ذلك سببان:

أولهما: أن بني إسرائيل هم الأمة التي قامت حياتها على كتاب منزل من عند الله ثم ظلوا يبتعدون عن كتابهم تدريجياً حتى خرجوا منه خروجاً كاملاً في النهاية، والمسلمون في بدء إقامة دولتهم ومجتمعهم على أساس من الكتاب المنزل يُوجهون ألا يفعلوا ما فعله بنو إسرائيل من قبل بل يتمسكون بكتابهم ويحلفظون عليه لكيلا يحل عليهم غضب الله الذي حل ببني إسرائيل، السبب الثاني: الكيد المستمر من اليهود للدولة الإسلامية الناشئة ومحاولة تقويضها قبل أن تتمكن في الأرض بدافع حسدهم، فكان القرآن الكريم يُعرف المسلمين بتاريخ بني إسرائيل الماضي ليعرفوا حقيقة عدوهم ،[3] القسم الثاني: موجه للمؤمنين يُنظم حياتهم الجديدة ، ويُعدهم لحمل أمانة الدعوة ، وقد شمل الآيات من (142−283).

---

[1] منهم سيد قطب في الظلال ومحمود شلتوت في تفسيره، و سعيد حوى في تفسيره الأساس، والغزالي في نحو تفسير موضوعي، و أصحاب التفسير الموضوعي لسور القرآن وغيرهم.

[2] يُنظر دراز، محمد عبدالله ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ص204−205.

[3] يُنظر قطب، محمد، دراسات قرآنية، دار الشروق، ط2، 1980، ص280−282.

الخاتمة: فيها التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد ، وبيان ما يُرجى في آجلهم وعاجلهم، وقد شملت الآيات من(284-286)،[1] وقد ورد معظم قصصها في قسمها الأول المُتحدث عن بني إسرائيل وبدأت بحلقة من قصة آدم _ عليه السلام _ التي تمثل تجربة تعليمية للبشرية، تجربة تمهيدية للاستخلاف في الأرض [2] والتي وردت في سياق تذكير الناس بنعم الله عليهم والعجب من أنهم يكفرون به[3] كما أن فيها إرشاد للأمة الإسلامية على أهمية العلم فإن أرادوا أن يكونوا مسؤولين عن الأرض فلا بد لهم من العلم مع العبادة ، قال البستاني: " فللعلم هو البطانة الفكرية التي يقوم عليها هيكل القصة التي تتحدث عن المولد البشري... فالعلم يظل هو الطابع الذي أودعه الله تعالى في شخصيته بحيث علّمه الأسماء كلها... ثم يقول: " إذن، ظاهرة العلم، هي التي شكّلت عَصَب القصة بما تتضمنه من مواقف وأحداث وأبطال تستمد حركتها جميعاً من العلم الذي يقف وراء ذلك"،[4]وقد بين أ.د فضل عباس رحمه الله أن الغرض من التركيز على هذا الجانب (أهمية العلم) في هذه الحلقة حيث قال: " وسورة البقرة كما نعلم هي سورة التكاليف التي كلفت بها الجماعة المؤمنة، وهذه التكاليف لا بُد لها من علم فمن عَلِم وعمل كان جديراً أن يكون خليفة في هذه الأرض"[5]، ثم ذكرت السورة الكريمة حلقات من قصة موسى _ عليه السلام _ مع بني إسرائيل تذكرهم بنعم الله عليهم وتُبين جحودهم لهذه النعم، كما تُبين ما حل بهم بسبب ذلك الجحود، وفي

---

[1] يُنظر دراز، محمد عبدالله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ص245-246.

[2] يُنظر خالد، عمرو، خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن، الدار العربية للعلوم، 2004، ص5.

[3] يُنظر عباس ،أ.د. ،فضل حسن، قصص القرآن الكريم، ص117-118.

[4] البستاني، محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم، دار الهادي، بيروت،2001،ج1، ص33-34.

[5] عباس ، أ.د. ،فضل حسن ، قصص القرآن الكريم، ص118.

عرض أخطائهم التي وقعوا فيها تحذيراً لأحفادهم الذين كانوا في عهد النبي ﷺ ، وتوجيهاً للمسلمين وتحذيرهم من الوقوع في أخطائهم قال أبو حيان رحمه الله: " وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة من ذكر الامتنان على بني إسرائيل فصولاً ..."، ثم قال: " وجاء ترتيب هذه النعم متناسقاً يأخذ بعضه بعنق بعض ، فانظر إلى حسن هذه الفصول التي انتظمت انتظام الدرّ في أسلاكها ، والزهر في أفلاكها ، كل فصل منها قد ختم بمناسبة ، وارتقى في ذروة الفصاحة إلى أعلى مناصبه ، وارداً من الله على لسان محمد أمينه، لسان من لم يتل من قبل كتاباً ولا خطه بيمينه " [1]، وعن تناسق الحديث عن بني إسرائيل مع السياق يقول صاحب الظلال رحمه الله : " ثم نلحظ من جانب التناسق الفني والنفسي في الأداء القرآني ، أن بدء هذه الجولة يلتحم بختام قصة آدم هذا جانب من التكامل في السياق القرآني بين القصص والسياق الذي تعرض فيه، لقد مضى السياق قبل ذلك بتقرير أن الله خلق ما في الأرض جميعاً للإنسان . ثم بقصة استخلاف آدم في الأرض بعهد الله الصريح الدقيق ،... مضى السياق بهذا كله في السورة . ثم أعقبه بهذه الجولة مع بني إسرائيل .... واتساق في السياق واضح وفي الأداء ، وهذا كله مع الإدعاء العريض بأنها هي وحدها المهتدية ؛ وأن الله لا يرضى إلا عنها ، وأن جميع الأديان باطلة وجميع الأمم ضالة عداها ! مما يبطله القرآن في هذه الجولة ، ويقرر أن كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من جميع الملل ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . "، [2] ويقول أيضاً " ومن مراجعة المواضع التي وردت فيها قصة بني إسرائيل هنا وهناك يتبين أنها متفقة مع السياق الذي عرضت فيه ، متممة لأهدافه وتوجيهاته . . وهي هنا متسقة مع السياق قبلها . سياق تكريم الإنسان

---

[1] أبو حيان ، محمد بن يوسف (754 هـ) ، البحر المحيط، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط 1، 2001 ، ج1، ص362.

[2] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م1، ج 1 ، ص 65.

، والعهد إليه والنسيان . متضمنة إشارات إلى وحدة الإنسانية ، ووحدة دين الله المنزل إليها ، ووحدة رسالاته ، مع لفتات ولمسات للنفس البشرية ومقوماتها ، وإلى عواقب الانحراف عن هذه المقومات التي نيطت بها خلافة الإنسان في الأرض ، وقصة بني إسرائيل هي أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم ؛ والعناية بعرض مواقفها وعبرتها عناية ظاهرة ، توحي بحكمة الله في علاج أمر هذه الأمة المسلمة ، وتربيتها وإعدادها للخلافة الكبرى" [1] ، ثم عرضت قصة ذبح البقرة التي بينت طبيعة اليهود وتمردهم وجدالهم وتعلقهم بما هو مادي محسوس حيث إن فيها دليل على البعث وإحياء الموتى، وعلى ووجود اليوم الأخر الذي لا يؤمنون به ، قال البستاني: "هذه القصة تجسّد نمط خاص من السلوك الإسرائيلي، يلقي مزيداً من الضوء على سلسلة مواقفهم التي تتميز بالتمرد على أوامر الله من جانب، ويكون هذا التمرد مصحوباً بعقلية عاطلة من أي تفكير سليم، من جانب آخر"،[2] ، ثم أشارت إلى سليمان _ عليه السلام _ في سياق تبرئته _ عليه السلام _ من السحر الذي اتُهم به، ثم جاءت الحلقة الأولى من الحلقات التي عرضتها السورة الكريمة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ المتعلقة بإمامته _ عليه السلام _ وبناء الكعبة والتي سيقت لتبكيتهم لعدم اتباعهم شرعه وظلمهم أنفسهم مع كونهم من نسله ، فهي" تُمثل نموذجاً ناجحاً للإستخلاف في الأرض" ، [3] وأتبعت السورة نهاية هذه الحلقة المتعلقة بوصايته _ عليه السلام _ لبنيه بالتوحيد بحلقة من قصة يعقوب _ عليه السلام_ المتحدثة عن اتباع نهج جده إبراهيم _ عليه السلام _ في وصاية بنيه بالحنيفية المسلمة حين حضره الموت، ثم ذكرت قصة طالوت والملأ من بني إسرائيل، الذين أمروا بالقتال فنكثوا وخالفوا فذمهم الله تعالى عليه، ونسبهم إلى الظلم و المقصود منه أن لا

---

[1] المرجع السابق، م1، ج 1 ، ص 66.

[2] البستاني، محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم، ج1، ص50.

[3] خالد، عمرو، خواطر قرآنية نظرات غي أهداف سور القرآن، ص6.

يقدم المأمورون بالقتال من هذه الأمة على المخالفة، وأن يكونوا مستمرين في القتال مع أعداء الله تعالى،[1] كما عرضت حلقة من قصة داود _ عليه السلام _ وقتله جالوت، وإيتائه الملك والحكمة، ثم ذكرت الحلقة الثانية من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ المتعلقة بمناظرته _ عليه السلام _ مع ملك زمانه، و قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وما فيها من إثبات البعث والمعاد، والتي أُعقبت بالحلقة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ المتعلقة بسؤاله _ عليه السلام _ ربه أن يُريه كيف يُحيى الموتى وهي أيضاً دالة على صحة البعث وفيها تأكيد على قدرة الله تعالى سبحانه وتعالى.

أما الحديث عن عيسى _ عليه السلام _ فقد ورد في ثلاث آيات: الأولى: جاءت في سياق الحديث عن طبيعة اليهود المستكبرة المعاندة الضالة عن الهُدى ، وعن عادتهم في تكذيب رسلهم وقتلهم أنبيائهم استكمالاً لعرض الأسباب التي تحول بينهم وبين الإيمان بالقرآن وبرسالة النبي ﷺ وذلك في قوله تعالى:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾}[2]، فبين تعالى أنه على الرغم من أن عيسى _ عليه السلام _ جاءهم بالبينات الواضحات على صدق نبوته، ومع ذلك كذبوه ولم يؤمنوا به، لأن ما جاء به لم يكن على هواهم، فهذه الآية الكريمة بتبُين موقف بني إسرائيل دعوة الإسلام التي

---

[1] يُنظر الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج3، ص 19 ،25، 33.

[2] يُنظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير، حوى، سعيد(1989)، الأساس في التفسير،دار السلام، ط 1، 1985،ج1، ص182–183.

جاءت هذه السورة تدعو إلى اعتناقه، الآية الثانية: جاءت في سياق بيان وحدة دين اللّه ، واطراده على أيدي رسله جميعاً ، ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بهذا الدين الواحد – وهذا ما دعت إليه السورة الكريمة–، وذلك في قوله تعالى:{ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ } آية 136، و تقرير حقيقة دين إبراهيم _ عليه السلام _ – وهو التوحيد الخالص – وبُعد ما بينه وبين العقائد المنحرفة التي عليها أهل الكتاب ، وقد ورد في آل عمران{ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ } آية (84)، قال الغرناطي رحمه الله: " على موضوعة لكون الشيء فوق الشيء، ومجيئه من علو، وإلى المنتهى، فقوله قولوا آمنا اختيرت فيها إلى لأنها مصدرة بخطاب المسلمين... فالمسلمون لم ينزل عليهم الوحي من السماء في الحقيقة، وإنما نزل على الأنبياء ثم انتهى من عندهم الوحي، ولما كانت آية آل عمران صُدرت بما هو خطاب للنبي ﷺ وهو قل آمنا كانت على أحق بهذا المكان لأن الوحي أُنزل عليه".[1]

[1] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل،تحقيق محمود كامل، دار النهضة العربية، بيروت، 1985،

الآية الثالثة: فقد جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن اصطفاء الله تعالى للرسل ولغيرهم، فقد تحدثت الآيات السابقة عن اصطفاء طالوت على بني إسرائيل، وتفضيل داود عليهم بإيتائه الملك والحكمة وتعليمه إياه مما يشاء، ثم خاطب نبيه محمداً ﷺ بأنه من المرسلين ،ثم ذكر من فضلهم الله سبحانه وتعالى من الأنبياء على غيرهم وهم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وذلك في قوله تعالى:{ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ } آية 253، قال أبو حيان رحمه الله: "وخص من كلَّمه الله تعالى موسى _ عليه السلام _ بالذكر لاشتهاره بهذه الخصلة العظيمة في القرآن، وثنَى بعيسى _ عليه السلام _ لأنه الناسخ لشريعته وهو آخر أنبيائهم، لما أوتيا من الآيات العظيمة، والمعجزات الباهرة، ولأن آيتيهما موجودتان، فتخصيصهما بالذكر طعن على تابعيهما حيث لم ينقادوا لهذين الرسولين العظيمين"[1]، كما أن عيسى _ عليه السلام _ جاء ليرد على المادية التي سيطرت على بني إسرائيل، وجعلتهم لا يعترفون إلا بالشيء المادي المحسوس، فعقولهم وقلوبهم أغلقت من ناحية الغيب، كما أن هذه الآية تلخص قصة الرسل والرسالات وتشير إلى اختلاف الذين جاءوا من بعدهم من الأجيال المتعاقبة في أن بعضهم آمن وبعضهم كفر وأن

ج1،ص238.

[1] أبو حيان ، محمد بن يوسف، البحر المحيط، ج2، ص 283.

الرسل قد نالهم من أقوامهم ما نالهم، فالمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول ﷺ على إيذاء قومه له وتذكيراً له بأنّ إعلامه بأخبار الأمم والرسل آية على صدق رسالته، فهذه الآية الكريمة جاءت تبين موقف بني إسرائل من قضية الإيمان وهو ما دعت إليه السورة الكريمة .

- يتبين مما سبق أن القصص الوارد في هذه السورة الكريمة جاء ليؤكد على قضية من قضايا السورة الكريمة فالحلقة من قصة آدم _ عليه السلام _ جاءت تُبين أهمية العلم جنباً إلى جنب مع العمل لاستحقاق الاستخلاف في الأرض، والحلقات من قصة موسى _ عليه السلام _ جاءت كدروس عملية لقوم استخلفوا في الأرض ولم يُحسنوا صنعاً، بل تمردوا وجحدوا ، ففي هذه الحلقات تحذير للأمة المسلمة من أخطائهم، وبيان طبيعة عدو من أعداءهم، والحلقات التي عرضتها السورة الكريمة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ فالأولى بينت قدوة حسنة دعت إلى التوحيد واستجابت لأمر ربها، كنموذج صالح يُحتذى به، وذكرت قصة طالوت والملأ من بني إسرائيل كنموذج آخرعلى المخالفة، وقصة البقرة والحلقة الثانية والثالثة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ و قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها دلت إثبات البعث والمعاد الذي أنكره بنو إسرائيل لتمسكهم بما هو مادي محسوس، وفي عرض هذه الحلقات توجيه لهذه الأمة لتلقي التكاليف وإعداد لها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض .

أما الإشارات التي ورد فيها عيسى _ عليه السلام _ الأولى جاءت في سياق الحديث عن طبيعة اليهود المستكبرة وهذا ما أطالت السورة الكريمة في بيانه، والثانية جاءت في سياق بيان وحدة دين اللّه الذي بينته السورة الكريمة من لدن آدم _ عليه السلام _ إلى الرسالة الخاتمة رسالة محمد ﷺ ، والثالثة فقد جاءت في سياق الحديث عن اصطفاء الله تعالى للرسل ، وقد ورد فيها ذكر عيسى _ عليه السلام _ إشارة لا تفصيلاً لأن هذه السورة الكريمة فصلت في بيان فضائح اليهود وجرائمهم، ولم تتوسع في مجادلة النصارى وشبهاتهم وافتراءاتهم كما جرى في سورة آل عمران،

قال السيوطي رحمه الله: "سورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به وكان خطاب النصارى في آل عمران كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب".[1]

ثانياً: سورة الأنعام:

سورة مكية[2]، بدأت ببيان استحقاق الله سبحانه وتعالى للحمد ، وتناولت القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان فوحدتها قائمة على قضية الألوهية والعبودية ، قال الشاطبي رحمة الله: " فإن السورة من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد وهادمة لقواعد الشرك"،[3] ففيها بيان الوحدانية فى الذات وفي الصفات والخلق والإنشاء والعبادة والألوهية، قال صاحب المنار:" لو سُميت سُور القرآن بما يدل على جُلّ ما تشتمل عليه كل سورة أَو على أَهمه لسُميت هذه السورة سورة عقائد الإِسلام ، أَو سورة التوحيد ، على ما جرى عليه العلماء من التعبير عن علم العقائد بالتوحيد لأنه أساسها وأَعظمُ أَركانها ، فهي مُفصِّلة لعقيدة التوحيد مع دلائلها ، وما تجب معرفته من صفات الله تعالى وآياته "،[4] وقد أفاضت السورة في إقامة الدلائل والبراهين على قدرة الله سبحانه ووحدانيته،

---

[1] السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، جدة: دار الاعتصام، 1976، ص7.

[2] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج11، ص247.

[3] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد، (790هـ) ، الموافقات في أصول الأحكام ، دار الكتب العلمية،(د .ت) ،ج3 ص205.

[4] رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج8، ص238.

قال الآلوسي رحمه الله: " قطبها دائرٌ على إثبات الصانع" [1] وقد ذكر الشيخ الغزالي العلة في ذلك فقال: "سورة الأنعام هى السورة المكية الأولى فى السبع الطوال التى بدأ بها المصحف الشريف ، والقرآن النازل كان يخاطب أول ما يخاطب الوثنيين الغافلين عن الله الجاحدين لوحدانيته، وهم قوم كانوا يتعصبون لأصنامهم ويجمدون علي مواريثهم ويقاومون بعنف كل صيحة للتحرر العقلي، بيد أن القرآن الكريم اعتمد على إطالة الإقناع ومضاعفة الأدلة والحديث عن الله سبحانه حديثًا يكشف عن عظمته ، وينبه إلى آياته فى الأنفس والآفاق ، ويستثير ما يكمن فى النفوس من خشية وإنابة ، أي يستثير بقايا الفطرة التى غطت عليها ظلمات الجاهلية،[2]كما تناولت السورة الكريمة قضية الوحي والرسالة وأخبار الرسل السابقين ، قال الغرناطي _رحمه الله_ : " السورة من أولها إلى آخرها منبهة على بسط الدلالات في الموجودات ... ولما تضمنت هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار وإبداء جهات النظر ما إذا تأمله المتأمل علم أن حجة الله قائمة على العباد ، وأن إرساله الرسل رحمة ونعمة وفضل وإحسان ، وإذا كانت الدلالات مبسوطة والموجودات شاهدة مفصحة ، ودلالة النظر من سمع وإبصار وأفئدة موجودة ، فكيف يتوقف عاقل في عظيم رحمته تعالى بإرسال الرسل ، فتأكدت الحجة وتعاضدت البراهين"،[3]كما تناولت السورة الكريمة قضية البعث وأقامت الحجة على منكريه قال القرطبي رحمه الله: " قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور"،[4]فالسورة قائمة على تركيز القواعد الأساسية الثلاث التي كان

---

[1] الآلوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني، ج7، ص77.

[2] الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن،ص 84.

[3] الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، البرهان في ترتيب سور القرآن، ص95 ،99.

[4] القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري(671هـ) ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض،2003م ، الجامع لأحكام القرآن،ج6،ص383.

المشركون يومئذ يتنازعون فيها إثبات الوحدانية لله سبحانه ودحض قواعد الشرك، وبيان مصدر الرسالة ، والرد على منكرى البعث ، قال البقاعي: " هي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة والقدرية وأهل الملل الزائغة ، وعليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب الملحدين"[1].

علاقة القصص الوارد في سورة الأنعام بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

عرضت سورة التوحيد حلقة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ المتعلقة بمناظرته مع قومه وذلك لإقامة الحجة على مشركي العرب، إذ أن التذكار بقصة إبراهيم _ عليه السلام _ مع أبيه وقومه جاء لبيان أن إنكار النبي محمد ﷺ عليهم عبادة الأصنام هو مثل إنكار جدّهم إبراهيم _ عليه السلام _ على أبيه وقومه عبادتها وفي ذلك التنبيه على اقتفاء من سلف من صالحي الآباء والأجداد وهم وسائر الطوائف معظمون لإبراهيم _ عليه السلام _ ، [2] فجاءت هذه الحلقة من قصته _ عليه السلام _ لتُوظّف في إنارة قضية الشرك وما يقابلُه من التوحيد، كما أشارت إلى كل من إسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط عليهم السلام جميعاً في سياق بيان وحدة الرسالة ودعوتهم عليهم السلام إلى التوحيد.

وقد ورد الحديث عن عيسى _ عليه السلام _ في هذه السورة في قوله تعالى:{ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ } آية 85، إبطالاً لألوهيته وتوبيخاً للكفرة على

---

[1] البقاعي ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر ،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج2 ص رقم 578.

[2] يُنظر أبو حيان ، محمد بن يوسف، البحر المحيط، ج4، ص168–169.

اعتقادهم الفاسد وافترائهم الباطل وذلك إثباتاً لوحدانية الله سبحانه وتعالى وهي قضية السورة ومدارها، كما أن ذكره _ عليه السلام _ جاء في سياق الحديث عن موكب جليل من الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى، بياناً لوحدة الدعوة، وتقريراً لمصدر الهدى ، حيث أُعقب ذكر هذا الموكب بقوله تعالى: { ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ } الآيات 88- 90،

وذكر الإمام الرازي رحمه الله أنه _ عليه السلام _ ذُكر في سياق تعداد الله تعالى نعمه على إبراهيم _ عليه السلام _ فذكر إيتاءه الحجة على قومه ، وأشار إلى رفع درجاته وذكر ما منّ به عليه من هبته له هذا النبي الذي تفرعت منه أنبياء بني إسرائيل ، ومن أعظم المنن أن يكون من نسل الرجل الأنبياء والرسل، فالمقصود بيان كرامة إبراهيم _ عليه السلام _ بحسب الأولاد وبحسب الآباء.[1]

- يتبين مما سبق العلاقة الوطيدة بين الحلقات والإشارات من قصص الأنبياء وبين موضوع السورة الأصيل الذي تمثل في إثبات الوحدانية لله سبحانه وبيان مصدر الرسالة، فالحلقة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ سيقت لإثبات الوحدانية لله سبحانه، والإشارت إلى كل من إسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس

[1] يُنظر الرازي ، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج7، ص53-54.

ولوط _عليهم السلام_ جميعاً جاءت في سياق بيان وحدة الرسالة ودعوتهم عليهم السلام إلى التوحيد.

أما الإشارة عن عيسى _ عليه السلام _ في هذه السورة فقد سيقت لبيان وحدة الدعوة ووحدة الرسالة ، وتقريراً لمصدر الهدى ، إثباتاً لوحدانية الله سبحانه بإبطال ألوهية غيره.

ثالثاً: سورة التوبة:

هذه السور مَدَنيّة بالاتِّفاق[1]، وهي تدور حول قضية "تحرير حكم المخالف" ،[2] ففيها بيان القانون الإسلامي في معاملة المشركين وأهل الكتاب ، وقد اشتملت السورة الكريمة على العهود الموثقة ، ونقض المشركين لها والبراءة ممن ينقضونها ، قال صاحب المنار رحمه الله: " فيها من أصول الدين وفروعه ، والسنن الإلَهية والتشريع وجله في أَحكام القتال ، وما يتعلَق به من الاستعداد له ، وأَسباب النَصر فيه ، وغير ذلك من الأمور الروحيَة والماليَة وغيرها بين المُؤمنين بعضهم مع بعض ، والكافرين بعضهم مع بعض ، كذا أَحوالُ المؤمنين الصَّادقين والكُفَّار والمُذَبذَبين من المُنافِقين ومرضى القُلُوب" ،[3] وفيها بيان لفضل الجهاد وأنه سياحة المؤمن، وتحريض المسلمين على القتال في سبيل الله ، ونصر النبي ﷺ ونصرة الدين ، [4] كما أن فيها موجبات القتال ومبرراته، قال سعيد حوى رحمه الله في تفسيره: " هذه السورة ثلاثة أقسام، تركز في قسمها الأول على المقدمات الكبرى التي ترتكز عليها انطلاقة الجهاد، وفي قسمها الثاني تطالب بالنفير العام،

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج14، ص93.

[2] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير،(708 هـ)، البرهان في ترتيب سور القرآن، تحقيق محمد شعباني، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف، ط1، 1993ص107.

[3] رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،ج10، ص 132.

[4] يُنظر أبو زهرة ، محمد ، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج1، ص3214-3220.

وفي قسمها الثالث تطالب بقتال الأقرب فالأقرب مع بيان الأخلاق التي لا بد منها لإقامة الجهاد الإسلامي"[1] فالقتال الذي أمر به الله تعالى في هذه السورة هو لتحفيز المنافقين للعودة إلى الله والتوبة إليه، وفيها تأْكيد رسالة محمد ﷺ الصّادق المحقّ، وختمت السورة الكريمة ببيان فضل الله تعالى ورحمته بعباده بإرساله محمد ﷺ الرؤوف الرحيم فإن كان سبحانه وتعالى حرم الكفار والمنافقين من الرحمة في أول السورة بعدم ذكر البسملة، فإنه أعطاهم في آخرها رحمة ورأفة برسول الله ﷺ ، فالشدة في سورة التوبة إنما هي رحمة من الله تعالى لأنها تحث على التوبة وتفتح بابها حتى لأشد الناس كفراً ونفاقاً ومعصية،[2] فالسورة الكريمة بينت أحكام الجهاد الإسلامي ومبرراته في حق مخالفيه، كما أنها فتحت باب التوبة وحثت عليه .

علاقة القصص الوارد في سورة التوبة بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة تتألف وحدتها من ثلاثة أقسام كما يرى سعيد حوى رحمه الله:

القسم الأول: تحدث عن موجبات قتال المشركين وأهل الكتاب ومبرراته ، فهو يذكر المقدمات الكبرى التي ترتكز عليها انطلاقة الجهاد، القسم الثاني: يُطالب النفير العام للقتال في سبيل الله ، وبيان موقف الناس من هذا النفير، والحديث عن المنافقين وفضح أفاعيلهم في المجتمع المسلم ، القسم الثالث: تحديد استراتيجية الحركة الجهادية في الإسلام، وتحديد أولويات القتال، [3] تحدثت السورة الكريمة عن عيسى _ عليه السلام _ في قسمها الأول في سياق الحديث عن بيان السبب الباعث المبيح لقتال أهل الكتاب المنحرفين عن دين اللّه، والموجب لنكالهم حتى يعطوا الجزية عن

---

[1] حوى، سعيد، الأساس في التفسير،ج4، ص2214.

[2] يُنظر نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف أ.د مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، 2010، ج3، ص187-193.

[3] يُنظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير،ج4، ص2214، 2219، ،2279، 2375.

يد وهم صاغرون بذكر طرف من قبائحهم وافتراءاتهم على الله _سبحانه وتعالى_ بنسْبتهم الولد له ، فقد زعم اليهود أن عزير ابن الله ، كما زعمت النصارى أن المسيح ابن الله فكانوا مثل المشركين الذين أشركوا فى عبادة الله المخلوقات، فاستحقوا بذلك ما قُرر في حقهم.[1]

فذُكر فيها عيسى _ عليه السلام _ لبيان بطلان افترائهم في حقه _ عليه السلام _، حيث ادعوا أنه ابن الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً– وبين تعالى أن قولهم هذا لا بيان فيه ولا برهان، فهو قول أرادوا به مشابهة الذين كفروا من قبلهم ، فقولهم هذا موجب لقتالهم، وذلك في قوه تعالى: { وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ }الآيات (30–31)،

كما ورد في السورة الكريمة إشارات عن نوح _ عليه السلام _ وعن عاد قوم هود _ عليه السلام _، وعن ثمود قوم صالح_ عليه السلام _، وعن قوم إبراهيم _ عليه السلام _، وعن أصحاب مدين، وعن قوم لوط لبيان مُشابهة هؤلاء المنافقين بمن قبلهم من الكفار في حب الدنيا وإيثارها اغتراراً بما لديهم من قوة وأموال وأولاد، وفي كفرهم بأنبيائهم وإيذائهم إيذاءاً شديداً، فجميعها وردت كأمثلة تحذرمن المخالفة إتقاءاً للعقاب، كما تحدثت عن إبراهيم _ عليه السلام _ في سياق إظهار المبالغة في البراءة من المشركين والمنافقين والمنع من مواصلتهم ولو كانوا في غاية

[1] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، م3، ج 10 ، ص 1620–1625.

القرب، قال الإمام الرازي رحمه الله: " اعلم أنه تعالى لما بين من أول هذه السورة إلى هذا الموضع وجوب إظهار البراءة عن الكفار والمنافقين من جميع الوجوه بين في هذه الآية أنه تجب البراءة عن أمواتهم، وإن كانوا في غاية القرب من الإنسان كالأب والأم، كما أوجبت البراءة عن أحيائهم، والمقصود منه بيان وجوب مقاطعتهم على أقصى الغايات والمنع من مواصلتهم بسبب من الأسباب".[1]

- يتبين مما سبق الارتباط الوثيق بين الإشارات من قصص الأنبياء في هذه السورة الكريمة وبين موضوعها الأصيل الذي تمثل في بيان أحكام الجهاد الإسلامي ومبرراته في حق مخالفيه ، فقد ذُكر فيها عيسى _ عليه السلام _ لبيان السبب الباعث المبيح لقتال أهل الكتاب المنحرفين عن دين اللّه وهو افتراءهم _ عليه السلام _ بنسْبتهم الولد له والإشارات الواردة عن نوح _ عليه السلام _ وعن عاد قوم هود، وعن قوم ثمود، وعن قوم إبراهيم _ عليه السلام _، وعن أصحاب مدين، وعن قوم لوط لبيان مُشابهة هؤلاء الكفار بمن قبلهم من كفارالأقوام السابقة في حب الدنيا وإيثارها اغتراراً بما لديهم من قوة وأموال وأولاد، وفي كفرهم بأنبيائهم وإيذائهم إيذاءاً شديداً، أما الحديث عن إبراهيم _ عليه السلام _ فقد جاءت في سياق إظهار المبالغة في البراءة من المشركين والمنافقين حتى ولو كانوا أولي قربى.

رابعاً: سورة الأنبياء:

هذه السورة مكية [2]، وهي تعالج الموضوع الرئيس الذي تعالجه السور المكية وهو موضوعالعقيدة، تعالجه في ميادينه الكبيرة: ميادين التوحيد ، والرسالة والبعث ،[3] فتعالج موضوع الرسالة من خلال

---

[1] الرازي ، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج9، ص165.

[2] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج18، ص409.

[3] قطب، سيد، في ظلال القرآن،م 4 ،ج17، ص 2364.

حديثها عن سلسلة من الأنبياء وعرض جانباً من قصصهم كأدلة تدحض به أقوال الكافرين بالوحي والمُعرضين عنه، تؤكد بذلك على بشرية هؤلاء الرسل عليهم السلام ، و تؤكد كذلك على تمام رحمة الله سبحانه وتعالى بهم وعنايته لهم فهي كما يقول شيخ الاسلام: " سورة الذكر، وسورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر"[1]، كما عالجت كذلك موضوع البعث والاستدلال عليه ، وأوردت دلائل شتى عليه، وأقامت الحجة على منكريه ، قال البقاعي رحمه الله : " مقصودها الاستدلال على تحقق الساعة وقربها ولو بالموت ، ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير ، لأن موجدها لا شريك له يعوقه عنها ، وهو من لا يبدل القول لديه ، والدال على ذلك أوضح دلالة مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام.[2]

علاقة القصص الوارد في سورة الأنبياء بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة تتألف وحدتها من أربع أشواط كما يرى صاحب الظلال _رحمه الله_:

تعرض في شوطها الأول الذي شمل الآيات من (1–35) مشهداً من مشاهد القيامة يلفت به أنظار من غفلت قلوبهم إلى الخطر القريب المحدق، وتبين لهم مصيرهم المحتوم إذا أصروا على ما هم عليه بعرض مشهد من مصارع الغابرين، الذين كانوا عن آيات ربهم غافلون ، وتعرض في شوطها الثاني الذي اشتمل على الآيات (36–47) حال الكفار الذين يواجهون الرسول ﷺ بالسخرية والاستهزاء وتذكرهم بما أصاب المستهزئين بالرسل من قبلهم، وتستعرض في شوطها الثالث الذي اشتمل على الآيات (48–92) أمة النبيين، وجهاد الرسل وبلائهم في سبيل الحق، وعناية الله بهم ورعايته لهم، وفيه تتجلى وحدة الرسالة والعقيدة ، وتعرض في شوطها الأخير الذي

---

[1] ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى ابن تيمية، قسم التفسير، سورة الأنبياء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995، ج4، 357.

[2] البقاعي ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر ،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ج5،ص63.

اشتمل على الآيات (93–112) النهاية والمصير، في مشهد من مشاهد القيامة فتتلاحم السورة في بدايتها ونهايتها وفي جوها وضمونها،[1]وقد ورد في هذه السورة الكريمة إشارة إلى موسى وهارون _عليهما السلام_، وحلقة من قصة إبراهيم _ _عليه السلام _ المتعلقة بتحطيم الأصنام ومجادلة قومه في شأنهم ودعوتهم إلى توحيد الله سبحانه وإفراده بالعبودية، كما ورد فيها إشارات إلى كلٍ من إسحاق ويعقوب ولوط ونوح وداود وسليمان وأيوب واسماعيل وإدريس ويونس وزكريا عليهم السلام جميعاً، قال الإمام الرازي رحمه الله: " اعلم أنه سبحانه لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام، تسلية للرسول _ عليه السلام _ فيما يناله من قومه وتقوية لقلبه على أداء الرسالة والصبر على كل عارض دونها". [2]

أما الإشارة إلى مريم وعيسى _عليهما السلام_ فقد جاء في شوطها الثالث الذي استعرض أمة النبيين، وذلك في قوله تعالى:{ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ } آية 91 وذلك في سياق الحديث عن سلسلة هؤلاء الأنبياء والتنويه بفضلهم وبيان نعم الله عليهم، بالثناء على مريم _عليها السلام _، وبيان فضلها بذكر ما اختصت به من إحصان فرجها ونفخ الروح فيها، إشارةً إلى عبوديته _ عليه السلام _ وكونه نبياً من هؤلاء الأنبياء وتقرير الحق فيه _ عليه السلام _، وتنزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد، والاستدلال على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وكذلك لبيان وحدة الرسالة، وقد ورد في سورة التحريم قوله تعالى: { وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا

[1] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن،م 3 ،ج17، ص 2364–2365.

[2] الرازي ، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج12، ص154.

وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ } آية 12، قال الغرناطي رحمه الله: "

الضمير في الأولى { فَنَفَخۡنَا فِيهَا } عائد على ما أُشير إليه بالموصول الذي هو التي وهي مريم _عليها السلام_، أُعيد إليها هنا من حيث أن ذلك تخصيص وتكريم جليل، وآية باهرة وقد قُصد ههنا تشريفها وتشريف ابنها _عليهما السلام_، فلما اتسع المقصود ههنا بذكر من لم يُذكر هناك، وقُصد منه التشريف ، ناسبه التوسعة في عود الضمير، فأُعيد إلى الذات المطهرة بجملتها، أما آية التحريم فلم يُقصد منها التوسع في المدح، وإنما قُصد بها تخصيصها في ذاتها بعِظَم إيمانها، وإثباتها من القانتين، وتشبيه حالها في سابق سعادتها بالمذكورة قبلها".[1]

- يتبين مما سبق العلاقة الوطيدة بين الحلقات والإشارات من قصص الأنبياء وبين موضوع السورة الأصيل الذي تمثل في معالجة قضية التوحيد ومعالجة قضية الرسالة ، فالسورة الكريمة تشتمل على إشارات من قصص النبيين ، وصلبها الدعوة إلى التوحيد ، وما لقيه النبيون فى سبيل هذه الدعوة التى هى الحق ، وضل من يعاندها،[2] فالحلقة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ سيقت لتأكيد الوحدانية لله سبحانه وإفراده بالعبودية، والإشارات عن موسى وهارون وإسحاق ويعقوب ولوط ونوح وداود وسليمان وأيوب واسماعيل ويونس وزكريا عليهم السلام جميعاً جاءت في سياق بيان نعم الله عليهم، وكذلك بيان وحدة الرسالة، وما ورد فيها من ذكر مريم وعيسى _عليهما السلام_ سيق تأكيداً لعبوديته _ عليه السلام _ وكونه نبياً من هؤلاء الأنبياء ، وتنزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد، والاستدلال على وحدانية الله سبحانه وتعالى وكذلك لبيان وحدة الرسالة.

---

[1] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل، ج2، ص 847.

[2] يُنظر أبو زهرة ، محمد ، زهرة التفاسير، ج1، ص4828.

خامساً: سورة المؤمنون:

هذه السورة من السور المكية[1] ، وهي سورة الإيمان، بكل قضاياه ودلائله وصفاته، قال الشاطبي رحمه الله: "سورة المؤمنين نازلة في قضية واحدة وإن اشتملت على معان كثيرة، فإنها من المكيات، وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان أصلها معنى واحد، وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى، أحدها : تقرير الوحدانية لله...والثاني : تقرير النبوة للنبي محمد ...ﷺ والثالث : إثبات أمر البعث والدار الآخرة... وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها فراجع إليها في محصول الأمر...فإذا تقرر هذا وعدنا إلى النظر في سورة المؤمنين مثلاً وجدنا فيها المعاني الثلاثة على أوضح الوجوه، إلا أنه غلب على نسقها ذكر إنكار الكفار للنبوة التي هي المدخل للمعنيين الباقيين فسورة المؤمنين قصة واحدة في شيء واحد."[2] ، فقد استعرضت صفات المؤمنين التي تميزهم عن غيرهم ، واستطردت في بيان دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق ، وبيان حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله _ صلوات الله عليهم _ من لدن نوح _ عليه السلام _ إلى محمد ﷺ خاتم الرسل والنبيين ، كما تحدثت عن تفرق الناس – بعد الرسل – وتنازعهم حول تلك الحقيقة الواحدة.[3]

علاقة القصص الوارد في سورة المؤمنين بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة تتألف وحدتها من مقدمة وأربعة أشواط كما يرى صاحب الظلال _رحمه الله_:

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج19، ص694.

[2] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد ، الموافقات في أصول الأحكام، ج3 ص312.

[3] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن،م3، ج18، ص 282.

المقدمة: تقرر الفلاح للمؤمنين وتبين صفات هؤلاء المؤمنين الذين كتب لهم الفلاح وذلك في الأيات من(1 – 11)، الشوط الأول: يذكر دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق وذلك في الأيات من(12 – 23)، الشوط الثاني: يعرض حقيقة الإيمان ، حقيقته الواحدة التي توافق عليها الرسل جميعاً دون استثناء وذلك في الأيات من (24–52)، الشوط الثالث: يتحدث عن تفرق الناس – بعد الرسل – وتنازعهم حول تلك الحقيقة الواحدة وذلك في الأيات من (53 – 98).

الشوط الرابع: يعرض مشاهد للإحتضار والبعث والحشر ومصير المؤمنين والكافرين. وذلك في الأيات من(99 – 188)،[1] عرضت السورة الكريمة قصصها في شوطها الثاني الذي عرض حقيقة الإيمان الواحدة التي توافق عليها الرسل جميعاً، فبدأت بحلقة من قصة نوح _ عليه السلام _ التي تتحدث عما يحول بين الإنسان، وبين الإيمان من اتباع، والرضا بالذل والمهانة والاستضعاف [2]والتي أكدت على التوحيد قال تعالى: { وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ } آية 23 ، وحلقة من قصة هود _ عليه السلام_ _على الراجح من أقوال المفسرين [3] _ والتي تدور كلها حول قضية البعث التي يؤمن بها المؤمنون

---

[1] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن،م 4 ،ج18، ص2452–2453.

[2] يُنظر عباس ،أ.د. ،فضل حسن، قصص القرآن الكريم، ص201.

[3] قال الشوكاني رحمه الله: " قال أكثر المفسرين : إن هؤلاء الذين أنشأهم الله بعدهم هم عاد قوم هود ، لمجيء قصتهم على إثر قصة نوح في غير هذا الموضع ، ولقوله في الأعراف : { واذكروا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ } [الأعراف : 69]" الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1250هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، دار الفكر، ج4 ص481.

دون غيرهم[1] والتي أكدت كذلك على التوحيد قال تعالى: { فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ } آية 32 ، وحلقة من قصة موسى وهارون _عليهما السلام_ التي بينت دافعاً آخر لعدم الإيمان وهو الاستكبار والعلو عن الإيمان لكون المرسلين بشر[2].

أما الإشارة إلى عيسى ابن مريم وأمه –عليهما السلام_ فقد وردت في سياق الحديث عن وحدة دعوة الرسل وعناية الله ورعايته لهم وذلك في قوله تعالى: { وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ } آية 50 فبينت الآيات إيواء الله لهما _عليهما السلام_ في مكان ذا استقرار وماء زلال جارٍ على وجه الأرض ، وذكر البقاعي رحمه الله أنه لما كانت آية عيسى _ عليه السلام _ العظمى في ذاته أي في كيفية تكوينه كان الاهتمام بذكرها هنا، فإن نسبتَهُ _ عليه السلام _ إليها _مع أن النسب إلى الآباء_ دالة على أنَّ لا أبَ له، فولادة عيسى _ عليه السلام _ من غير أب مظهر عظيمٍ من مظاهر قدرته سبحانه وتعالى الدالة على التوحيد والبعث. [3]

- يتبين مما سبق كمال الاتصال بين الحلقات والإشارات من قصص الأنبياء وبين سورة الإيمان، فالحلقات الواردة عن نوح وموسى _عليهما السلام_ بينت كل واحدة منهما سبباً يحول دون الإيمان بالرسل عليهم السلام، أما الحلقة من قصة هود _ عليه السلام _ التي دارت حول قضية البعث فقد

---

[1] يُنظر عباس ،أ.د. ،فضل حسن، قصص القرآن الكريم، ص222.

[2] يُنظر عباس ،أ.د. ،فضل حسن، قصص القرآن الكريم، ص551.

[3] يُنظر البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، ج5، ص 200–205 .

دلت على على أن إنكار البعث من أسباب عدم إيمان الأقوام بأنبيائهم ، وكذلك الإشارة إلى مريم وابنها _عليهما السلام_ التي جاءت في سياق بيان وحدة دعوة الرسل وعناية الله ورعايته لهم ، وأكدت كذلك على التوحيد والبعث، فولادته _ عليه السلام _ من غير أب مظهر عظيمٍ من مظاهر قدرته سبحانه وتعالى الدالة على التوحيد والبعث.

سادساً: سورة الأحزاب:

هذه السورة مدنية [1]، وهي محاطة بظلال من الرحمة واللطف والبشارة، قال الغرناطي _رحمه الله _: " فحاصلها البشارة والتأنيس والرحمة واللطف والنعمة". [2] ولها ثلاثة محاور رئيسية: المحور الأول: يدور حول تحديد أُطر الحياة في المجتمع الإسلامي وربطها بالأصل الكبير وهو العقيدة والاستسلام لله سبحانه وتعالى ولقدره، قال البقاعي رحمه الله: " مقصودها الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق من غير مراعاة بوجه ما للخلائق ، لأنه عليم بما يصلحهم ، حكيم فيما يفعله فهو يعلي من يشاء وإن كان ضعيفاً ، ويردي من يريد وإن كان قوياً ، فلا يهتمن الماضي لأمره برجاء لأحد منهم في بره ولا خوف منه في عظيم شره وخفي مكره"، [3] المحور الثاني: المحور الرئيس الثاني يدور حول النبي ﷺ وتشريفه وتنزيهه مع أزواجه والمؤمنين ، كما أنها تصور ما يعرض له ﷺ من إيذاء، قال ابن عاشور رحمه الله : " افتتاح السورة بخطاب النبي ﷺ مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي ﷺ "،[4]المحور الثالث: الحديث عن

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج20، ص202.

[2] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، البرهان في ترتيب سور القرآن، ص147–149.

[3] البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، ج6،ص 67.

[4] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج21، ص249.

غزوة الأحزاب التي سُميت السورة بها، والحديث عن نعمة الله على النبي ﷺ وأصحابه الكرام بالنصر المؤزرعلى قوى الباطل في هذه الغزوة. [1]

علاقة القصص الوارد في سورة الأحزاب بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة تتألف وحدتها من مقطعين وخاتمة كما يرى صاحب الظلال _رحمه الله_ :

المقطع الأول:عرض توجيهات للنبي ﷺ وللأمة الإسلامية وحدد الطريق العملي للسلوك القويم في قسمه الأول في الآيات من (1 – 8) وقسمه الثاني في الآيات من (28 –62)، المقطع الثاني: عرض مشاهد ولقطات من غزوة الأحزاب في الآيات من (9 – 27)، الخاتمة: عرضت مشاهد من القيامة وحقيقة الحساب والجزاء والعقاب. في الآيات من (63 – 73)،[2] ورد في هذه السورة الكريمة إشارات إلى كل من محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام جميعاً في مقطعها الأول في سياق الحديث عن ميثاق الله تعالى مع النبيين عامة، والنبي ﷺ وأولي العزم من الرسل خاصة ، الذي تمثل في حمل أمانة الدين والاستقامة عليه وتبليغه للناس، وذلك في قوله تعالى: { وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ } آية 7 ، قال القرطبي رحمه الله: " وقد خص الله سبحانه بالذكر هؤلاء الخمسة من الأنبياء وإن دخلوا في زمرة النبيّين لبيان أنه ميثاق واحد مطرد من لدن نوح _ عليه السلام _ إلى خاتم النبيين محمد ﷺ ومنهج واحد ، وأمانة واحدة ، وكذلك مزيد شرف وفضل لهم لكونهم أصحاب أكبر الرسالات ، وأهلُ الشرائعِ والكتب، وهم أُوْلُو العَزْمِ

---

[1] يُنظر التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج6، ص64–65.

[2] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن،م 4 ،ج21،ص 2819–2821. بتصرف

من الرُّسُلِ، فذكر موسى وعيسى –عليهما السلام_ لأن اليهودية والمسيحية ديانتان معاصرتان لدعوة رسول الله ﷺ، حيث كان اليهود في المدينة، والنصارى في نجران، فذكرهما احتجاجاً على قومهما، وإبراهيم _ عليه السلام _ لأنه أبو الأنبياء ولأن العرب كانت تؤمن به، ونوح _ عليه السلام _ لأنه كان أصلاً ثانياً للناس حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان فهو أبو البشرية الثاني"، [1] وكذلك في سياق أخذ الميثاق من الأنبياء عليهم السلام بوجوب الإيمان بالنبي ﷺ ونصرته، قال ابن كثير_رحمه الله_: " فبدأ في هذه الآية بالخاتم ؛ لشرفه – صلوات الله وسلامه عليه – ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم".[2]

سابعاً: سورة الشورى:

هذه السورة الكريمة مكية كلّها عند الجمهور [3]، تحدثت هذه السورة الكريمة عن حقيقة الوحدانية لله سبحانه وذكرت دلائلها، وعن حقيقة القيامة والإيمان بها؛ وذكرت الآخرة ومشاهدها في مواضع متعددة منها ، كما تناولت عرض صفات المؤمنين وأخلاقهم التي يمتازون بها، [4] إلا أن آيات هذه السورة الكريمة تدور حول قضية الوحي والرسالة قال سعيد حوى _رحمه الله_ : " ركزت السورة الكريمة على حقيقة الوحي والرسالة وتعيين القيادة الجديدة ممثلة بالرسالة الأخيرة، وذلك بعد أن آلت البشرية إلى فوضى وارتياب ولم تعُد لها قيادة راشدة تقوم على نهج ثابت قويم،

---

[1] يُنظر القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج4،ص127–132.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2،1999م ،ج6، ص382.

[3] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج21، ص497.

[4] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، م5، ج25، ص3132–3139.

لاختلاف أتباع الرسل وزيغهم عن الحق، فبينت أن هذه الرسالة الأخيرة المختارة لختام الوحي هي امتداد لما قبلها من الرسالات". [1]

علاقة القصص الوارد في سورة الشورى بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة تتألف وحدتها من مقدمة ومقطع وخاتمة كما يرى سعيد حوى _رحمه الله_:

المقدمة : تُبين مضمون الرسالات السماوية، ومهمة النبيﷺ، وحكمة الوحي، بعد بيان اتصاف الله سبحانه وتعالى بالحكمة والعزة وكونه مالك للسموات والأرض، لتقرر وحدة الدين ووحدة المنهج، وتشمل الآيات من (1–6)، المقطع: يُبين حِكمة إنزال القرآن الكريم ، ويعرض آيات كونية ونفسية دالة على الوحدانية، كما يذكر بعض صفات المؤمنين، وتشمل الآيات من (7–51)، الخاتمة : تذكر بعض خصائص القرآن الكريم وتشمل الآيات من (52–53)،[2] أشارت السورة الكريمة في قسمها الأول إلى كل من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام جميعاً في سياق الحديث عن وحدة الدين من لدن نوح _ عليه السلام _ أول الرسل إلى محمد ﷺ آخرهم، وذلك في قوله تعالى: { شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ } الشورى 13، وذَكر أبو حيان

[1] يُنظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ج9،ص5062–5064.

[2] يُنظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ج9، ص 5063–5113.

رحمه الله أن في ذكر عيسى _ عليه السلام _ استمالة لقلوب أتباعه الذين كانوا موجودين زمن بعثة رسول الله ﷺ للإيمان.[1]

- يتبين مما سبق العلاقة الوطيدة بين الإشارات الواردة عن بعض الأنبياء وبين وحدة سورة الشورى، إذ بينت وحدة الشرائع ووحدة الدين من لدن نوح _ عليه السلام _ أول الرسل إلى محمد ﷺ آخرهم، وذلك لتعيين القيادة الجديدة ممثلة بالرسالة الأخيرة، وذلك بعد اختلاف أتباع الرسل وزيغهم عن الحق، فبينت أن هذه الرسالة الأخيرة المختارة لختام الوحي هي امتداد لما قبلها من الرسالات وهذا ما ركزت عليه السورة الكريمة.

ثامناً: سورة الحديد:

قال ابن عاشور رحمه الله: "اختُلف في كون هذه السورة مدنية أو مكية اختلاف قوي لم يختلَف مثلَه في غيرها [2]، فقال الجمهور : سورة مدنية، وقال غيرهم إن صدرها مكي ، وقد بين د. فضل رحمه الله أنها مدنية فقال: "والصحيح مدنيتها" .[3] والراجح والله أعلم مدنيتها.

هذه السورة الكريمة من السور التي عنيت بالتشريع والتربية والتوجيه وبناء المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصافية فهي تعمق قضية الإيمان وتبين ما يحقق ذلك ، قال سيد قطب رحمه الله: "مدار السورة تحقيق حقيقة الإيمان في القلب ؛ وما ينبثق عن هذه الحقيقة من خشوع وتقوى ، ومن خلوص وتجرد ، ومن بذل وتضحية"،[4] ، كما تُبين وحدة الرسالة في جوهرها وكتابها وميزانها، وتتحدث عن نوعين من الناس الأول: انحرفوا عن الحق وهم الماديون الذين أخذتهم الحياة

---

[1] أبوحيان ،محمد بن يوسف، البحر المحيط، ، ج7،ص485–490.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج27،ص534–535.

[3] عباس، أ.د. ،فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ص 392.

[4] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م5، ج 27 ، ص 3475.

وخاطبهم الله تعالى بقوله:{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ } آية 16، الثاني: وهم الذين عاشوا في روحانية مطلقة وخاطبهم الله تعالى:{ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾} آية 27، والنموذجان لم يستطيعا أن يؤديا مهمة حمل الرسالة ، فجاءت هذه السورة تدعو المسلمين إلى التوازن بين المادية والروحانية ، وذلك بتحقيق الإيمان في ذاتهم.[1]

علاقة القصص الوارد في سورة الحديد بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة تتألف وحدتها من مقدمة ومقطع وخاتمة كما يرى سعيد حوى _رحمه الله_.

المقدمة: تتحدث عن الله سبحانه وانفراده بصفات الجلال ونعوت الكمال، المقطع: يأمر بالإيمان بالله تبارك وتعالى وبرسوله ﷺ ويبين ما يحقق ذلك، ويحث على الإنفاق في سبيل الله، الخاتمة: تأمر بالتقوى وتبين ما وعد الله عباده المؤمنين المُتقين،[2]أشارت السورة الكريمة في مقطعها إلى نوح وإبراهيم وعيسى عليهم السلام في سياق عرضها لنماذج انحراف الناس عن الحق وذلك لنتجنب مثل هذا الانحراف، وذلك بعد أن بيَنت ما يحقق الإيمان في القلوب ويقرره في النفوس، و

---

[1] يُنظر السامرائي، فاضل صالح، لمسات بيانية في نصوص التنزيل، دار الشؤون الثقافية العامة،1999، ص 201−204.

[2] يُنظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ج10، ص5745−5747.

ما يترتب عليه من خشوع وتقوى وبذل وعطاء، وبيان زيف الدنيا بالقياس للآخرة، وكان النموذج الأول ما بعد نوح وإبراهيم _عليهما السلام_ وهم الذين قست قلوبهم، وقد خصهما تعالى بالذكر (أي نوح وإبراهيم –عليهما السلام_) تشريفاً لهما ، قال الإمام الرازي رحمه الله: " لما ذكر تعالى إرسال الرسل جملة ، أفرد منهم في هذه الآية نوحاً وإبراهيم ، –عليهما السلام– ، تشريفاً لهما بالذكر ، أما نوح ، فلأنه أول الرسل إلى من في الأرض ؛ وأما إبراهيم ، فلأنه انتسب إليه أكثر الأنبياء عليهم السلام ، وهو معظم في كل الشرائع ، ثم ذكر أشرف ما حصل لذريتهما ، وذلك النبوة ، وهي التي بها هدي الناس من الضلال"، [1]أما النموذج الثاني فهم أتباع عيسى _ عليه السلام _، وهم الذين ابتدعوا الرهبانية من لقاء أنفسهم ومع ذلك لم يطبقوا ما ألزموا به أنفسهم ، وذلك في قوله تعالى:{ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } آية 27

- يتبين مما سبق كمال التلاحم والاتصال بين الإشارات الواردة عن بعض الأنبياء وبين وحدة هذه السورة الكريمة حيث ذُكرت هذه الإشارات كنماذج لانحراف الناس عن الحق وذلك لنتجنب مثل هذا الانحراف، في سياق تعمقيها لقضية الإيمان في نفوس المسلمين، وتوجيهها وتربيتها لهم لبناء مجتمع إسلامي على أساس عقيدة سليمة صافية بعيدة عن الانحراف والضلال.

تاسعاً: سورة التحريم:

هذه السورة الكريمة مدنية[2]، وهي كما يقول صاحب الظلال: " تعرض في صدرها صفحة من الحياة البيتية لرسول الله ﷺ ، كما تعرض صورة من الانفعالات بين بعض نسائه فيما بينهن ،

[1] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج16، ص213.

[2] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج23، ص475.

وبينهن وبينه ﷺ ، وتُبين كذلك توجيهات عامة للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله ﷺ، " [1] كل ذلك في إطار تقديم القدوة الحسنة لتهيئة البيت المسلم المتحلي بالآداب الحميدة.

علاقة ذكر مريم _عليها السلام_ بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة تتألف وحدتها من مقطعين كما يرى سعيد حوى _رحمه الله_.

المقطع الأول: عرض جانباً من حياة النبي ﷺ ، وقدم فيه دروساً وعبراً للأُسر المسلمة، المقطع الثاني: دعا المؤمنين إلى وقاية أنفسهم وأهليهم من النار بالتوبة ومجاهدة الكفار والمنافقين، [2] وقد ورد فيها الإشارة إلى كل من امرأة نوح _ عليه السلام _، وامرأة لوط _ عليه السلام _ كمثلٍ للكفر في بيت مؤمن، وكذلك الحديث عن امرأة فرعون كمثلٍ للإيمان في بيت كافر، وكذلك الحديث عن مريم _عليها السلام_ كمثلٍ للمرأة التي لم يضرها صلتها بالكفار بل كانت ممن كمُل من النساء هي وامرأة فرعون، قال رسول الله ﷺ : " كَمُل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام "[3]، وذلك في مقطع السورة الثاني في سياق ضرب المثل للكفار لبيان أنه لا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان ، وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الأنبياء، وذلك في قوله تعالى:{ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م5،ج28، ص3605−3609.

[2] يُنظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ج10، ص5996−6010.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى {وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون} إلى قوله {وكانت من القانتين} ، حديث رقم 3230، ومسلم، أبوالحسين بن الحجاج ،صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها2431.

عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ }آية 12 ، قال الإمام إبن قيم رحمه الله تعالى: " فالكافر يعاقب على كفره وعداوته لله ورسوله وأوليائه ، ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لُحمة نسب ، أو وصلة صهر ، أو سبب من أسباب الاتصال ، فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة ، إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده على أيدي رسله" . [1]

- يتبين مما سبق أن ذكر مريم وعيسى _عليهما السلام_ في السور التي ورد فيها ذكرهما إجمالاً جاءت في سياق الحديث عن الأنبياء وأولي العزم منهم خاصة واصطفاء الله عز وجل لهم وذلك كما جاء في سورة البقرة آية 36، وكذلك في سياق الحديث عن وحدة الوحي والرسالة ووحدة الشرائع، كما سورة البقرة آية 136، وفي سورة الشورى أية 13 التي ركزت على حقيقة الوحي والرسالة وتعيين القيادة الجديدة ممثلة بالرسالة الأخيرة، حيث بينت أن هذه الرسالة الأخيرة المختارة لختام الوحي هي امتداد لما قبلها من الرسالات، وكذلك بيان وحدة الرسالة إثباتاً لوحدانية الله سبحانه بإبطال ألوهية غيره كما ورد في سورة الأنعام آية 85، حيث جاء الحديث عنه _ عليه السلام _ ضمن الحديث عن زمرة من الأنبياء الذين اصطفاهم الله والذين امتلأت قلوبهم بنور الله والروح الزاهدة، وقد وصفهم الله تعالى بوصف الصلاح ، لأنه ذهبت عنهم كل أدران المادية الداعية إلى النزاع فى الأرض، وذلك إبطالاً لألوهيته وتوبيخاً للكفرة على اعتقادهم الفاسد وافترائهم الباطل ، وكذلك في سورة الأنبياء آية 91 ، التي ذكرت مريم وعيسى _عليهما السلام_ في سياق الحديث عن سلسلة من الأنبياء والتنويه بفضلهم وبيان نعم الله عليهم، ببيان كونها وابنها _عليهما

---

[1] " ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر(751هــ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية،1968م مصر، القاهرة ،ج2، ص222-223.

السلام– آية للعالمين، تأكيداً لعبوديته _ عليه السلام _ وكونه نبياً من هؤلاء الأنبياء، وتنزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد استدلالاً على وحدانية الله سبحانه، وكذلك في سورة المؤمنين أية 50، التي بينت كونها وابنها _عليهما السلام_ آية ، وزادت عن أية سورة الأنبياء في بيان مكان إيوائهما ، والتي وردت في سياق الحديث عن وحدة دعوة الرسل وعناية الله ورعايته لهم وأكدت كذلك على التوحيد والبعث، فولادته _ عليه السلام _ من غير أب مظهر عظيمٍ من مظاهر قدرته سبحاته وتعالى الدالة على التوحيد والبعث، كما جاء ذكره _ عليه السلام _ في سياق الحديث عن طبيعة اليهود المستكبرة المعاندة الضالة عن الهُدى ، وعن عادتهم في تكذيب رسلهم وقتلهم أنبائهم استكمالاً لعرض الأسباب التي تحول بينهم وبين الإيمان بالقرآن وبرسالة النبي ﷺ وذلك في سورة البقرة آية 87، وجاء ذكره _ عليه السلام _ كذلك لبيان بطلان افترائهم في حقه _ عليه السلام _، وبيان السبب الباعث المبيح لقتال أهل الكتاب المنحرفين عن دين اللّه وهو افتراءهم _ عليه السلام _ بنسْبتهم الولد له ، وذلك في سورة التوبة آية 31، وكذلك في سياق أخذ الميثاق من الأنبياء عليهم السلام بتبليغ الدعوة و بوجوب الإيمان بالنبي ﷺ كما جاء قي سورة الأحزاب آية7، وكذلك في سياق عرض نماذج لانحراف الناس عن الحق وذلك لنتجنب مثل هذا الانحراف، لتعميق قضية الإيمان في نفوس المسلمين، وذلك في سورة الحديد آية 27، وجاء ذكرها _عليها السلام_ في سياق ضرب المثل للكفار لبيان أنه لا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان ، وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الأنبياء، وذلك في سورة التحريم آية 12.

المطلب الثاني: السور التي ذكرت فيها القصتان تفصيلاً:

ستبين الدراسة في هذا المطلب السور التي وردت فيها حلقة من قصة مريم _عليها السلام_ أو من قصة عيسى _ عليه السلام _ أوكلاهما على التفصيل، وذلك حسب ترتيب المصحف الشريف .

أولاً: سورة آل عمران:

هذه السورة نزلت بالمدينة بالاتّفاق بعد سورة البقرة [1] ، وهي السورة الثالثة في ترتيب المصحف بعد سورة البقرة، ومن مناسبة هذه السورة لما قبلها الارتباط الوثيق بين فاتحتها وخاتمة سورة البقرة، قال أبو حيان _رحمه الله _ : " إنه لما كانت هذه السورة قرينة سورة البقرة ومفصحة لما جاء فيها من إجمال افتتحت بتقرير ما ختمت به تلك، أي لما ذكرسبحانه وتعالى آخر البقرة { أَنتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } آية 286، ناسب أن يذكر نصرة الله سبحانه وتعالى لنبيه _ عليه السلام _ وللمؤمنين على الكافرين ، حيث ناظرهم رسول الله ﷺ، وردّ عليهم بالبراهين الساطعة " ،[2] وذكر الآلوسي رحمه الله أن من وجه مناسبتهما: " أنه تعالى لما تحدث في البقرة عن قصة آدم _ عليه السلام _ وخلقه من تراب بلا أب ولا أم، ذكر في هذه نظيره في الخلق من غير أب وهو عيسى _ عليه السلام _، واختصت البقرة بآدم لأنها أول السور وهو أول في الوجود ، ولأنها الأصل وهذه كالفرع والتتمة لها فاختصت بالأغرب، ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم ما قالوا وأنكروا وجود ولد بلا أب ففوتحوا بقصة آدم لتثبت في أذهانهم فلا تأتي قصة عيسى إلا وقد ذكر عندهم ما يشهد لها من جنسها فقصة عيسى قيست على قصة آدم والمقيس عليه لا بد وأن يكون معلوماً لتتم الحجة بالقياس فكانت قصة آدم والسورة التي هي فيها جديرة بالتقديم" ،[3] وذكر صاحب المنار _رحمه الله _ وجه تعلقهما ببعضهما فقال " أن كلاً منهما قد حاجّ أَهل الكتاب ، ولكن الأولى أَفاضت في مُحاجة اليهود واختصرت في مُحاجّة النصارى ، والثانية بالعكس ، والنصارى متأخرون عن اليهود في الوجود وفي الخطاب بالدعوة إلى الإسلام ، فناسب أَن تكون

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج6، ص147.

[2] أبو حيان ، محمد بن يوسف، البحر المحيط، ج2، ص389.

[3] الآلوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في ج3،ص72.

الإفاضة في محاجتهم في السورة الثانية "[1]، تناولت هذه السورة الكريمة عدداً من الموضوعات، إلا أن وحدتها تدور حول إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، وإقامة الأدلة على ذلك عقلاً ونقلاً ببيان القدرة التامة الموجبة للتوحيد، وما يتعلق بها من أمر الوحي والرسالة وبيان وحدة الدين عند الله تعالى، قال البقاعي رحمه الله: "المقاصد التي سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى ، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الأقبال عليه والمسارعة اليه وفي وصف المتقين بالإيمان والدعاء والصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار ما يتعطف عليه كثير من أفانين أساليب هذه السورة هذا ما كان ظهر لي أولاً ، وأحسن منه أن نخص القصد الأول وهو التوحيد بالقصد فيها فإن الأمرين الآخرين يرجعان إليه"[2] ، وما يتعلق بذلك من تصوير جوانب الصراع (سواء كان في ميدان المجتمع الإسلامي أم في ميدان المعركة) بين العقيدة الإسلامية والعقائد المنحرفة في الجزيرة خاصة النصارى منهم، ومواجهة شبهاتهم وتصحيح ما أصاب عقائدهم من انحراف خاصة ما يتعلق بعيسى _ عليه السلام _، وإقامة الحجة عليهم، وتقرير حقيقته _ عليه السلام _ وأنه عبد لله سبحانه وتعالى ورسولاً إلى بني إسرائيل ، وذلك من خلال عرضها لقصته وقصة أمه _عليهما السلام_ الدالة على بشريته،[3] كما بينت العلة التي تستحوذ على قلوب الناس وتستولي على عقولهم فتحول بينهم وبين اعتناق الحق العمل به وهو الغرور بمتاع الدنيا الزائل من أموال وأولاد وجاه وسلطان، ويعرض سوء عاقبة

---

[1] رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،ج3، ص 127.

[2] البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، ج2، ص3.

[3] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، م 1، ج 3، ص 251–255.

الافتتان به ، كما يعرض عدد من التشريعات الفقهية ، والتوجيهات المباشرة للأمة الإسلامية.[1]

علاقة القصص الوارد في سورة آل عمران بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

وحدة السورة الكريمة قائمة على ثلاثة مقاطع وخاتمة، تمثل أولهما في ركن العقيدة الصحيحة القائمة على إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى وإقامة الأدلة والبراهين على ذلك ، فأثبتت الآيات الكريمة قضية التوحيد، والنبوة، وصدق الرسالة، ودحضت الشبهات المُثارة من قبل أهل الكتابين حول القرآن ونبيه ﷺ، وفي إطار ذلك تناولت السورة الكريمة أمر النصارى بوصفهم النوع الثاني من أهل الكتاب بعد اليهود، فهذا الصنف هو من غالى في شأن المسيح _ عليه السلام _ وزعم ألوهيته وكذّب بنبوة محمد ﷺ وأنكر الوحي، فردت السورة الكريمة على أوهامهم الزائغة وشبهاتهم العقدية الباطلة بردود شافية، وأبانت زيفها بحقائق ناصعة وأدلة قاطعة، أظهرت فيها حقيقة عيسى وأمه _عليهما السلام_ ، وقد تضمن هذا الرد الحاسم بعض الإِشارات والتقريعات لليهود، وفي طيات ذلك جاء التحذير جلياً للمسلمين من كيد ودسائس أهل الكتابين، وهذا المقطع يمكن تقسيمه إلى قسمين: القسم الأول : يدور حول وحدانية الله وقيومته وآثارها ومقتضياتها، والذي تجلى فيه بيان معنى الدين ومعنى الإسلام، وقد شمل الآيات من (1−32)، القسم الثاني: يُصحح مفاهيم ومُعتقدات النصارى المنحرفة المتعلقة بعيسى _ عليه السلام _ والتي هتك بها النصارى كل مقامات الألوهية ومقتضياتها، ويفتح حوار شامل مع أهل الكتاب، وقد شمل الآيات من (33−120)، أما المقطع الثاني: فهو خاص بغزوة أحد ، وهو يشتمل كذلك على تقريرات في حقائق التصور الإسلامي والعقيدة الإيمانية ، وعلى توجيهات في بناء الجماعة المسلمة على أساس تلك الحقائق ، إلى جانب ذلك فهو يُصور حال المسلمين مع ربهم واستسلامهم له، وتلقيهم لكل ما

---

[1] يُنظر شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ط 9، 1982، ص77−78.

يأتيهم منه بالقبول والطاعة والاتباع الدقيق، وقد شمل الآيات من (121–179)، المقطع الثالث :يُحذر من ولاية غير المؤمنين ، ويُقرير أنه لا إيمان ولا صلة بالله مع تولي الكفار الذين لا يحتكمون لكتابه ، ولا يتبعون منهجه في الحياة، وقد شمل الآيات من(180–189)، الخاتمة: رسمت الطريق المؤدي إلى معرفة الحق والإيمان به ودعت إلى الصبر والمصابرة المؤديان إلى الفلاح، والتي تمثلت في الآيات من (190–200)،[1] أشارت إلى آدم ونوح وآل إبراهيم عليهم السلام وآل عمران في أثناء الحديث عن الاصطفاء ، وعرضت قصة امرأة عمران، وقصة مريم _عليها السلام_، وقصة زكريا _ عليه السلام _، وقصة عيسى _ عليه السلام _، كما أشارت إلى إبراهيم _ عليه السلام _، وذلك في القسم الثاني من مقطعها الأول الذي تولى مهمة تصحيح مُعتقدات النصارى المنحرفة المتعلقة بعيسى _ عليه السلام _، قال ابن عاشور رحمه الله: " لما بين سبحانه وتعالى من أن الدين هو الإسلام ، وأن محمداً ﷺ هو الرسول الذي لا يصح لأحد أن يحب الله إلا باتباعه ، وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو لمجرد البغي عليه ، والحسد له ، شرع في تقرير رسالة النبي ﷺ ، وأنه عليه الصلاة والسلام من سلالة من اصطفاهم الله سبحانه ، أتبع ذلك ذكر من أحبهم واصطفاهم _لَكونهم مطيعين له ، مستحقين لمحبته بذلك_ وبين علو درجاتهم وشرف مناصبهم ، فبدأ بآدم _ عليه السلام _ أولهم ، وثنى بنوح _ عليه السلام _ أبى البشر الثاني وأول رسول ، ثم أتى ثالثاً بآل إبراهيم _ عليه السلام _ لما كان أكثر الأنبياء من نسله _ عليه السلام__، فاندرج فيهم رسول الله ﷺ لأنه من ولد اسماعيل _ عليه السلام _ ، ثم أتى رابعاً بآل عمران فاندرج فيهم عيسى _ عليه السلام _ للتأكيد على بشريته _ عليه السلام _ ، وبين بذلك

---

[1] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، م 1، ج 3، ص 285–286، ويُنظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير،ج2، ص735–754.

وحدة الرسالة وأن رسالات جميع الأنبياء من عند الله سبحانه"، [1] فبدأت السورة الكريمة بتمهيدات مهمة قبل الحوار مع النصارى فيما يتعلق بحقيقة عيسى _ عليه السلام _، قال السيوطي رحمه الله: " من تأمل هذه اللطائف علم أن النصارى ادعوا إلاهية عيسى _ عليه السلام _ وعولوا في ذلك على أمرين: أحدهما يتعلق بالعلم، وهو إخباره بالمغيبات، في قوله { وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ } آية 49 والآخر بالقدرة وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ثم استدل على بطلان قولهم في إلهيه عيسى _ عليه السلام _ ، وفي التثليث، بقوله { ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ } آية 2، ومعناها أن الإله يجب أن يكون كذلك، وعيسى _ عليه السلام _ ما كان حياً ولا قيوماً، فلزم القطع بأنه ما كان إلهاً"، [2] ثم عرضت قصة امرأة عمران وولادة مريم _عليها السلام– في سياق بيان اصطفاء الله سبحانه لرسله الذين اختارهم ليكونوا الصفوة البشرية التي أوكلت لهم مهمة الخلافة على الأرض، وجَعْلها ذرية بعضها من بعض، وذلك في قوله تعالى: { ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى

---

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير،ج2، ص230–232.

[2] السيوطي، جلال الدين، قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق د. أحمد بن محمحد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،ط1، 1994، ج1، ص556.

وَضَعَتۡهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا

بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ

هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ }، وهي السورة

الوحيدة التي ذُكر فيها هذا المشهد، وقد فصلت السورة الكريمة في عرض هذا المشهد وذلك تمهيداً لبيان بشرية عيسى _ عليه السلام _ ونسبه ، فبعد أن بينت الآيات أنها من أسرة انتقاها واختارها واصطفاها الله سبحانه وتعالى على العالمين، "والاصطفاء من الصفاء، وأصل الصفاء : خلوص الشيء من الشوب، والاصطفاء : تناول صفو الشيء"[1]، عرضت قصتها منذ أن نذرت أمها امرأة عمران العابدة المؤمنة الوَرِعة أن تقدم جنينها محرراً ، قال الإمام الطبري _رحمه الله_ : " أي عتيقاً خالصاً لله تعالى، خادماً للكنيسة حبيساً عليها، مفرغًا لعبادة الله تعالى" [2]، والنذر " إُلزام النفس وتكليفها فوق ما كُلفت به "[3] كما أنها حرصت على أن يتقبل الله سبحانه منها ما نذرته، "والتقبل: أخذ الشيء على الرضا"،[4] فدعت ربها أن يتقبل منها وخاطبته بإسميه { ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ } لأنه تعالى سميع لدعائها، عليم بحالها ومناجاتها، فالسميع العليم مناسب للنذر أنه لا بُد فيه من قول

---

[1] الراغب الأصفهاني،أبو القاسم حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص 487.

[2] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج6، ص329.

[3] الشعراوي،محمد متولي، تفسير الشعراوي، تحقيق أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم ،1991، ص 2272.

[4] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج4، ص23.

مسموع وقصد معلوم [1] فلما وضعت كانت المفاجأة أن مولودها أنثى فقالت { رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ } ، مُناجية ربها خائفة لأن نذرها لم يقع على وفق ما تمنت، ومعتذرة من إطلاقها النذر المتقدم، قال الإمام الإمام الرازي _رحمه الله_ : " فذكرت ذلك لا على سبيل الإعلام لله تعالى، بل ذكرت ذلك على سبيل الاعتذار"،[2] وأكدت قولها ب "إني" إظهاراً لرضاها بما قدر الله تعالى – فقد يُشعر كلامها السابق أنها كارهة لما وضعت –[3] ثم قالت { وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ } آية36 ، قال الزركشي _رحمه الله_: " فإن الأصل والقياس عند العامة وليس الأنثى كالذكر فقد دخلت في الآية كاف التشبيه على المشبه دون المشبه به وذلك لأن المعنى فليس الذكر الذي طَلَبته امرأة عمران كالأنثى التي وُهبت لها ففي علم الله مستقبلاً أن الأنثى أفضل من الذكر لأنها ستكون أُماً لنبي الله عيسى _ عليه السلام _ صاحب المعجزة"[4]، وقد بين الإمام الرزي _ رحمه الله_ أن فيه قولان "الأول: أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى، والقول الثاني: أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر، كأنها قالت الذكر مطلوبي وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة لله، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله تعالى بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه" [5]،

---

[1] السيوطي، جلال الدين، قطف الأزهار في كشف الأسرار،ج1، ص 583.

[2]. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، ج4، ص23..

[3] الشرقاوي، أحمد، المرأة في القصص القرآني،دار السلام،ط1، 2000، ج2،ص 602.

[4] الزركشي، محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ج2، ص426.

[5] وسبب هذا التفضيل (أي القول الأول) من وجوه أحدها: أن شرعهم أنه لا يجوز تحرير الذكور دون الإناث والثاني: أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة، ولا يصح ذلك في الأنثى لمكان

وقالت: { وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ } آية 36 ، قال أبو حيان _رحمه الله _ : "مريم في لغتهم معناه : العابدة ، أرادت بهذه التسمية التفاؤل لها بالخير ، والتقرب إلى الله تعالى ، والتضرّع إليه بأن يكون فعلها مطابقاً لاسمها ، وأن تصدّق فيها ظنها بها" ، [1] وحصَنت وليدتها وذريتها من الشيطان الرجيم ، فقالت : {وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ } آية 36 ، قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول: "ما من بني آدم مولودٌ يولد إلا قد مسَّه الشيطان حين يولد، فيستهلّ صارخًا بمسِّه إياه، غير مريم وابنها"، قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرءوا إن شئتم: {وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ } آية 36 ،[2] قال الآلوسي _رحمه الله _: " وقد جاءت الأفعال الثلاثة في كلام امرأة عمران بصيغة الماضي (نذرتُ، وضعتها، سميتها) للدلالة على التحقق والثبوت وعلى المُضي في الوفاء بما نذرت بلا تردد، أما التعبير ب { وَإِنِّي أُعِيذُهَا} فقد جاء بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار في طلبها الاستعاذة "[3]، وسمتها مريم أي

الحيض وسائر عوارض النسوان والثالث: الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة والرابع: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى والخامس: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأنثى في هذا المعنى". الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج4، ص24.

[1] أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ، ج 2، ص457.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا}، حديث رقم 3248 وهذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

[3] الآلوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني، ج3، ص137.

العابدة خادمة الرب في لغتهم ، "فأرادت بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا "[1] فجاء الجواب من عند الله الوهاب أنه تعالى تقبلها قبولاً حسناً، قال الإمام الرزي رحمه الله: " لعلمه تعالى صدق إخلاص أمها، فالفاء في قوله تعالى:{ فَتَقَبَّلَهَا} آية 37 للتعقيب ولبيان سرعة استجابته سبحانه لدعاء ورجاء أمها، " والقبول مصدر قولهم: قبل فلان الشيء قبولاً إذا رضيه، والتقبل من التفعل الذي يدل على الجِد والمبالغة في إظهار القبول، وورد بلفظ القبول لا التقبل وذلك أن لفظ التقبل فيه نوع تكلف على خلاف الطبع، أما القبول فإنه يفيد معنى القبول على وفق الطبع فذكر التقبل ليفيد الجد والمبالغة، ثم ذكر القبول ليفيد أن ذلك ليس على خلاف الطبع، بل على وفق الطبع، وهذه الوجوه وإن كانت ممتنعة في حق الله تعالى، إلا أنها تدل من حيث الاستعارة على حصول العناية العظيمة في تربيتها"،[2] كما أن في ذلك جمعاً بين أمرين: التقبل الذي هو الترقي في القبول، والقبول الذي يقتضي الرضا والإنابة[3]، كما أنه تعالى {أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا } آية 37 أي اعتنى بها سبحانه وتعالى ورباها كما يُربى النبات الطيب في الأرض الصالحة ، ففي الكلام استعارة تمثيلية أو مجاز مرسل بعلاقة اللزوم عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها[4] ووهبها تعالى رزقاً وفيراً دائماً غير منقطع يأتيها في محرابها في غير أوانه ، الذي كلَما سألها عنه كفيلها زكريا _عليهما السلام_ _الذي اختاره تعالى لكفالتها بعد اقتراعهم على

---

[1] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج4، ص25.

[2] المرجع السابق، ج4، ص25

[3] الراغب الأصفهاني،أبو القاسم حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص 541.

[4] الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف،ج 1،ص378، ويُنظر الآلوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني، ج3، ص139.

ذلك_ قالت: { قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ} آية 37 ، قال الشهيد سيد قطب _رحمه الله_ : " وهي كلمة تصور حال المؤمن مع ربه ، واحتفاظه بالسر الذي بينه وبينه ، والتواضع في الحديث عن هذا السر ، لا التنفج به والمباهاة ! كما أن ذكر هذه الظاهرة غير المألوفة التي تثير عجب نبي الله زكريا _ عليه السلام _، هي التمهيد للعجائب التي تليها في ميلاد يحيى وميلاد عيسى _عليهما السلام_"[1]، وجاءت الحلقة من قصة زكريا وولادة يحيى _عليهما السلام_، التي تمثل نموذجاً من نماذج العابدين لله سبحانه الواثقين بقدرته والراضون بقضائه ، والتي بينت رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده الصالحين الطائعين، كما دلت هذه القصة على مطلق القدرة (الدالة على إثبات الوحدانية) لله العلي القدير الذي وهب عبده الذرية الطيبة بعد بلوغه الكِبر وكون امرأته عاقراً وما في ذلك من إعجاز، حيث صورت السورة الكريمة حاله _ عليه السلام _ في دعائه ومناجاته لربه سبحانه وتعالى في محرابه، بعد ما رأى _ عليه السلام _ ما منَ الله به على مريم _عليها السلام_ ، وما أكرمها به من رزقه الوفير، دعا ربه قائلاً: { رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ } آية38 ، قال أبو حيان _رحمه الله_ : "وناداه بلفظ : رب ، إذ هو مربيه ومصلح حاله ، وجاء الطلب بلفظ : هب ، لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلتها شيء يكون عوضاً للواهب" [2] ، فتقبل الله دعاءه ، ووهب له يحيى ، الذي جاء {مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ } آية39 يعني عيسى _ عليه السلام _، و{ سَيِّدٗا } آية39 من ساد يسود وهو

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م1،ج3،ص 393.

[2] أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ، ج 2، ص 463.

الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله، {وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ } آية39 والحصور هو الذي لا يهُم بالمعصية فضلاً على أن يقربها، فقد حصر نفسه أي حبسها ومنعها من الهِمم الدنية، والهموم الدنيوية،[1] قال زكريا _ عليه السلام _ من شدة فرحه : { رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدۡ بَلَغَنِىَ ٱلۡڪِبَرُ وَٱمۡرَأَتِى عَاقِرٌ} آية 40 وكل واحد من الأمرين مانع من وجود الولد، فكيف وقد اجتمعا، فأخبره الله تعالى أن هذا خارق للعادة، فقال: { قَالَ كَذَٲلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ } آية 40 كذلك : الكاف للتشبيه والتسوية بين الحكمين ، وللإشارة إلى أن ما عند زكريا _ عليه السلام _ من العلم بالله وقدرته على ذلك إذا شاء كقدرته على سننه الظاهرة، [2] فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التي منها التناسل، فإذا أراد أن يوجدهم من غير سبب فعل، لأنه لا يستعصي عليه شيء، فقال زكريا _ عليه السلام _ لِتوَقان نفسه إلى المطلوب، وليُقابله بمزيد من الشكر والاجتهاد في العبادة قال: { رَبِّ ٱجۡعَل لِّىٓ ءَايَةً } أي: علامة على وجود الولد قال : { ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًا‌ۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِىِّ وَٱلۡإِبۡكَـٰرِ }آية 41، أي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها،

---

[1] يُنظر ابن كثير، ، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، ج3 ص 233-234.

[2] يُنظر السيوطي، جلال الدين، قطف الأزهار في كشف الأسرار، ج1، ص588.

فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره [1]، قال السمين الحلبي: " وقدم في هذه السورة حال نفسه، وأخر حال امرأته، وذلك في قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } آية (40) وفي مريم عكس، وذلك في قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ } آية (8) ، فقيل: صدر الآيات في مريم مطابِق لهذا التركيب لأنه قدّم وهْنَ عظمه واشتعاله شَيْبه وخِيفَةَ مواليه من ورائه، وقال: {وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً} فلما أعاد ذكرهما في استفهامٍ آخر ذكر الكِبَر ليوافق "عِتِيًّا" رؤوس الآي، وهو باب مقصود في الفصاحة، والعطف بالواو لا يقتضي ترتيباً زمانياً، فلذلك لم يُبال بتقديم ولا تأخير" [2]، وتعود الآيات إلى بيان بُشرى الملائكة لمريم _عليها السلام_ بأنها نالت وسام الاصطفاء من الله سبحانه وتعالى وذلك في قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ }، قال أبو حيان _رحمه الله_ : " لما فرغ من قصة زكريا ، وكان قد استطرد من قصة مريم إليها ، رجع إلى قصة مريم ، وهكذا عادة أساليب العرب ، متى ذكروا شيئاً استطردوا منه إلى غيره ثم عادوا إلى الأول إن كان لهم غرض في العود إليه ،

---

[1] يُنظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 ج1، ص130-130.

[2] السمين، أبو العباس أحمد بن يوسف الحلبي(756)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق علي بن محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994 ج3، ص 369.

والمقصود تبرئة مريم عن ما رمتها به اليهود ، وإظهار استحالة أن يكون عيسى إلهاً ، فذكر ولادته"[1] ، فالله تعالى اصطفاها مرتان " الأول: اصطفاء كمال وتكريم لها وهو ما اتفق لها من الأمور الحسنة في أول عمرها، حيث إنه سبحانه قبل تحريرها مع أنها كانت أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى لغيرها من الإناث، وأنه تعالى كفاها أمر معيشتها، فكان يأتيها رزقها من عنده سبحانه، وأنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاها، ولم يتفق ذلك لأنثى غيرها، والثاني: اصطفاء إعجاز وهو ما اتفق لها في آخر عمرها حيث إنه سبحانه وهب لها عيسى _ عليه السلام _ من غير أب، وأنطقه حال انفصاله منها حتى شهد بما يدل على براءتها عن التهمة، وجعلها وابنها آية للعالمين "[2]، ووَجَهها بواسطة الملائكة إلى مواصلة السير في طريق الصلاح والعبادة بقوله تعا لى: {يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾} آية43، فتكرار النداء للتنبيه وللإشارة إلى أهمية ما يرد في ثناياه ، "وفي التعرض لعنوان الربوبية { ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ }إشعار بعلة وجوب الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى"[3] والقنوت من (قنت) وهو" أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على طاعةٍ وخيرٍ في دين"،[4] قال ابن القيم رحمه الله :" اشتملت الآية على مطلق العبادة وتفصيلها، فذكر الأعم وهو القنوت ويشمل أنواع الطاعة ، ثم ذكر ما هو أخص منه وهو السجود الذي يُشرع وحده كسجود الشكر وسجود التلاوة ، ويُشرع في الصلاة، ثم ذكر بعد السجود ما هو أخص منه وهو الركوع

---

[1] أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ، ج 2، ص 476.

[2] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج4 ص 38–39.

[3] الآلوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني، ج3، ص156.

[4] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا،معجم مقاييس اللغة، مجلد 5، ص27.

الذي لا يُشرع إلا في الصلاة"[1] ، وجاءت قصة ولادة عيسى _ عليه السلام _ ، التي سيقت لتأكيد القضية الأصيلة التي ركزت عليها السورة وهي قضية التوحيد، ونفي الولد والشريك ، وإظاهر زيف هذه الشبهة وبطلانها، فبعد أن بينت أنه _ عليه السلام _ من سلالة الرسل، ذكرت حلقة من مولده _ عليه السلام _ ، التي تدل على مطلق القدرة لله سبحانه و بينت صفاته ومميزاته _ عليه السلام _ ، كما قررت هذه القصة في ثناياها وحدة الرسالة، وطبيعة الرسالة التي جاء بها عيسى _ عليه السلام _، وذلك في قوله تعالى: { إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

---

[1] ابن القيم،محمد بن أبي بكر بن أيوب،(751)، بدائع الفوائد، تحقيق علي بن محمد العمران،دار عالم الفوائد، ج1، ص80.

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ } ، فالتبشير: " إخبار المرء بما يسرّه من خبر" [1]، فقد بشرتها الملائكة به _عليهما السلام_، وذلك بعد تأهلها بالتطهير والقنوت والعبادة لهذا الفضل العظيم، وقد بينت هذه البشارة وأفصحت عن اسمه ولقبه ونسبه _ عليه السلام _ ، كما ذكرت صفاته ومميزاته، وتضمنت إحدى معجزاته التي تصاحب مولده والموكب الذي ينتسب إليه ، فبشرتها الملائكة بكونه _عليه السلام_ كلمة من الله " لأن الله تعالى قال له: كن من غير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان، "[2]، وإشارةً لكونه _ عليه السلام _ حجة على عباده أبدعه من غير أب وأنطقه في غير أوانه، أما المسيح فهو كاللقب الذي يفيد كونه _ عليه السلام _ شريفاً رفيع الدرجة، قال الإمام الرازي رحمه الله: " فذكره الله تعالى أولاً بلقبه ليفيد علو درجته، ثم ذكره باسمه الخاص وهو عيسى، قال ابن عباس: إنما سُمي عيسى _ عليه السلام _ مسيحاً، لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة، إلا برىء من مرضه أو لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها" [3]، وبيَن الإمام الطبري _رحمه الله_ سبب تسميته _ عليه السلام _ بالمسيح فقال: " وسُمي بالمسيح لأن الله مَسحه فطهَّره من الذنوب، وفي نسبته إلى أمه مريم _عليهما السلام_ رداً على النصارى الذين زعموا أنه إله، وتبرئة

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج6، ص359.

[2] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود ، (510هـ)، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997 م، ج2، ص43.

[3] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج4 ص40−42.

لأمه _عليهما السلام_ مما افترته عليها اليهود" [1] ، وقد بين أبو حيان _رحمه الله_ سبب تقديم اللقب على الاسم فقال: "وبدأ بلقبه _ عليه السلام _ لأن : المسيح ، أشهر من : عيسى ، لأنه قل أن يقع على سمي يشبهه ، وعيسى قد يقع على عدد كثير ، فقدمه لشهرته"،[2] ثم شرعت الآيات الكريمة في بيان صفاته ومميزاته وذلك بكونه _ عليه السلام _ { وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ } والوجيه " ذو الوَجْاهةِ والمنزلة العالية والقدر والشرفٍ والكرامة ، فوجاهته _ عليه السلام _ في الدنيا بنبوته، وفي الآخرة بعلو درجته {وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} أي ممن يقرِّبه الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره ويدنيه منه"،[3] كما أن هذا الوصف "كالتنبيه على أنه _ عليه السلام _ سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة، وللدلالة على أنه ليس كل وجيه في الآخرة يكون مقرباً لأن أهل الجنة على منازل ودرجات"،[4] و شرعت كذلك في بيان معجزاته التي أيده الله سبحانه بها ابتداً من صغره، وهي كلامه _ عليه السلام _ في مهده، والذي هو" دليل على براءَة أمه مما قذفها به المفترون عليها، وحجة له على نبوّته، وتعريفاً للعباد مواقع قدرته"،[5] قال رسول الله ﷺ : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى..)الحديث، [6] وكذلك كلامه _عليه السلام _ كهلاً، قال الإمام الطبري _رحمه الله_ : " وإنما أخبر الله عز وجل عبادَه بذلك من أمر المسيح، وأنه كذلك كان، وإن كان الغالب من أمر

---

[1] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج6، ص413.

[2] أبو حيان ، محمد بن يوسف، البحر المحيط، ج2، ص482.

[3] المرجع السابق ج2، ص483.

[4] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج4 ص45.

[5] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج6، ص418.

[6] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله{واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، حديث رقم3253 ، وهذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

الناس أنهم يتكلمون كهولاً وشيوخاً احتجاجاً به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى الباطلَ، وأنه كان منذ أنشأه مولوداً طفلاً ثم كهلاً يتقلب في الأحداث، ويتغير بمرُور الأزمنة عليه والأيام، من صِغر إلى كبر، ومن حال إلى حال، وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه، كان ذلك غيرَ جائز عليه، فكذّب بذلك ما قاله الوفدُ من أهل نجران الذين حاجُّوا رسول الله ﷺ فيه" [1]، ففيها تبشير بأنه _ عليه السلام _ سيعيش إلى سن الكهولة، وبينت كذلك كونه _ عليه السلام _ منتسباً إلى موكب الصالحين ، فقالت _عليها السلام_: { رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ } آية 47، وهذا استغراب منها، لا شك في قدرة الله تعالى، فجاءها الجواب { قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ } آية 47، وقد وردت في هذه الآية {كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ } وفي قصة زكريا _ عليه السلام _ ففي قوله{ كَذَلِكِ } آية 40 ، قال السمين الحلبي : لأن قصتها أغربُ من قصته، وذلك أنه لم يُعهد ولد من عذراء لم يَمَسها بشر البَتة، بخلاف الولد بين الشيخ والعجوز فإنه مستبعد، وقد يُعهَد مثله وإن كان قليلاً، فلذلك أتى بيخلُق المقتضي الإِيجاد والاختراع من غير إحالة على سبب ظاهر، وإن كانت الأشياء كلها بخلقه وإيجاده وإن كان لها أسباب ظاهرة، [2] وفي قوله كذلك إشارة إلى أن علمها بمقدور الله الغائب أنه كالحاضر الموجود المعهود، أي هكذا هو عند ربكِ كالمعهود عندكِ، [3] كما بينت الآيات تعليم الله سبحانه له الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وذلك إعدداً له _ عليه السلام _ ليكون رسولاً من

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن ، ج6 ص419.

[2] السمين، أبو العباس أحمد بن يوسف الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج3، ص191.

[3] يُنظر السيوطي، جلال الدين، قطف الأزهار في كشف الأسرار، ج1، ص587–588.

عند الله سبحانه لبني اسرائيل مؤيداً بالمعجزات الدالة على صدق نبوته، وذلك في قوله تعالى:

{وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } قال الإمام الرازي _رحمه الله_ : " المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة، ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومجموعهما هو المسمى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالماً بالخط والكتابة، ومحيطاً بالعلوم العقلية والشرعية، يعلمه التوراة، وإنما أخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة، لأن التوراة كتاب إلهي، وفيه أسرار عظيمة، والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث على أسرار الكتب الإلهية، ثم قال في المرتبة الرابعة والإنجيل، وإنما أخر ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلم الخط، ثم تعلم علوم الحق، ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم فإذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتاباً آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى، والمرتبة العليا في العلم، والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية " ، [1] وبينت كذلك أن عيسى _ عليه السلام _ مؤيد بالمعجزات ، وشرعت الآيات في تفصيل تلك المعجزات التي أيده الله بها بعد بيان كونه رسول من عند الله سبحانه وتعالى، مرسل إلى بني إسرائيل ، ومعجزاته تتمثل بقدرته _ عليه السلام _ على أن يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ

---

[1] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج4 ص48.

فيها فتكون طيراً بإذن الله ، قال ابن عطية رحمه الله: " وكون عيسى _ عليه السلام _ خالقاً بيده ونافخاً بِفِيه إنما هو ليبين تلبسه بالمعجزة وأنها جاءت من قِبَلِه وأما الإيجاد من العدم وخلق الحياة في ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له"[1] وأن يحييي الموتى من الناس بإذن الله ، وأن يُبرئ المولود الأعمى (الأكمه) ، ويشفي الأبرص (وهو المرض الذي يصيب الجلد فيجعل لونه أبيضاً)، فيسمح على جسمه فيعود سليماً، ويُخبر بما يُعد غيباً – بالنسبة له – وهو المدخر من الطعام وغيره في بيوت بني إسرائيل ، وهو بعيد عن رؤيته بعينه، قال السمين الحلبي: " وأَتى بهذه الخوارق الأربع بلفظ المضارع دلالة على تجدد ذلك كل وقت طُلب منه، وقيد قوله: "إني أخلُق" إلى آخره "بإذن الله" لأنه خارق عظيم، فأتى به دفعاً لتوهم الإلهية، ولم يأت به فيما عُطف عليه في قوله: "وأُبْرِىء"، ثم قيد الخارق الثالث أيضاً "بإذنِ الله" لأنه خارق عظيم أيضاً، وعطف عليه قوله: "وأنبِّئكم" من غير تقييدٍ له مَنْبَهَةً على عِظم ما قبله ودَفعاً لوَهم من يتوهم فيه الإلهية"[2]، وهذه المعجزات كما قال الشهيد سيد قطب رحمه الله :" تتعلق بإنشاء الحياة أو ردها ، أو رد العافية وهي فرع عن الحياة ، ورؤية غيب بعيد عن مدى الرؤية ، وهي في صميمها تتسق مع مولد عيسى ; ومنحه الوجود والحياة على غير مثال إلا مثال آدم _ عليه السلام _ وإذا كان الله قادرا أن يجري هذه المعجزات على يد واحد من خلقه ، فهو قادر على خلق ذلك الواحد من غير مثال "،[3] وقال أبو زهرة: " معجزاته _ عليه السلام _ جاءت في زمن طغت فيه المادة فكانت تقويضاً للمادة وصفعة للماديين، فجاءت بهدف إحياء الناحية الروحية وإقامة الدليل على وجود الروح التي أنكرها أكثر

---

[1] ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، لبنان :دار الكتب العلمية، ط1، 1993، ج1، ص 439.

[2] السمين، أبو العباس أحمد بن يوسف الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج3، ص 405.

[3] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م1،ج3، ص 399.

اليهود، ومعجزاته _ عليه السلام _ دعوة إلى تربية الروح ، والإيمان بالبعث والنشور عند قوم أنكروها"،[1] ثم بينت الآيات أنه _ عليه السلام _ جاء { وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } أي من اللحوم والشحوم، {وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ } يعني ما ذكر من الآيات وإنما وحدها لأنها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته،[2] {فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ } آية 50 لأن طاعة الرسول من لوازم التقوى، ثم ختم بقوله { إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ } آية 51 ومقصودها إظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية لله لئلا يتقولوا عليه الباطل ويقولوا أنه إله أو ابن إله، ثم أكد ذلك بقوله { هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ } آية 51، [3] قال د. الخالدي: " تكرار كلمة آية في معجزات عيسى _ عليه السلام_ حيث تكررت ثلاث مرات_ دليل على أهمية الآيات للأنبياء، ودليل على أن عيسى _ عليه السلام _ عبد الله ورسوله حيث كان يتلقى الآيات من الله سبحانه ويقدمها لبني إسرائيل"،[4] وبينت الآيات أن عيسى _ عليه السلام _ لما أحس من بني إسرائيل الكفر ، " أي علم ذلك علماً لا شُبهة فيه كعلم ما يُدرك بالحس، فقد ظهر له ذلك ظهوراً بان للحس فضلاً عن الفهم" [5] قال: { مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ

---

[1] أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، ط3، 1966 ، ص21.

[2] يُنظر البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل، ، ج2، ص41–42.

[3] يُنظرالسيوطي، جلال الدين، قطف الأزهار في كشف الأسرار،ج1، ص 595–596.

[4] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني ج4، ص311.

[5] الراغب الأصفهاني،أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل ، مفردات ألفاظ القرآن، ص116.

قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ } آية 52 ،

والحواريون: جمع حواري، وهم أصحاب عيسى _ عليه السلام _ وخواصه وأنصاره ، وهم خاصّة الأنبياء وصفوتهم، قال ابن فارس: "(حور) الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخَر الرُّجوع، والثالث أن يدور الشيء دَوْراً، فأما الأول فالحَوَر: شدّةُ بياض العينِ في شدّةِ سوادِها، ويقال حوّرت الثيابَ، أي بيّضتُها، ويقال لأصحاب عيسى _ عليه السلام _ الحواريُّون؛ لأنهم كانوا يحوِّرون الثِّياب، أي يبيّضونها، هذا هو الأصل، ثم قيل لكلِّ ناصر حَوَارِيٌّ، والحَوَاريّات: النِّساء البيض"،[1]قال الإمام الطبري _رحمه الله_: سموا بذلك لبياض ثيابهم، أو لأنهم كانوا قَصّارين (غسّالين) يبيِّضون الثياب، وذلك أن"الحوَر" عند العرب شدة البياض، ولذلك سمي"الحُوَّارَى" من الطعام"حُوّارَى" لشدة بياضه، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مقلة العينين أحور، وللمرأة حوراء، وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى _ عليه السلام _ كانوا سُمُّوا بالذي ذكرنا، من تبييضهم الثيابَ، وأنهم كانوا قصّارين، فعرفوا بصحبة عيسى _ عليه السلام _ ، واختياره إياهم لنفسه أصحاباً وأنصاراً، فجرى ذلك الاسم لهم، واستُعمل، حتى صار كل خاصّة للرجل من أصحابه وأنصاره حواريُّه "، [2] قال النبي ﷺ : (إن لكل نبي حوارياً وحواريي الزبير) قال سفيان الحواري الناصر،[3] فقالوا ربنا إننا صدّقنا بما أنزلتَ على نبيك عيسى من كتابك وصرنا أتباعاً لعيسى على دينك الذي ابتعثته به، وأعوانه على الحق الذي أرسلتَه به إلى عبادك ، فأثبت

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 90.

[2] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج6، ص450.

[3] مسلم، أبوالحسين بن الحجاج ،صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب السير وحده، حديث رقم 2835، وهذا الحديث رواه جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ.

أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق، وأقرُّوا لك بالتوحيد، وصدّقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك، فاجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك، وأحِلَّنا محلهم، ولا تجعلنا ممن كفر بك، وصدَّ عن سبيلك، وخالف أمرك ونهيك، [1] أما قوله تعالى: { وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ }(54) قال الراغب _رحمه الله_: " صرف الغير عما يقصده بحيلة، ومكر الله بالعبد إمهاله وتمكينه من أغراض الدنيا"،[2] وقوله تعالى { وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ } أي أقواهم مكراً، وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المُعاقَب،[3] وبين تعالى أنه رافعه إلى السماء ومخلّصه ممن كفروا به، وجاعل الذين اتبعوا دين عيسى فوق الذين كفروا به، وهم اليهود بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة، فيكون ذلك إخباراً عن ذل اليهود وإنهم يكونون مقهورين إلى يوم القيامة، فأما الذين اتبعوا المسيح _ عليه السلام _ فهم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله وأما بعد الإسلام فهم المسلمون، وذلك في قوله تعالى:{ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

[1] يُنظر الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج6، ص451–452.

[2] الراغب الأصفهاني،أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل ، مفردات ألفاظ القرآن، ص471.

[3] يُنظر السيوطي، جلال الدين، قطف الأزهار في كشف الأسرار،ج1، ص 597–598.

فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ } الآيات (55–57)، قال الإمام الرازي _رحمه الله_ : " اختلف المفسرون في معنى الوفاة التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية، فقال بعضهم: هي وفاة نَوْم، وكان معنى الكلام على مذهبهم: إني مُنيمك ورافعك في نومك. وقال آخرون: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض فرافعك إليّ، قالوا: ومعنى الوفاة، القبض، وقال آخرون: معنى ذلك: إذ قال الله يا عيسى إني رافعك إليّ ومطهِّرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا، وقال: هذا من المقدم الذي معناه التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم، وقال آخرون: معنى ذلك: إني متوفيك وفاةَ موتٍ" [1]، والراجح والله أعلم أن معنى الوفاة هنا القبض أي: إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ، فيأتي التعقيب الذي يقرر الحقائق الأساسية المستفادة من هذا القصص هذا التعقيب الذي يتضمن ابتداء صدق الوحي الذي يوحى إلى محمد ﷺ ، ثم يحسم التعقيب في حقيقة عيسى _ عليه السلام _ ، وفي طبيعة الخلق والإرادة التي تنشىء كل شيء كما أنشأت عيسى _ عليه السلام _، وذلك بنفي غرابة ولادة عيسى _ عليه السلام _ حين تقاس إلى خلق آدم أبي البشر _ عليه السلام _، وذلك في قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ } الآيات(59–60)، قال ابن كثير _رحمه الله_ : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ } في قدرة الله تعالى حيث خلقه من غير أب { كَمَثَلِ ءَادَمَۖ } فإن الله تعالى خلقه من غير أب ولا أم، بل { خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ } والذي خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز

---

[1] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج6، ص80.

ادعاء البنوة في عيسى بكونه مخلوقا من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادًا. ولكن الرب، عَزّ وجل، أراد أن يظهر قدرته لخلقه، حين خلَق آدم لا من ذكر ولا من أنثى؛ وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى " ،[1]وقد دعا الرسول ﷺ من كانوا يناظرونه في هذه القضية إلى المباهلة ، ليبتهل الجميع إلى الله أن ينزل لعنته على الكاذب من الفريقين . فخافوا العاقبة وأبوا المباهلة . وتبين الحق واضحاً.

وهذه هي طريقة "الذكر الحكيم" في مخاطبة الفطرة بالمنطق الفطري الواقعي البسيط ، في أعقد القضايا ، التي تبدو بعد هذا الخطاب وهي اليسر الميسور ،[2] وجاء القول الفصل في بيان حقيقة هذا الأمر وذلك في قوله تعالى: { إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ } آية 62 ، قال الطبري _رحمه الله_: "أي إن هذا الذي أنبأتك به، يا محمد ﷺ، من أمر عيسى فقصصته عليك من أنبائه، وأنه عبدي ورسولي وكلمتي ألقيتها إلى مريم وروح منّي، لهو القصَص والنبأ الحق، فاعلم ذلك. واعلم أنه ليس للخلق معبودٌ يستوجبُ عليهم العبادةَ بملكه إياهم إلا معبودك الذي تعبُدُه، وهو الله العزيز الحكيم"، [3] وقد بين صاحب المنار _رحمه الله_ أن عقيدة صلب المسيح مقرونة بفكرة الفداء والخطيئة الأولى وهي عقيدة وثنية محضه تمتد جذورها إلي مئات السنين قبل ميلاد المسيح _ عليه السلام _، فهي متعلقة بعصيان آدم _

[1] ابن كثير، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم،ج2، ص49.

[2] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، م1، ج 3 ، ص404–405.

[3] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج6، ص476.

عليه السلام _ الله تعالى بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها صار هو وجميع أفراد ذريته خطاة مُستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي ، ثم إِن جميع ذريته جاءوا خطاة مذنبين فكانوا مستَحقين للعقاب أيضاً بذنوبهم ، كما أنَهم مستَحقون له بذنب أبيهم الذي هو الأصل لذنوبهم ، ولما كان الله تَعَالى متصفاً بالعدل والرحمة جميعاً ، طرأ عليه (سبحانه وتعالى عن ذلك) مشكل منذ عصى آدم ، وهو أنه إذا عاقبه هو وذريتَه كان ذلك مُنافياً لرحمته فلا يكون رحيماً ! وإذا لم يُعاقبه كان ذلك مُنافياً لعدله فلا يكون عادلاً ! فكأنه مُنذ عصى آدم كان يُفكر في وسيلة يجمع بها بين العدل والرحمة (سبحانه سبحانه) وذلك بأن يحل ابنه – تَعَالَى – الذي هو هو نفسه في بطن امرأة من ذُرية آدم ، ويتحدُ بجنينٍ في رحمها ، ويُولد منها ، فيكون ولدُها إنساناً كاملاً من حيث هو ابنُها ، وإلهاً كاملاً من حيث هو ابن الله ، وابن الله هو الله ، ويكونُ معصوماً من جميع معاصي بنِي آدم ، ثم بعد أن يعيش زمناً معهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون ، ويتلذذ كما يتلذذون ويتألم كما يتألمون ، يسخر أعداءه لقَتْله أفظع قِتْلَة ، وهي قِتلَةُ الصلب التي لُعن صاحبها في الكتاب الإلهي ، فيحتمل اللعن والصلب لأجل فداء البشر وخلاصهم من خطاياهم ، كما قال يوحنا فِي رسالته الأولى :(وهو كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا ; لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا)،[1] فالمسيحية قد تأثرت وتفاعلت بالديانات الوثنية السرِية المنتشرة آن ذاك في الامبراطورية الرومانية ، وبلدان الشرق الأدنى ، لا سيما في مصر وسوريا وبلاد فارس ، حيث كانت طقوس العبادة تمثل على المسرح موت الآلهة ، وبعثهم تشجيعاً للراغبين في الانتساب إلي تلك الديانات ، والطامعين في البقاء والخلود ويؤكد ذلك المؤرخ المسيح (ول ديورانت) حيث قال: " إن الأمميين في بلاد اليونان الذين آمنوا بالمسيح ، ولم يروه ، قد آمنوا به كما آمنوا بآلهتهم المنقذة ، التي ماتت لتفتدي بموتها بني الانسان ، حيث كانت هذه العقيدة منتشرة منذ زمن بعيد في مصر وآسيا الصغرى وبلاد

[1] يُنظر محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج6، ص19–21.

اليونان،[1] كما بين محمد بن طاهر في كتابه العقائد الوثنية في الديانة النصرانية أن ما يُروى عن البوذيين في أمر بوذا فهو أكثر انطباقاً على مايرويه المسيحيون عن المسيح من جميع الوجوه ، فبوذا هو الطيب المخلص وهو الابن البكر الذي قدم نفسه ذبحية ليكفر آثام البشر ويجعلهم يرثون ملكوت السموات ، وقد كانت ولادته بسبب خلاص العالم من التعاسه ، كما أن المصريين القدماء كانوا يقدمون من البشر ذبيحة إرضاء للآلهة وقد تمكنت هذه العقيدة الشريرة من نفوسهم حتى صاروا يقدمون الابن البكر من أحد العائلات الأتاتانية ، ذبحية يأخذونه إلي الهيكل في فستات في عالوس ويضعون على رأسه إكليلاً ثم يذبحونه قرباناً للآلهة كما تذبح الانعام، ويعتقد المصريون القدماء أن (أوزريس) مخلص الناس من شرورهم وآثامهم وأنه يلاقي في سبيل هذا الاضطهاد والعذاب. وقد كان الهنود الوثنيون يصفون (كرشنة) بالبطل الوديع الذي قدم نفسه ذبيحة للفداء للبشرية وأن هذا العمل لا يستطيع أحد أن يقوم به سواه ،[2] أما الإشارت المتعلقة بإبراهيم _ عليه السلام _ وآله فقد جاءت لبيان بطلان زعم اليهود والنصارى في نسبتهم إياه _ عليه السلام _ إليهم ودحضاً لحجتهم، قال السعدي رحمه الله: " لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهودياً، والنصارى أنه نصراني، وجادلوا على ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، ...الوجه الثاني: أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم وهو قبلهم متقدم عليهم، ...الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ

---

[1] ويل، ديورانت، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب، جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية، القاهرة، 1965، ج 3، ص 264 .

[2] التنير، محمد بن طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، دار عمران، بيروت، 1993، ص 41 ، 43،49 .

خليله من اليهود والنصارى والمشركين، وجعله حنيفاً مسلماً، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد ﷺ ومن آمن معه، فهم الذين اتبعوه وهم أولى به من غيرهم. ".[1]

- يتبين مما سبق كمال التلاؤم بين القصص الوارد في سورة آل عمران والوحدة الموضوعية للسورة الكريمة، فكل قصة من هذا القصص جاءت لتؤكد وتدلل على قضية من القضايا التي سيقت السورة لبيانها، فقصةُ امرأة عمران وقصة مريم _عليها السلام_ جاءتا كنموذج للشخصية العابدة الصابرة الثابتة على الحق التي اصطفاها الله سبحانه ليكون من ذريتها نبي مرسل، حيث سيقت لبيان بشرية عيسى _ عليه السلام _، أما قصة زكريا _ عليه السلام _ وولادة يحيى _ عليه السلام _ فهي تدل على مطلق القدرة لله سبحانه الدالة على الوحدانية لله سبحانه ، أما قصة عيسى _ عليه السلام _ فقد جاءت تؤكد القضية المحورية التي ركز عليها سياق السورة وهي قضية التوحيد، ونفي الولد والشريك لله سبحانه وتعالى، وما جاء من إشارت عن إبراهيم _ عليه السلام _ فقد سيقت لبيان وحدة الرسالة والدين وأنه _ عليه السلام _ كان حنيفا مسلماً ولم يكن من المشركين.

ثانياً: سورة النساء:

سورة مدنية[2]، وهي السورة الرابعة في ترتيب المصحف بعد سورة آل عمران، وسمِّيت هذه السورة في كلام السلف بسورةَ النِّساء ؛ ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما نزلت سورة البقرة وسورةُ النِّساء إلاّ وأنا عنده).[3]

من أوجه مناسبتها لما قبلها (سورة آل عمران) :

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ج1،ص 134.

[2] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج7، ص511.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن، حديث رقم 4993، وهذا الحديث روته عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ .

أن في كليهما دعوة للتقوى قال أبو حيان _رحمه الله_: " وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر سورة آل عمران أنه أُخبر في آخر تلك ، أن بعض المؤمنين من بعض في أصل التوالد، فنبه في أول هذه على اتحاد الأصل، وتفرع العالم الإنساني منه، ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف، وليُنبه بذلك على أن الجنس الإنساني كان عابداً لله مفرده بالتوحيد والتقوى، طائعاً له، فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه"،[1] وقال الآلوسي _رحمه الله_: " إن هذه قد افتتحت بمثل ما اختُتمت به تلك من الأمر بالتقوى ، وهو ما يُسمى في البديع تشابه الأطراف ، وهو آكد وجوه المُناسبات في ترتيب السور" ،[2] ومنها أنه لما ذُكر في آل عمران قصة خلق عيسى _ عليه السلام _ بلا أب، وأُقيمت الحجة بآدم _ عليه السلام _، وفي ذلك تبرئة لأمه _عليها السلام_، خلافاً لما زعمته اليهود، وتقريراً لعبوديته _ عليه السلام _، خلافاً لما ادعته النصارى، ذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً، فرد على اليهود بقوله تعالى: { وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا } آية 156، ورد على النصارى بقوله تعالى: { يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا

[1] أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ، ج38، ص208.

[2] الآلوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني، ج2، ص2-3.

ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ }

الآيات (171–172)، ومنها أنه لما ذُكر في آل عمران { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } آية 55، رد هنا على من زعم قتله بقوله: { وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}.[1]

تعتبر هذه السورة الكريمة بحراً زاخراً بالآداب والتشريعات والقواعد والحكم والتكاليف ، قال الزمخشري _رحمه الله_: " ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس لثقلها على الطباع، افتتحت السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة، وهي تقوى الله سبحانه وتعالى" [2]، فوحدتها قائمة على تنظيم العلاقات بين المسلمين، قال السّيوطي _رحمه الله_ : "وأمّا سورة النّساء، فتضمّنت أحكامَ الأسباب والرّوابط الّتي بين النّاس على اختلافهم، وهي نوعان: مخلوقة لله ومقدورة لهم كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله:{ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ } ثم قال:{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ } فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية

---

[1] يُنظر السيوطي، جلال الدين، قطف الأزهار في كشف الأسرار،ج2، ص 679–670.

[2] الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، بيروت: دار إحياء التراث العربي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ج5، ص128.

المفتتح بها ما أكثرت السورة في أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالأرحام، وأن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالاً كثيراً ونساء **في** غاية الكثرة "،[1] كما أنها قررت من بدايتها حقيقة الربوبية ووحدانيتها، قال الرزي رحمه الله: " في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على كمال تنزيه الله وسعة قدرته، وآخرها مشتمل على كمال العلم، وهذان الوصفان بما تثبت به الربوبية والإلهية، والجلال والعزة، وبهما يجب أن يكون العبد منقاداً للتكاليف"، [2] وقال البقاعي _رحمه الله_: " مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه آل عمران ، والكتاب الذي حدت عليه البقرة لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة، ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد ، وكان السبب الأعظم في التواصل عادة الأرحام العاطف على مدارها النساء، ولأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد"[3]، وعنيت كذلك بحفظ كيان المجتمع المسلم الخارجي بالحث على الجهاد وبيان ثوابه، والتعريف بأعدائه الراصدين له من المشركين وأهل الكتاب، وختمت السورة الكريمة بتصحيح عقائد النصارى وبيان ضلالاتهم وغلوهم في أمر المسيح عيسى ابن مريم _عليهما السلام_ وتقرير الحق في شأنهما، وبيان وحدة الرسالة ومصدر الوحي، وتقرير أن رسالة النبي ﷺ ليست بدعاً من الرسالات، قال محمود شلتوت: " سورة النساء عالجت الاستقرار الداخلي الذي أساسه صلاح الأسرة، وصلاح المال ، في ظل تشريع قوي عادل مبني على مراعاة مقتضيات الطبيعة الإنسانية،

---

[1] السيوطي،جلال الدين الإتقان في علوم القرآن، ج2،ص208.

[2] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج6، ص76.

[3] البقاعي، إبراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق د.عبد السميع حسنين،مكتبة المعارف،1987، ج2،ص88-89.

مُجردٍ من تحكيم الأهواء والشهوات، كما عالجت الاستقرار الخارجي الذي أساسه احتفاظ الأمة بشخصيتها، والاستعداد لمقاومة الشر الذي يطرأ عليها والعدو الذي يطمع فيها."[1]

علاقة القصص الوارد في سورة النساء بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

تتكون وحدة السورة الكريمة من مقدمة وستة مقاطع وخاتمة، كما يرى صاحب الظلال _رحمه الله_.

المقدمة: طالبت بتقوى الله سبحانه وتعالى وبينت مقتضياتها، وفي أثناء ذلك ذكرت الإنسانية بأصلها الواحد، والتي تتمثل بالآية الأولى من السورة الكريمة، المقطع الأول: يدعو إلى عبادة الله سبحانه والإيمان والعمل الصالح كطريق للتقوى، ويُبين أن الطاعة المطلقة لله وحدة ولرسوله من بعده، والذي شمل الآيات من (2–43)، المقطع الثاني: فيه توجيهات تعمق الرؤية في شأن أهل الكتاب وجحودهم وضلالهم وكيدهم ومكرهم بالمسلمين، والذي شمل الآيات من (44–57)، المقطع الثالث: يهدف إلى إلغاء ملامح الجاهلية المترسبة ، وتثبيت الملامح الإسلامية الجديدة وتطهير المجتمع الإسلامي والارتفاع بالجماعة المسلمة والمضي بها صعداً في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة، وذلك ببيان معنى الدين ، وشرط الإيمان ، ووحدة الإسلام ، بيانا حاسمًا جازماً . يكشف عن طبيعة النظام الإسلامي ، ومنهج المسلمين في الطاعة والاتباع والتلقي من الله وحده ، والتحاكم إلى منهج الله وحده ، واتباع حكم رسوله وطاعته ، والذي شمل الآيات من (58–70)، المقطع الرابع: يُوجه الجماعة المسلمة لحماية هذا المنهج الواضح بالقتال ، والتنديد بالمعوِقين والمنافقين الذين يبطئون عن الجهاد ، واستجاشة الضمائر المؤمنة ، ببيان أهداف القتال ، وبيان حقيقة الأجل والقدر ، لتطهير القلوب من الخوف والفزع ، والذي شمل الآيات من (71–126).

---

[1] شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، ص137.

المقطع الخامس: يُنظم العلاقات الإجتماعية في الأسرة والمجتمع الإسلامي تنظيماً إدارياً وأخلاقياً ومالياً ، والذي شمل الآيات من (127–143)، المقطع السادس: بيَن وحدة الرسالات واشتراط الإيمان بجميع الرسل وكفر من فرق بينهم، واستطرد في مواجهة أهل الكتاب، فعرض جرائم اليهود ضد أنبيائهم، وموقفهم من رسالة محمد ﷺ، كما عرض جولة مع النصارى ودعوتهم للإيمان والتخلي عن التثليث، والذي شمل الآيات من (148–173)، الخاتمة: فيها دعوة للناس كافة للدخول في الإسلام ، والإيمان بخاتم الرسل محمدﷺ ، والتي تمثلت في(174–176) ، [1] قال البستاني: " سورة النساء بدأت الحديث عن الميلاد البشري وقطعت رحلة تحدثت خلالها عن العلاقات الاجتماعية بخاصة العلاقة بين الرجل والمرأة وما يواكبها من العلاقات النَسبيّة، وعرضت لمختلف العلاقات العامة التي تخصّ الهدف العبادي الذي أنشأ الله من أجله الإنسان فتحدثت عن الإسلاميين والمنافقين واليهود، وختمته بالحديث عن المسيحيين.... فتحدثت عن الموقف العقائدي المنحرف لهم دون الموقف العملي المتمثل في العدوان ونحوه، لذلك طالبتهم بأن يؤمنوا بالله ورسوله وأن يكفّوا عن المغالاة والتشريك، مقدمةً خلال ذلك تدليلاً منطقياً هو { لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ سورة ا النساء آية72 ثم يقول: " وإذا تابعنا الآن ما تبقّى من السورة الكريمة، نجد أن النص يخلص من خلال عرضه لهذه الفئات المنحرفة، يخلص إلى التأكيد على الهدف الفكري العام الذي تحوم عليها كل النصوص، ونعني به الإيمان بالله

---

[1] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن،م1، ج 4، ص560–590، ويُنظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير،ج2، ص1073–1098.

وبرسالة الإسلام. لذلك خلّل النصُ حديثَه عن الموضوعات المشار إليها: إشارات إلى الأنبياء السابقين: نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، الأسباط، عيسى، أيوب، يونس، هارون، سليمان، داوُد، موسى مع تأكيد على الاسم الأخير نظراً لشذوذ قومه الذين تفردوا عن سائر الفئات بالعدوانية المتفردة، كما خلّلها إشارات إلى أن رسالة الإسلام هي برهان ونور"، [1] أشارت السورة الكريمة إلى آل إبراهيم عليهم السلام في مقطعها الثاني وذلك في سياق إنكار الله سبحانه وتعالى على اليهود حسدهم للنبي ﷺ على ما آتهاه الله سبحانه وتعالى من النبوة، وتذكيرهم بما حازعليه أسلافهم من الكتاب والحكمة والنبوة مما ينبغي أن لا يحسدوا أحداً على ما آتاه الله سبحانه وتعالى ، فنعى سبحانه وتعالى عليهم حسدهم وتعجبهم لأمر محمد ﷺ، وورد فيها حلقة من قصة موسى _ عليه السلام _ في مقطعها السادس وذلك في سياق الحديث عن جهالات اليهود وجرائمهم ضد أنبيائهم ، وبيان ما جبلوا عليه من عناد وتعنت في السؤال والطلب ، فقد سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء وكانوا قد سألوا موسى _ عليه السلام _ ما هو أعظم منه وهو رؤية الله عزوجل، واتخاذهم العجل من بعد ما جاءتهم البينات، ونقضهم الميثاق الذي أخذه الله سبحانه عليهم بعد رفع الطور فوقهم، وكذلك افتراءاتهم على مريم وعيسى _عليهما السلام_، فتبعتها الحلقة من قصة عيسى _ عليه السلام _ المتعلقة بالرد على شُبهاتهم وافتراءاتهم في حقه _ عليه السلام _ حيث ادعوا أنهم قتلوه وصلبوه، وتقرير الحق في شأنه _ عليه السلام _، قال البستاني : " عُرضت هذه الحلقة في سياق عرض المواقف اليهودية، فالنص القرآني يعرض سلوكهم العملي واللفظيّ الذي لا مماثل له في السلوك البشري من حيث بشاعته وعدوانيته، أما السلوك العملي فيعرضه من خلال إشارته إلى قتلهم للأنبياء، ثم يعرض جناية كبيرة لهم وهي تصورهم المخطئ

[1] البستاني، محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم، ج1،369.

بأنهم قتلوا عيسى _ عليه السلام _ أيضاً. وخلال هذا العرض الفني لسلوكهم العدواني البشع، يعرض النص حقيقة الموقف ويقدّمه حقيقة تاريخية هي: أن عيسى _ عليه السلام _ رفعه الله تعالى، وإن القضية هي ليست قتلاً ولا صلباً لعيسى بقدر ما هي مجرد (تشبّه). ومن الواضح أن عرض هذه الحقيقة التاريخية قد انطوى على أكثر من سرّ فني، منه إبراز النزعة العدوانية التي تمتد لتحاول قتل نبي مثل عيسى _ عليه السلام _ ، ومنه أن الله تعالى يقف بالمرصاد لمن يخيّل إليه أنه بمقدوره أن يمارس عدوانه في الحالات جميعاً.هذا فيما يتصل بمواقفهم عملياً، أمّا ما يتصل بمواقفهم لفظياً، فقد عَرَض النص موقفين منها (حيث عرض موقفين عمليين) الأول الذي عرضه هو قولهم: (قلوبُنا غلف) والموقف الآخر هو (قولهم على مريمَ بهتاناً عظيماً) "، [1] وورد فيها الإشارة إلى محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وداود وموسى عيهم السلام جميعاً في المقطع السادس في سياق بيان وحدة الوحي والرسالات.

وقد ورد الحديث عن عيسى وأمه _عليهما السلام_ في المقطع السادس وذلك في سياق الحديث عن جرائم اليهود ضد أنبيائهم، وموقفهم من رسالة محمد ﷺ، وذلك في قوله تعالى: { وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا } آية 156، فبينت الآيات كفر اليهود لزعمهم الباطل في حق مريم _عليها السلام_، قال الرازي رحمه الله: " اعلم أنهم نسبوا مريم إلى الزنا لإنكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من دون الأب ومنكر قدرة الله على ذلك كافر"، [2] كما بينت الآيات بطلان ما ادعاه اليهود والنصارى االمتعلق بقتله _ عليه السلام _ وصلبه، وذلك ببيان تخبط هؤلاء وهؤلاء واختلاف

---

[1] البستاني، محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم، ج1، ص367.

[2] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج6، ص78.

رواياتهم، وتضاربها وتداخلها بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين ، فادعاؤهم قائم على الظن الذي لا يُغني من الحق شيئاً، أما القول الفصل فقد قرره الحق سبحانه بقوله" { وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ } (157– 159)، قال أبو السعود _ رحمه الله_ : "انتظم قولهم هذا في سلك جرائمهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذباً بل لتضمنه ابتهاجهم بقتل النبي _ عليه السلام _ والاستهزاء به فإن وصفهم له بعنوان الرسالة إنما هو بطريق التهكم به"، [1] قال شيخ الإسلام _ رحمه الله_ : " فإنهم بهذا الكلام يستحقون العقوبة؛ إذ كانوا يعتقدون جواز قتل المسيح، ومن جوز قتله فهو كمن قتله، فهم في هذا القول كاذبون وهم آثمون، وإذا قالوه فخراً لم يحصل لهم الفخر لأنهم لم يقتلوه، وحصل الوزر لاستحلالهم ذلك وسعيهم فيه [2]، قال النبي

---

[1] أبو السعود العمادي، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2،ص251.

[2] ابن تيمية، ،أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى ابن تيمية، التفسير، فَصْل في تحريف الإنجيل ، ص256.

ﷺ: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار). قالوا: يا رسول اللّه، هذا القاتل، فما بال المقتول؟. قال:(إنه كان حريصًا على قتل صاحبه).[1]

فنفى سبحانه وتعالى قتل وصلب عيسى _ عليه السلام _ بقوله { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ }157 أي ألقي شبهه على غيره، وبين الإمام الرازي _رحمه الله_ اختلاف النصارى في شأنه _ عليه السلام _ فقالت فرقة تُدعى النسطورية: أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وقالت الملكانية: القتل والصلب وصلا إلى الاهوت بالإحساس والشعور لا بالمباشرة، وقالت اليعقوبية: القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين،[2] كما أن من ادعى قتله من اليهود، ومن سلَّمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة، ولهذا قال: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا } آية 157 أي:هم غير متيقنين في قتله، فقال بعضهم : قتلناه ، وقال من عاين رفعه إلى السماء ما قتلناه، أو غير متيقنين أنه هو الذي قُتل، فردّ تعالى عليهم ونفى ادعائهم بإثبات الرفع فقال{ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ } آية 158، رفعه _ عليه السلام _ إلى السماء ثابت بهذه الآية، وثابت كذلك في سورة آل عمران { إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ } آية55، والراجح والله أعلم أن معنى الوفاة هنا القبض أي: إني قابضك

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان ، باب {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما} فسماهم المؤمنين ، حديث رقم 328، وهذا الحديث رواه الأحنف بن قيس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

[2] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج6، ص80.

من الأرض ورافعك إليّ ، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ بنزول عيسى _ عليه السلام _ آخر الزمان،(وهو اختيار الإمام الطبري رحمه الله)، قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم بن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها) ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً}[1] كما قرر تعالى أن هؤلاء اليهود الذين كانوا مبالغين في عداواته لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به فقال: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته}". [2] وأن مصير هؤلاء المختلفون في أمر عيسى _ عليه السلام _ إليه سبحانه يوم القيامة يقضي بين جَميعاً بالحق فيما كنتم فيه تختلفون به من أمره _ عليه السلام _، كما ورد ذكر عيسى _ عليه السلام _ في سياق بيان غلو _ وهو مجاوزة الحد أي الْحُدُودَ التي حَدَّهَا اللهُ تعالى _ النصارى في شأن عيسى _ عليه السلام _ عليه ، وتصحيح عقائدهم، وتقرير الحق في شأنه، فقدغلت النصارى فيه حتى جعلوه ربا؛ أو ابن الإله، ولذلك قال رسول الله ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)[3] وذلك في قوله تعالى: {يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٌ

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم _ عليه السلام_، حديث رقم 3264، وهذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

[2] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج6، ص81-82.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، حديث رقم 3261، وهذا الحديث رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ.

مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ
سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟
فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ } (171–173)،

فهذا قول على الله بغير الحق، فبيّن سبحانه حقيقة عيسى _ عليه السلام _ بأنه عيسى ابن مريم، دون غيرها من الخلق، لا نسب له غير ذلك، ثم ووصفه بصفته بأنه رسول الله أرسله الله بالحق إلى من أرسله إليه من خلقه وليس ابن الله كما زعم الغالون في دينهم من أهل الكتاب ، وأنه وُجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة ولا نطفة، ووصفه بأنه روح وأراد بها غاية الطهارة لأنه _ عليه السلام _ لم يتكون من نطفة الأب وإنما تكون من نفخة جبريل ___ عليه السلام _ ، قال الإمام الرازي رحمه الله: "وقوله {منه} إضافة لتلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم"، [1] قال صاحب المنار _ رحمه الله_: " إن الروح ما به الحياة ، والحياة قسمان : حسية ومعنوية ; فالأولى : ما يشعر به الإنسان ويدرك ويتفكر ويتذكر ، والثانية : ما به يكون رحيماً حكيماً فاضلاً محباً محبوباً نافعاً للخلق ، وكلا المعنيين متحقق في عيسى _ عليه السلام _ ، على وجه الكمال"[2] ، ثم

---

[1] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج5، ص93.

[2] رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج6، ص78.

أمرهم بالإيمان بوحدانيته وربوبيته، وتصديق رسله فيما جاءوكم به من عنده، وبالانتهاء عن قولهم {ثلاثةٌ} أي ولا تقولوا: الأربابُ ثلاثة، متوعدًا لهم في قولهم العظيم بسوء العاقبة إن لم ينتهوا، ثم نزه نفسه سبحانه عن الشريك فقال: { إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ } سورة النساء 171 أي: هو المنفرد بالألوهية، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، كما نزه نفسه جل جلاله عن الولد لأن من كان له ولد، فليس بإله، فقال: { سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ } أي: علا الله وجل وعز وتعظمَّ وتنزه عن ذلك، لأن { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ } فالكل مملوكون له مفتقرون إليه، فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد، فهو وحده الوكيل عليهم رازقهم وقَيِّمهم ومدبِّرهم، ثم أخبر سبحانه: أن عيسى وأمَّه _عليهما السلام_ ومن في السموات ومن في الأرض، خلقه عبيدُه وإماؤه ، فالمسيح _ عليه السلام _ لن يستكبر ولن يأنف ولن يمتنع أن يكون عبداً لله سبحانه قال الإمام الطبري رحمه الله: "فإن نفي الشيء فيه إثبات لضده" ،[1] وبعد أن أقام تعالى الحجة القاطعة على أن عيسى عبد الله، ولا يجوز أن يكون ابناً له أشار بعده إلى حكاية شبهتهم وأجاب عنها، وذلك لأن الشبهة التي عليها يعولون في إثبات أنه ابن الله هي أنه كان يخبر عن المغيبات، قال الإمام الرازي رحمه الله: "فالملائكة مع كمال حالهم في العلوم والقدرة لن يستنكفوا عن عبودية الله، فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر القليل الذي كان معه من العلم و القدرة " .[2]

- يظهر مما تم ذكره سابقاً اتحاد محور سورة النساء بالقصص الوارد فيها فكلا القصتين الحلقة من قصة موسى وعيسى _عليهما السلام_ جاءت لتقرر حقيقة عيسى _ عليه السلام _ ، وترد على الشبهات والافتراءات المتعلقة به_ عليه السلام _ ، والإشارة التي تم ذكرها عن محمد ﷺ

---

[1] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن،ج9، ص422.

[2] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج5، ص93.

ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وداود وموسى _عليهم السلام جميعاً_ جاءت لتقرير وحدة الرسالة ومصدر الوحي، وأن رسالة النبي ﷺ ليست بدعاً من الرسالات.

ثالثاً: سورة المائدة:

سورة مدنية[1]، وهي بعد سورة النساء في ترتيب المصحف، سميت السورة بالمائدة لذكر قصة المائدة في نهايتها ، وهي سورة العقود : إذ وقع هذا اللفظ في أوّلها وهو أوضح دليل على مقصودها ، وقد اشتملت على العديد من الأحكام ، وقد ذكر القرطبي _رحمه الله_ في تفسيره نقلاً عن أبي ميسرة[2] أنّ فيها تسع عشرة فريضة ليست في غيرها [3] ، وذكر الغزالي أنها اشتملت على مقاصد الشريعة الخمسة.[1]

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج9، ص430.

[2] هو عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني الكوفي. حدث عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وغيرهم. وكان إمام مسجد بني وادعة، الذهبي ،محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001. ج2، ص422.

[3] "وهي سبع في قوله تعالى: { والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردّية ، والنطيحة . وما أكل السبع . . . وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام} آية 3 وقوله تعالى: { وما علَّمتم من الجوارح مكلّبين} آية 4 ، وقوله تعالى: { وطعامُ الذين أوتوا الكتاب . . . والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب }آية 5 ، وتمام الطهور في قوله تعالى: { إذا قمتم إلى الصلاة } آية 6 أي إتمام ما لم يذكر في سورة النساء ،وقوله تعالى: { والسارق والسارقة} آية 38 ، و قوله تعالى: { لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم.. إلى قوله عزيز ذو انتقام }آية 95 ، و قوله تعالى: { ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام } آية 103) ، وقوله تعالى : { شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت } آية 106 وق قوله تعالى: { (وإذا

ومن مناسبة هذه السورة لما قبلها أنها دعت إلى الوفاء بالعقود التي اشتملت عليها سورة النساء ، قال السيوطي _رحمه الله_: " وأما اعتلاقها بسورة النساء فقد ظهر لي فيه وجه بديع جداً وذلك أن سورة النساء اشتملت على عدة عقود صريحاً وضمنًا فالصريح: عقود الأنكحة وعقد الصداق وعقد الحلف وذلك في قوله: {وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ} النساء آية 33 ، وعقد الأيمان في هذه الآية وبعد ذلك عقد المعاهدة والأمان في قوله:{إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَـٰقٌ} النساء آية 90، وقوله:{ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوٍّ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤۡمِنَةٍ } النساء آية92، والضمنى: عقد الوصية والوديعة والوكالة والعارية والإجارة وغير ذلك من الداخل في عموم قوله:{ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا } النساء آية58، فناسب أن يعقب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود فكأنه قيل في المائدة: { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ } آية 1 التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت فكان ذلك غاية في التلاحم والتناسب والارتباط ، ثم إن هاتين السورتين النساء والمائدة في التقديم والاتحاد نظير البقرة وآل عمران فتلكما في تقرير الأصول من الوحدانية والكتاب والنبوة وهاتان في تقرير

ناديتم إلى الصلاة} آية 58 ليس للأذان ذكر في القرآن إلاّ في هذه السورة أما ما جاء في سورة الْجُمُعَةِ فمخصوص بالجمعة، وهو في هذه السورة عام لجميع الصلوات ".ج 6، ص 30–31.

[1] وهي : حفظ الدين آية 54، وحفظ النفس آية 32، وحفظ العرض آية 5 ، وحفظ المال آية 38، وحفظ العقل آية90 ، الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي، ص65–68.

الفروع الحكمية وقد ختمت المائدة بصفة القدرة كما افتتحت النساء بذلك وافتتحت النساء ببدء الخلق وختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء فكأنما سورة واحدة اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المنتهى"،[1] فكأن سورة المائدة متممة ومكملة لما قبلها(أي سورة النساء) قال الآلوسي _رحمه الله_: " معظم سورة المائدة في محاجّة اليهود والنصارى، مع شيء من ذِكر المنافقين والمشركين ، وهو ما تكرر في سورة النساء ، وأُطيل به في آخرها ، فهو أَقوى المناسبات بين السورتين ، وأَظهر وجوه الاتصال ، كأَن ما جاء منه في هذه السورة متمم ومكمل لما فيما قبلها ، وفي كلٍّ من السورتين طائفة من الأحكام العملية في العبادات والحلال والحرام"،[2] كما بين سعيد حوى _رحمه الله_ أن من وجوه الاتصال بين السورتين أن سورة النساء فصلت فيما هو من التقوى وسورة المائدة فصلت فيما ليس من التقوى أي فيما هو نقض للميثاق وذلك لتعمق عندنا قضية التقوى وتحققنا بها بتخليصنا من أضدادها،[3] وفصلت هذه السورة الكريمة فيما هو نقض للميثاق وبينت حال من نقض وحال من وفَى، قال الغرناطي _رحمه الله_: "سورة المائدة حصل من جملتها الأمر بالوفاء فيما تقدمها، وحال من حاد ونقض، وعاقبة من وفَى وأنهم الصادقون"،[4] وهي أجمعُ سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم، والأمر والنهي؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية _رحمه الله_: "هذه السورة كلها مختصة بعلم الأحكام الحلال والحرام والعقود بخاصة، حتى قصص الأنبياء التي فيها لها صلة بالأحكام، وحتى قصة ابني آدم لها صلة بهذا الموضوع"، [5] وهي سورة الإتمام والتكميل

---

[1] السيوطي، جلال الدين ، أسرار ترتيب القرآن، ص10.

[2] الآلوسي، أبو الفضل محمود عبد الله، روح المعاني ،ج7،ص97.

[3] حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ج3، ص 1297−1298.

[4] الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، البرهان في ترتيب سور القرآن، ص203.

[5] ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى ابن تيمية، قسم التفسير، سورة المائدة ،ج2،ص488.

كما قال السيوطي _رحمه الله_ حيث قال: " وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الأمة وبها تم الدين فهي سورة التكميل"،[1] وقد امتازت هذه السورة باتِّساع نطاق المجادلة مع النصارى ، وبيان ما هم عليه من انحراف في عقيدتهم، وختمت السورة الكريمة بتقرير الألوهية الواحدة لله سبحانه وتعالى، ونفي كل شرك أو تثليث وذلك بإثبات براءة المسيح عيسى بن مريم _ عليه السلام _ من دعوى الألوهية.

فهذه السورة الكريمة كما بين شلتوت مبنية من أولها إلى آخرها على حرفين واضحين أولهما: حث المؤمنين على التزام المواثيق والعهود وتحذيرهم عاقبة إهمالها، والثاني النعي على أهل الكتاب نقضهم مواثيق الله سبحانه، وبيان أن هذا كان شأن جميعهم [2].

علاقة القصص الوارد في سورة المائدة بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة تتكون وحدتها من مقدمة وستة مقاطع وخاتمة، كما يرى صاحب الظلال رحمه الله.

المقدمة: تدعو المؤمنين إلى الوفاء بالعقود والمواثيق، وتحذر من عاقبة إهمالها، وشملت الآيات من (1–11)، المقطع الأول: يعرض مواقف أهل الكتاب من مواثيقهم مع الله سبحانه وتعالى ومع أنبيائهم ويبين عقابهم لتكون تلك المواقف عبرة وعِظة لنا، ويشمل الآيات من (12–43)، المقطع الثاني: يقرر أن الحكم والتشريع لله سبحانه وتعالى، وأنهما من مقتضيات الألوهية والربوبية، ويشمل الآيات من (44–50).

المقطع الثالث: يُبين أن الموالاة لا تكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولا تكون للكافرين،

---

[1] السيوطي،جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص298.

[2] يُنظر شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، ص206–207.

ويشمل الآيات من (51–66)، المقطع الرابع: يبيُن كفر وانحراف وإفساد أهل الكتاب، ويشمل الآيات من (67–86)، المقطع الخامس: يبيُن أن قضية التشريع هي قضية الألوهية، ويشمل الآيات من (86–108)،المقطع السادس: يُقوِم ويُصحح انحرافات النصارى العقدية المُتعلقة بعيسى _ عليه السلام _ ويعرض مشهدهم معه _ عليه السلام _ يوم القيامة، ويشمل الآيات من (109–119)، الخاتمة: تقرر ملكية الله للسماوات والأرض وما فيهن، وتبين قدرته سبحانه التي لا حدود، والتي تمثلت في الآية الأخيرة من السورة الكريمة،[1] القصص الذي ورد في هذه السورة الكريمة جاء في سياق التأكيد على الالتزام بالعهود والمواثيق وبيان عاقبة مخالفتها، فبينت السورة الكريمة مواقف أهل الكتاب من مواثيقهم، وأشارت إلى كثير من مظالم بني إسرائيل ونقضهم لميثاقهم وبينت مصيرهم، وذلك لتحذير الأمة المسلمة من نقض الميثاق مع الله سبحانه وتعالى فيصيبها ما أصابهم بسبب نقض المواثيق والعهود، فساقت السورة الكريمة في مقطعها الأول الذي عرض مواقف أهل الكتاب من مواثيقهم مع الله سبحانه وتعالى ومع أنبيائهم وبين عقابهم ، قصة لليهود تثبت عنادهم وتمردهم على أنبيائهم وهو المتعلق بعصيان أمر نبيهم موسى _ عليه السلام_ دخول الأرض المقدسة، وجرأتهم على الله سبحانه وتعالى بقولهم{ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾} المائدة آية 24 كنموذج لنقضهم ماعاقدوا الله عليه من الطاعة لنبيهم موسى _ عليه السلام _ لتكون تسلية للنبي ﷺ ، وبينت الآيات عقوبة ما فعلوه حيث حُرِم عليهم دخولها وتملكهم إياها وحُكم عليهم بالتيه أربعين سنة، لتحذير المؤمنين من نقض الميثاق مع الله سبحانه

[1] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، م 2، ج 6–7، ص140–186، يُنظر شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، ص 270.

وتعالى فيصيبها ما أصابهم بسبب نقض المواثيق والعهود، قال صاحب الظلال _رحمه الله_: " إنها حلقة من قصة بني إسرائيل التي فصلها القرآن أوسع تفصيل . . ذلك لحكمة متشعبة الجوانب . . ومن جوانب هذه الحكمة أن بني إسرائيل هم أول من واجه الدعوة الإسلامية بالعداء والكيد والحرب في المدينة وفي الجزيرة العربية كلها،...ثم قال: ومن جوانب هذه الحكمة أن بني إسرائيل هم أصحاب آخر دين قبل دين الله الأخير . وقد امتد تاريخهم قبل الإسلام فترة من التاريخ طويلة؛ ووقعت الانحرافات في عقيدتهم ؛ ووقع منهم النقض المتكرر لميثاق الله معهم ؛ ووقع في حياتهم آثار هذا النقض وهذا الانحراف ، كما وقع في أخلاقهم وتقاليدهم . . فاقتضى هذا أن تلم الأمة المسلمة – وهي وارثة الرسالات كلها وحاضنة العقيدة الربانية بجملتها – بتاريخ القوم ، وتقلبات هذا التاريخ ؛ وتعرف مزالق الطريق ، وعواقبها ممثلة في حياة بني إسرائيل وأخلاقهم " [1]كما ذكرت السورة الكريمة في هذا المقطع نوعاً آخر من نقض الميثاق وذلك في قصّة ابني آدم _ عليه السلام _ ، وعصيان أحدهما حكم الله تعالى بقتله النفس التي حرمها الله بغير حقّ، حيث أقدم على قتل أخيه حسداً له بعد عدم قبول قربانه الذي قدمه لله سبحانه وتعالى لأنّه لم يكن من المتّقين، وقبول قربان أخيه، فأصبح من الخاسرين بحمل وزر كل من أقدم على فعل ما فعله لقول النبيﷺ: "لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على بن آدم الأول كفل من دمها وذلك لأنه أول من سن القتل"،[2] قال الرازي _رحمه الله_ : " إنه تعالى لأجل التسلية وتخفيف هذه الأحوال على القلب ذكر قصصاً كثيرة في أن كل من خصه الله تعالى بالنعم العظيمة في الدين والدنيا فإن الناس ينازعونه حسداً وبغياً، فذكر أولاً قصة النقباء الاثني عشر وأخذ الله تعالى الميثاق منهم،... ثم ذكر بعده قصة

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م1،ج6، ص1745–1746.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء ،باب قول الله تعالى {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة}، حديث رقم 3157.

ابنى آدم أن أحدهما قتل الآخر حسداً منه على أن الله تعالى قبل قربانه، وكل هذا القصص دال على أن كل ذي نعمة محسود، فلما كانت نعم الله على محمد صلى الله عليه وسلم أعظم النعم لا جرم لم يبعد اتفاق الأعداء على استخراج أنواع المكر والكيد في حقه، فكان ذكر هذا القصص تسلية من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم لما هم قوم من اليهود أن يمكروا به وأن يوقعوا به آفة ومحنة".[1]

وورد ذكر عيسى _ عليه السلام _ في المقطع الثاني الذي قرر أن الحكم والتشريع لله سبحانه وتعالى، وأنهما من مقتضيات الألوهية والربوبية، وذلك في سياق الحديث عن أن التوراة يحكم بها النبيون فذكر تعالى أنه قفاهم بعيسى _ عليه السلام _ تنبيهاً على أنه _ عليه السلام _ من جملة الأنبياء الذين يحكمون بالتوراة ، وتنويهاً باسمه ، وتنزيهاً له عما يدعيه اليهود فيه ، وأنه من جملة مصدقي التوراة،[2] وذلك في قوله تعالى : {وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } آية 46 ، وقد ورد في سورة الحديد قوله تعالى: { ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ } آية 27، ووجه ما زيد في آي الحديد من المُقفى بهم قبل عيسى _ عليه السلام _ ولم يقع ذلك في سورة المائدة مع اتحاد ما قُصد من الموضعين من تواتر الرسل وتقفية بعضهم ببعض، أن آية المائدة ورد فيها الحديث عن بني إسرائيل ونقضهم الميثاق، ومن كان فيهم من الأنبياء من بعد موسى _ عليه السلام _، ولا توقف

[1] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج76 ص160.

[2] يُنظر أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ، ج 3، ص 509-510.

في تعقيب الرسل والأنبياء بعيسى _ عليه السلام _، فهذا لم يقع هنا ذكر واسطة، أما آية الحديد فالمراد فيها عامة الرسل _عليهم السلام_ من بني إسرائيل ومن غيرهم، فذكر نوح وإبراهيم لفضلهما وأشار إلى الأنبياء الذين كانوا بينهم وبين عيسى _ عليه السلام__، وذلك كثير.[1]

كما ورد ذكره _ عليه السلام _ في المقطع الرابع الذي بين كفر وانحراف وإفساد أهل الكتاب، في سياق إبطال افتراءات النّصارى حول عيسى _ عليه السلام _ وتصحيح انحرافاتهم العقدية، وذلك في قوله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ

---

[1] يُنظر الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل، ج1، ص 403–405.

ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ

﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ }

الآيات(72–79)، فنطقت الآيات بصريح كفر من أشرك بالله، وبكفر من قال إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وردت ذلك بحجة قاطعة مما يقرون به؛ وهو قول عيسى _ عليه السلام _ { يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ }، قال السعدي _رحمه الله_ : " فبين سبحانه وتعالى أنه لا يغفر لمن أشرك به أحداً من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه، وذلك في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} سورة النساء آية 48 ، فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين، ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد، وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً، وما لهم يوم القيامة مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ 182 ، ولهذا حُكم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب "، [1] وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه كما قال تعالى { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،ج1، ص181.

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } الزمر آية 53 أي لمن تاب إليه وأناب ولذلك دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم، وإلى الرجوع إلى ما يحبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد، وبأن عيسى عبد الله ورسوله، وبين أنه يقبل التوبة عن عباده فقال تعالى: { أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } سورة المائدة آية 74.

قال رسول الله ﷺ : (أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى)[1]، وقال ﷺ: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار)[2].

كما نطقت الآيات بكفر من قال من النصارى إن الله ثالث ثلاثة ، وأثبتت براءة عيسى _ عليه السلام _ من دعوى الألوهية التي ادعاها النصارى، وأكدت على بشريته وأنه ___ عليه السلام _ مرسل من عند الله كباقي الرسل التي بعثها الله سبحانه وتعالى وأوردت الآيات دليلاً على بشريته وبشرية أمه _عليهما السلام_ بكونهما يأكلان الطعام، وأكل الطعام خصيصة من خصائص الأحياء الحادثين، وتوعدت القائلين بذلك بالعذاب الأليم إن لم ينتهوا، قال السعدي _رحمه الله_ : " صرحت الآيات بنفي هذه الفِرْية التي ادعاها الجهلة من النصارى في حقه _ عليه السلام _ وبينت أن قولهم

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ، حديث رقم7049 ، وهذا الحديث رواه أبو ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار ، حديث رقم94.

[2] مسلم، أبوالحسين بن الحجاج ،صحيح مسلم،، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار ، حديث رقم93،، وهذا الحديث رواه جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ.

مبني على اتباع الهوى من غير برهان ولا حجة، فرد الله عليهم بأدلة عقلية واضحة ، بأنه لو كان _ عليه السلام _ إلهاً كما تزعمون لاستطاع ردَّ ودفع أمرَ الله الموت عند نزوله بهما الذي جاءه بإهلاكه وإهلاك أمه ، فعدم حصول ذلك دليل على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك، وبأن ملك السماوات والأرض وما بينهما كله لله ، يتصرف فيهما بحكمه ومن فيهما مملوكون مدبرون، وأنه سبحانه خالق الخلق بحسب مشيئته، فلا وجه لاستغرابهم لخلق المسيح عيسى ابن مريم من غير أب، فإن الله يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إن شاء من أب وأم، كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم، كحواء، وإن شاء من أم بلا أب، كعيسى _ عليه السلام _، وإن شاء من غير أب ولا أم كآدم _ عليه السلام _، وانتهت الآية بإثبات القدرة المطلقة له تعالى فهو على كل شيء قدير"،[1] وبينت الآيات كذلك أن الله تعالى لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، على لسان على داود نبيه، _ عليه السلام _، وعلى لسان عيسى ابن مريم، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه، كما ورد ذكره _ عليه السلام _ في المقطع السادس الذي جاء فيه تقويم وتصحيح انحرافات النصارى العقدية المُتعلقة بعيسى _ عليه السلام _، وذلك في سياق تذكير الله سبحانه وتعالى لعيسى بن مريم وأمه _عليهما السلام_ ببعض النعم التي آتاهما إياها ، مع كونهما ذاكران لها عالمان بتفضل الله سبحانه بها عليهما، وذلك في قوله تعالى : { إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص 228.

تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا
عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا
عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

}(110–115) ، قال القرطبي _ رحمه الله_: " ذكرهما بقصد تعريف الأمم بما خصهما الله به من الكرامة وميزهما به من علوّ المنزلة ، أو لتأكيد الحجة ، وتبكيت الجاحد ، وتوبيخ من اتخذهما إلهين ، ببيان أن ذلك الإنعام عليهما كله من عند الله سبحانه ، وأنهما عبدان من جملة عباده منعم عليهما بنعم الله سبحانه ، ليس لهما من الأمر شيء ، لتكون له شهادة وبينة ، بتقرير الألوهية الواحدة لله سبحانه وتعالى، ونفي كل شرك أو تثليث وذلك بإثبات براءة المسيح عيسى بن مريم ___ عليه السلام _ من دعوى الألوهية"،[1] والتي تمثلت بتأييده وتقويته بروح القدس في حال تكليمه

[1] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج6 ، ص362.

الناسَ في المهدِ وكهلاً ، قال الإمام الطبري _رحمه الله_ : " وإنما سمى الله تعالى جبريل روحاً وأضافه إلى القُدس، لأنه كان بتكوين الله له روحاً من عنده، من غير ولادة والد ولده، فسماه بذلك روحاً، وأضافه إلى القُدس – والقُدس، هو الطهر – كما سمي عيسى ابن مريم روحاً لله من أجل تكوينه له روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده"،[1] وتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وتأييده بالقدرة على تصوير الطير من الطين حيث ينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله ، وابراء المولود الأعمى (الأكمه) ، وشفاء الأبرص، وإحياء الموتى من الناس بإذن الله، وكفايته وحمايته من بني إسرائيل إذ هموا بقتله عندما جاءهم بالأدِلة والبينات على صدق نبوّته ، فكذبوه وقالوا { إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ } آية 110،وكذلك إلهام الحواريين إلى الإيمان به وتصديق رسالته، وتأييده بالمائدة التي طلبها منه الحواريون حيث قالوا:{ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ } آية 112، فرد عليهم _ عليه السلام _ بقوله{ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ } آية 112 أي اتقوا الله في تعيين المعجزة، فإنه جار مجرى التعنت والتحكم، وهذا من العبد في حضرة الرب جرم عظيم، ولأنه أيضاً اقتراح معجزة بعد تقدم معجزات كثيرة، وهو جرم عظيم، أو أنه أمرهم بالتقوى لتصير التقوى سبباً لحصول هذا المطلوب، كما قال: { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ } (الطلاق: 2-3) وقال: { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ } (المائدة: 35) وقوله: {

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج2، ص322.

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } يعني إن كنتم مؤمنين بكونه سبحانه وتعالى قادراً على إنزال المائدة فاتقوا الله لتصير تقواكم وسيلة إلى حصول هذا المطلوب، فعللوا سبب طلبهم هذا بقولهم { قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ } آية 113، قال الإمام الطبري _رحمه الله_ : " إنهم لم يطلبوا هذه المائدة لمجرد أن تكون معجزة بل أرادوا أن يأكلوا منها، وأن تسكن قلوبهم وتستقرّ بعلمهم اليقيني على وحدانيته سبحانه وقدرته على كل ما شاء وأراد، وأن يعلموا أنه _ عليه السلام _ صادق في كونه رسول مرسل ونبيّ مبعوث ، وأن يكونوا على المائدة من الشاهدين لله بالوحدانية، ولعيسى _ عليه السلام _ بالرسالة والنبوة، أو من الشاهدين عند من لم يرها من بني إسرائيل إذا رجعوا إليهم"، [1] فقال _ عليه السلام _:{ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ } آية 114، قال الإمام الرازي رحمه الله : " تأمل في هذا الترتيب فإن الحواريين لما سألوا المائدة ذكروا في طلبها أغراضاً، فقدموا ذكر الأكل فقالوا نريد أن نأكل منها وأخروا الأغراض الدينية الروحانية، فأما عيسى _ عليه السلام _ فإنه لما طلب المائدة وذكر أغراضه فيها قدم الأغراض الدينية وأخر غرض الأكل حيث قال { وَٱرْزُقْنَا} وعند هذا يلوح لك مراتب درجات الأرواح في كون بعضها روحانية وبعضها جسمانية، ثم إن عيسى _ عليه السلام _ لشدة صفاء دينه وإشراق روحه لما ذكر الرزق بقوله وارزقنا لم يقف عليه

---

[1] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن،ج11، ص223–224.

بل انتقل من الرزق إلى الرزاق فقال { وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} فقوله {رَبَّنَا} ابتداء منه بذكر الحق سبحانه وتعالى، وقولهم أنزل علينا انتقال من الذات إلى الصفات، وقولهم تكون لنا عيدا لاولنا إشارة إلى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث إنها نعمة، بل من حيث إنها صادرة عن المنعم، فانظر كيف ابتدأ بالأشرف فالأشرف نازلاً إلى الأدون فالأدون، ثم قال وأنت خير الرازقين وهو عروج مرة أخرى من الخلق إلى الخالق ومن غير الله إلى الله ومن الأخس إلى الأشرف، وعند ذلك تلوح لك شمة من كيفية عروج الأرواح المشرقة النورانية الإلهية"، [1] فقال تعالى:{ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} آية 115 فهذه إجابة من الله تعالى لسؤال نبيه عيسى _ عليه السلام _ ، بأنه تعالى منزل المائدة على الحواريين، يقول: فمن يكفر بعد إنزالها عليهم، فإنه يُعذبه عذاباً لا يُعذبه أحداً من العالمين، وجاء الحوار المؤثر الذي دار بين عيسى _ عليه السلام _، وبين ربه ذي الجلال والإكرام، حين سأله تعالى عن دعوى النصارى في اتخاذه وأمه إلهين من دون الله وذلك بقوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

[1] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج7، ص109.

شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ

هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ } الآيات (116–119)، قال الإمام

القرطبي _رحمه الله_ : " وقد كان سؤاله تعالى عن ذلك تقريعاً و توبيخاً لمن اتخذ عيسى إلهاً ، مع إحاطة علم الله به فبدأ _ عليه السلام _ جوابه بالتسبيح تنزيهاً لله عما أضيف إليه وخضوعاً لعزته وخوفاً من سطوته، وقال {سُبحانكَ ما يكونُ لي أن أقولَ ما ليس لي بِحَقٍّ } أي: ما ينبغي لي قول ما ليس لي بحق، فقد تلقاها من عند ربه الحق، روى الترمذي _رحمه الله_ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلقى عيسى حجته ولقاه الله في قوله: { وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ } سورة المائدة آية 116 قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: "فلقاه الله" {سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ} الآية كلها قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح،[1] وهذا من كمال أدبه عليه والسلام في خطابه لربه، فلم يقل _ عليه السلام _: "لم أقل شيئاً من ذلك" وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول ذلك واستشهد بذات الله سبحانه العليم على براءته فقال:{ إن كُنتُ قُلتُهُ فقد عَلِمتَهُ تَعلَمُ ما في نفسي ولا أعلَمُ ما في نَفسِكَ إنَّكَ أنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ} سورة المائدة آية 116، أي أنت تعلم سري وما انطوى عليه ضميري الذي

---

[1] الترمذي السلمي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة المائدة، حديث رقم 3062، وهذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ.

خلقته ولا أعلم شيئاً مما استأثرت به من غيبك وعلمك، فعلمك محيط بما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كائن،[1] فرد علم ذلك إلى علام الغيوب وهذا مبالغة في الأدب وفي إظهار الذل والمسكنة في حضرة الجلال وتفويض الأمور بالكلية إلى الحق سبحانه، ثم برأ إلى الله مما قالت فيه وفي أمه الكفرة من النصارى أن يكون دعاهم إليه أو أمرهم به، وقرر عبوديتهم لله وحده، وأنه كان شاهدًا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالههم ما دام فيهم، وانقطع ذلك بوفاة الله له، واستمرت مراقبة الرقيب لهم، الحافظ عليهم العالم بأحوالهم، الشهيد المطلع على أفعالهم ، وذلك في قوله تعالى على لسانه: {ما قُلتُ لهم إلاَّ ما أَمَرتَنِي به أن اعبُدُوا الله ربِّي وربَّكُم وكُنتُ عليهم شهيداً مادُمتُ فيهم فلمَّا تَوَفَّيتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقيبَ عليهم وأنتَ على كُلِّ شَيءٍ شهيدٌ} سورة المائدة آية 117، قال القرطبي _رحمه الله_: " قال الحسن: الوفاة في كتاب الله عز وجل على ثلاثة أوجه وفاة الموت وذلك قوله تعالى: {يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} يعني وقت انقضاء أجلها. ووفاة النوم قال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ} يعني الذي ينيمكم ووفاة الرفع قال الله تعالى: {يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ}، "[2] وروى مسلم _رحمه الله_ في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال: "يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم _ عليه السلام _ ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: {وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن

---

[1] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص376.

[2] المرجع السابق ج6، ص377.

تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ } الآيات (117–118) قال: "فيقال لي إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم" وفي حديث وكيع ومعاذ فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك))،[1] وأنهى _ عليه السلام _ تفويض أمرهم تفويضاً مطلقاً لله سبحانه وتقرير قدرته تعالى على المغفرة لهم أو عذابهم فقال: { إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ } سورة المائدة آية 118 ، وقد بين الإمام الرازي _رحمه الله_ علة تذييل الآية بقوله تعالى {إنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ} مع أن المقام مقام مغفرة فقال: "أنه لو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم أشعر ذلك بكونه شفيعاً لهم، فلما قال: {فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ } دل ذلك على أن غرضه تفويض الأمر بالكلية إلى الله تعالى، وترك التعرض لهذا الباب من جميع الوجوه فالمراد من العزة كمال القدرة، ومن الحكمة كمال العلم".[2] وقال القرطبي _رحمه الله_ : " إنه لو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم لأوهم بالمغفرة لمن مات على شركه وذلك مستحيل، لأنه تعالى قد حكم بكفر من أشرك به، وحرَم عليه الجنة ومأواه النار"، [3] وقد روى مسلم _رحمه الله_ في صحيحه أن النبي ﷺ تلا قوله عز وجل في إبراهيم {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنۡ عَصَانِي

---

[1] مسلم، أبوالحسين بن الحجاج ،صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة،حديث رقم2860 ، وهذا الحديث رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ .

[2] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج7، ص114.

[3] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص378.

فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ } سورة إبراهيم آية 36 وقال عيسى _ عليه السلام _: { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ } آية 118 فرفع يديه وقال:(اللهم أمتي وبكى فقال الله عز وجل: "يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل _ عليه السلام _ فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) [1] وقال ﷺ: (أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نُصرت بالرُعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ،فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)،[2] قال البستاني: " إن النص يقطع رحلةً طويلةً في تقديمه لشرائح السلوك النصراني النص القرآني الكريم رسم مساحة كبيرة لهذه الطائفة في سورة المائدة وخَتَم السورة بشريحة أخرى من سلوكهم ، مما يكشف ذلك عن كون النص قد استهدف في هذه السورة إبراز السلوك النصراني (بنحو ما استهدف في سورة البقرة مثلاً: إبراز السلوك الإسرائيلي)".[3]

---

[1] مسلم، أبوالحسين بن الحجاج ،صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم ، حديث رقم 202 ، وهذا الحديث رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري كتاب التيمم ، باب قول الله تعالى {فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه}، حديث رقم 328، وهذا الحديث رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

[3] البستاني، محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم ، ج1، ص384.

- يتضح مما ذُكر سابقاً تلاحم العلاقة بين وحدة سورة المائدة والقصص الوارد فيها حيث جاءت قصة موسى _ عليه السلام _ مع قومه المتعلقة بدخول الأرض المقدسة وقصة ابني آدم كنموذجين لمن نقض العهد مع الله سبحانه وبيان مصيرهما للتحذير من نقض العهود، أما قصة عيسى _ عليه السلام _ فجاءت لإثبات تفرد الله سبحانه بالوحدانية ونفي الشريك له ، وذكرت قصة المائدة لبيان نعم الله على أنبيائه ومن آمن بهم.

رابعاً : سورة مريم.

السّورة مكيّة إِجماعاً [1]، استثنى ابن عطية _رحمه الله_ آية السجدة فقال: " إلا السجدة منها فقالت فرقة هي مكية وقالت فرقة هي مدنية وهو قول مقاتل : أن آية السجدة مدنية" [2]، وبين ابن عاشور رحمه الله أنها مكية فقال: "ولا يستقيم هذا القول لاتصال تلك الآية بالآيات قبلها إلا أن تكون ألحقت بها في النزول وهو بعيد" [3] ، وهي في المصحف بعد سورة الكهف، والقصص هو مادة هذه السورة ، ويستغرق هذا القصص حوالي ثلثي السورة، [4] وسميت بسورة مريم لأنها أول سورة بُسطت فيها قصة مريم وابنها التي هي نموذج للمرأة العابدة التي نذرتها أمها محررة أي خالصة للعبادة، وسمتها مريم أي العابدة، وتنتهي السورة الكريمة بإعلان الربوبية الواحدة وبتقرير قدرته المطلقة .

ومن مناسبتها لما قبلها:

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،186، ص137.

[2] ابن عطية ،أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 4، ص3.

[3] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج16، ص57.

[4] قطب، سيد، في ظلال القرآن،م4،ج13، ص2297.

- أن سورة الكهف اشتملت على قصص عجيبه ، وكذلك سورة مريم فقد ورد فيها ما هو أعجب، قال البقاعي _رحمه الله_: " ولما كان مقصود التي قبلها الدلالة على أن القرآن قيم لا عوج فيه ، وبه تمام الانتظام في نعمة الإبقاء الأول ، ودل على ذلك بأنه ساق المؤول عنه من القصص أحسن سوق ، وكشف عن مخبأته القناع أبدع كشف – إلى غير ذلك مما خلله به من بدائع الحكم وغرائب المعاني فاضحة لمن ادعى لله سبحانه ولداً ، وختمها بمثل ذلك وصف الكتاب والتوحيد – النافي لقبول التعدد بولد أوغيره بكل اعتبار – والعمل الصالح ، ابتدأ هذه بالكشف عن أغرب من ذلك القصص ، تحقيقاً لآية { أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾} سورة الكهف آية 9 بسياق غير ما تقدم فيما مضى عن السور ، وجزئيات لم تذكر إلا فيها مع عدم المخالفة لما مضى ، تأييدا لأن كلماته لا تنفذ ، وعجائبه لا تعد ولا تحد ، وأنه لو كان من عند غيره لاختلف". [1]
- وقال الطبرسي _رحمه الله_: " أنه سبحانه لما ختم الله سورة الكهف بذكر التوحيد و الدعاء إليه ، افتتح هذه السورة بذكر الأنبياء الذين كانوا على تلك الطريقة بعثاً على الاقتداء بهم و الاهتداء بهديهم وحثاً عليه" .[2]
- كما أن سورة الكهف اختتمت بتأكيد بشرية الرسول ونبوته ، وجاءت سورة مريم مؤكدة ومقررة بشرية المسيح ونبوته.

---

[1] البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، ج4،ص 517.

[2] الطبرسي ،أبو علي الفضل بن الحسن(548)، مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت، مكتبة دار الحياة، 1961، ج6، ص355.

- لما أنذر الله تعالى في مقدمة الكهف من ادعى لله ولدا : جاءت سورة مريم بتقرير ما جاء في سورة الكهف من نفي الولد وإنذار من زعم ذلك ، فوردت قصةُ حمل مريم وولادتها عيسى υ وجاءت الآيات بنفي الولد .

- ورد في سورة الكهف حديثٌ مستفيضٌ عن رحمة الله بعباده المؤمنين وباليتامى والمساكين والمستضعفين ، وجاءت سورة مريم تكشفُ لنا عن جوانب أخرى لهذه الرحمة التي وسعت كلَّ شيء . [1] ، تدور آيات السورة الكريمة حول تقرير التوحيد لله عز وجل وتنزيهه سبحانه عما لا يليق به ونفي الولد والشريك، وبيان مطلق القدرة لله سبحانه وتعالى، وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين، وتحقيق خالص العبودية لله سبحانه وتعالى التي هي الغاية التي خُلق الإنسان من أجلها قال تعالى:{ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ } الذاريات 56، قال ابن تيمية _رحمه الله_: "مضمونها: تحقيق عبادة الله وحده، وأن خواص الخلق هم عباده، فكل كرامة ودرجة رفيعة في هذه الإضافة، وتضمنت الرد علي الغالين الذين زادوا في النسبة إلى الله حتي نسبوا إليه عيسى بطريق الولادة، والرد على المفرطين في تحقيق العبادة وما فيها من الكرامة، وجحدوا نعم الله التي أنعم بها علي عباده المصطفين، فهذه السورة سورة المواهب"،[2] وقال أيضاً " وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه، وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا "[3]، كما بينت شمول رحمة لله سبحانه وتعالى، التي هي من صفات الكمال الرباني

---

[1] يُنظر الشرقاوي ،أحمد محمد، التفسير الموضوعي لسورة مريم، 2007 م، ص22 –25.

[2] ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم(728)، دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ، تحقيق محمد السيد الجليند، دمشق: مؤسسة علوم القرآن،ط2، 1984، ج4، ص338.

[3] ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم،مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية،ج1،ص213.

والتي تجلَت لمساتها في كل آية من آياتها، فهي تبدأ بالرحمة، وتنتهي بالرحمة، وألفاظ الرحمة تشيع فيها من أولها إلى آخرها، فقد تكررت كلمة (رحمة) واسم الله (الرحمن) في هذه السورة في ستة عشر موضعاً فجاءت كلمة (رحمة) أربع مرات مضافة في جميعها إلى الله تعالى ، كما جاءت كلمة الرحمن اثنتا عشرة مرة ، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، فهي تستأثر باسم الرحمن فلا تُدانيها في ذلك سورة، وهي كلها تفيض بالرحمة والحنان، قال البقاعي _رحمه الله_: " مقصودها بيان اتصافه سبحانه وتعالى بشمول الرحمة بإفاضة النعم على جميع خلقه ، المستلزم للدلالة على اتصافه لجميع صفات الكمال ، المستلزم لشمول القدرة على إبداع المستغرب ، المستلزم لتمام القدرة الموجب للقدرة على البعث والتنزه عن الولد لأنه لا يكون إلا لمحتاج ولا يكون إلا مثل الوالد ، ولا سمي له سبحانه فضلاً عن مثيل ، وعلى هذا دلت تسميتها بمريم ، لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة وشمول العلم ، لأن أغرب ما في المخلوقات وأجمعه خلقاً الآدمي ، وأعجب أقسام توليده الأربعة – بعد كونه آدمياً – ما كان من أنثى بلا توسط ذكر ، لأنه أضعف الأقسام ، وأغرب ذلك أن يتولد منها على ضعفها أقوى النوع وهو الذكر ، ولا سيما إن أوتي قوة الكلام والعلم والكتاب في حال الطفولية ، وأن يخبر بسلامته الكاملة فيكون الأمر كذلك ، فلم يقدر أحد – مع كثرة الأعداء – على أن يَسِمه بشيء من أذى ".[1]

علاقة القصص الوارد في سورة مريم بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

تتكون وحدة السورة الكريمة من ثلاثة مقاطع، كما يرى صاحب الظلال _رحمه الله_.

المقطع الأول: يعرض قصة زكريا ويحيى _عليهما السلام_، وقصة مريم وعيسى _عليهما السلام_، ويتضمن وتعقيب على هذه القصة بالفصل في قضية عيسى _ عليه السلام _ التي كثر فيها الجدل ، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى ، ويشمل الآيات من (1–40)، المقطع الثاني:

---

[1] البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، ج4،ص 514.

يعرض حلقة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ مع أبيه وقومه واعتزاله لملة الشرك وما عوضه الله من ذرية نسلت بعد ذلك الأمة . ويُشير إلى قصص بعض النبيين ومن اهتدى بهم ومن خَلَفهم من الغواة ومصير هؤلاء وهؤلاء ، وينتهي بإعلان الربوبية الواحدة ، ويشمل الآيات من (40-65)، المقطع الثالث: يبدأ بالجدل حول قضية البعث، ويستعرض بعض مشاهد القيامة . ويعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك، الآيات من (66-98)،[1] استهلت السورة الكريمة بقصة زكريا وبشارته بيحيى _عليهما السلام_ والتي تجلَت فيها لمسات الرحمة الربانية ، فبدأت بدعائه ومناجاته لله سبحانه وتعالى في الخفاء ، وبتصوير حاله بأن وهن عظمه العظم _ وهو دعامة البناء وأساس الجسم_ واشتعل رأسه شيباً، وكون امرأته عاقراً، وذِكر خوفه على الموالي الذين يدعوهم إلى الله ، وعرْض طلبه أن يهبه تعالى من لدنه وليا يرثه ويرث من آل يعقوب ، ورجائه أن يكون الموهوب رضياً مرضياً، وتأتي البشرى باستجابة الله لدعائه ووهبِه غلاماً اسمه يحيى لم يجعل له من قبل سمياً، وينتقل المشهد إلى نداء الله ليحيى _ عليه السلام _ الذي يدل على مكانته والذي فيه انتدابه ليحمل الأمانة الكبرى بأخذه الكتاب بقوة وهو التوراة كتاب بني إسرائيل من بعد موسى ، وعليه كان يقوم أنبياؤهم يعلمون به ويحكمون، فقد ورث يحيى أباه زكريا _عليهما السلام_ ، ونودي ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم، ثم يكشف السياق عن المؤهلات التي زُود بها يحيى _ عليه السلام _ لينهض بالتبعة الكبرى، فقد آتاه الحكمة صبياً، وآتاه الحنان هبة لدنية ورحمة في القلب، وآتاه الطهارة والعفة، وكان تقياً باراً بوالديه ولم يكن جبارا عصياً.

وجاءت عقبها قصة مريم ومولد عيسى -عليهما السلام_ التي ظللتها الرحمة وشملتها في كل لحظة من لحظاتها، حيث عُرض فيها مشهد مولده _ عليه السلام _ عرضاً مفصلاً شافياً يزيل الغموض

---

[1] يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، م4، ج16، ص2299-2301.

والإشكال ممزوجاً بنفحات الرحمة التي رافقت مولده الكريم، وذلك في قوله تعالى : { فِي ٱلۡكِتَٰبِ
مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا
رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي
بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا
ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ رِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا فَكُلِي ﴿٢٥﴾ وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ
يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ
بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ
ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ

وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ } الآيات (16−37)، فلمسات الرحمة ظللت مريم _ عليه السلام _ وشملِتها في كل لحظةٍ من لحظات حياتها، والتي تمثلت بإرسال الله سبحانه وتعالى لها روح من عنده جبريل _ عليه السلام _ متمثلاً بهيئة بشر رحمة بها، وإكراماً لها ، قال الرازي _رحمه الله_: " وسماه روحاً لأن الدين يحيا به وكذلك محبة له وتقريباً " [1]، وذلك بعد أن انتبذت عن قومها جهة المشرق لتخلو بنفسها وتعبد ربها، قال الزمخشري _رحمه الله_: "والانتباذ : الاعتزال والانفراد"[2] ،وفي لسان العرب " وانْتَبَذَ فلان : أي ذهب في ناحية ، وانتَبَذَ عن قومه : تنحى عنهم " [3]، فوصفت الآيات مبالغتها _عليها السلام_ في الحرص على خلوتها للعبادة، حيث جعلت بينها وبين قومها حجاباً يمنع دخولهم إليها، قال القاسمي _رحمه الله_: " لئلا تحجبها

---

[1] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج11 ص168.

[2] الزمخشري، محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج3،ص90 .

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج6 ، ص322.

رؤية الخلق عن أنوار الحق "[1] وعندما تمثل لها باشرت بالاستعاذة بالله سبحانه متوسلةً باسم الرحمن الذي شَمِلَها برحمته في سائر أحوالها، لتعلق قلبها برحمته سبحانه، قال الإمام الرازي _رحمه الله_: "وفي الاستعاذة استنهاض لبواعث التقوى في قلبه لعلمها أن الاستعاذة لا تؤثر إلا في التقي"[2]، فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه، وأمره بلزوم التقوى، فأسرع الروح الأمين _ عليه السلام _ في إلقاء البشرى عليها ليطمئن قلبها وتهدأ نفسها، بأنه رسول من عند الله سبحانه جاء ليهبها غلاماً زكياً، قال الإمام الرازي _رحمه الله_: "والزكي يفيد أموراً ثلاثة: الأول: أنه الطاهر من الذنوب، والثاني: أنه ينمو على التزكية لأنه يقال فيمن لا ذنب له زكي، وفي الزرع النامي زكي، والثالث: النزاهة والطهارة فيما يجب أن يكون عليه ليصح أن يبعث نبياً"[3]، فاستنكرت _عليها السلام_ أن يكون لها غلام ولم يمسسها بشر، وأكدت كلامها بأنها لم تكُ بَغِيّاً– يُقال للمرأة بغت إذا فجرت وتجاوزت ما ليس لها [4]– مع أن قولها هذا داخل فيما قبله { وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ} مريم آية 20 _فهو يشمل الحلال والحرام_ لشدة استنكارها لهذا الأمر، فأجابها الروح الأمين _ عليه السلام _ بأنه ليس له من الأمر شيء، إنما هو أمر الله سبحانه وتعالى الذي قضاه، وهو عليه هين، فخلْقه _ عليه السلام _ لِجعله علامة دالة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى، وكذلك رحمة من الله سبحانه وتعالى به وبوالدته وبالناس ، قال السعدي رحمه الله: " فرحمة الله تعالى به _ عليه السلام _ فبما خصه بوحيه سبحانه، ومنَ عليه بما من به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته فلما

---

[1] القاسمي، جمال الدين بن محمد بن سعيد(1332هــ) ، محاسن التأويل ،تحقيق محمد فؤاد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1994، ج11، ص 115 .

[2] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج11 ص169.

[3] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ، ج11 ص170.

[4] الراغب الأصفهاني،أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل ، مفردات ألفاظ القرآن، ص136.

حصل لها من الفخر والثناء الحسن والاصطفاء على نساء العالمين بهذه الآية العجيبة الفريدة ، وأما رحمته بالناس فهو _ عليه السلام _ رحمة لكل من آمن به ، فالأنبياء جميعهم رحمةٌ مهداةٌ لمن أرسلوا إليهم"،[1] ثم انتقلت الآيات إلى بيان وتفصيل تلك الولادة المباركة المحاطة بلمسات الرحمة الربانية التي تنزلت على مريم _عليها السلام_، حيث إنه لما بدت عليها علامات الحمل تنحت به وبعدت معتزلة قومها إلى مكان بعيد ناءٍ، فألجأها طلقها إلى جذع النخلة، فلما آلمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من قالة الناس، وخافت عدم صبرها، تمنت أنها ماتت قبل هذا الحادث، وكانت نسياً منسيا فلا تذكر، قال القرطبي _رحمه الله_:" تمنت مريم _عليها السلام_ الموت من جهة الدين لوجهين: أحدهما: أنها خافت أن يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك، الثاني: لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والنسبة إلى الزنى وذلك مهلك" [2]، وفي غمرة هذه الآلام الحسية والنفسية التي ألمّت بمريم _عليها السلام_، يتحول العسر إلى يسر، والضيق إلى سعة، والحزن والقلق إلى فرح واستبشار، حيث تجلَت لمسة أخرى من لمسات رحمة الله سبحانه بها ، بأن أنطق وليدها الذي ناداها من تحتها أن لا تحزني يا أماه قد جعل ربك تحتك سرياً، "والسري هو النهر والجدول سمي بذلك لأن الماء يسري"[3] وأوصاها أن تهز جذع النخلة كي

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص 490-491.

[2] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج11 ، ص92.

[3] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج 11 ص176، قال رحمه الله:" اتفق المفسرون إلا الحسن وعبد الرحمن بن زيد أن السري هو النهر والجدول سمي بذلك لأن الماء يسري فيه وأما الحسن وابن زيد فجعلا السري عيسى والسري هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أي من أشرافهم وروي أن الحسن رجع عنه وروي عن قتادة وغيره أن الحسن تلا هذه الآية وبجنبه حميد بن عبد الرحمن الحميري: {قد جعل ربك تحتك سريا} فقال: إن كان لسريا وإن كان لكريما.

تُساقط[1] (وهي تفيد تتابع السقوط)[2] عليها رُطباً جنياً ، قال الإمام القرطبي _رحمه الله_:" قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية، ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم ولذلك قالوا: التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت وكذلك التحنيك"، [3] قال الإمام القرطبي _رحمه الله_: " استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوماً؛ فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة لترى آية، وكانت الآية تكون بألا تهز، فتكليف كسب الرزق سنة الله تعالى في عباده، وأن ذلك لا يقدح في التوكل"، [4] أما قوله تعالى: {فَكُلِي وَٱشۡرَبِي} آية 26 قال الزمخشري_رحمه الله_: "أي فكلي من الجني، وأشربي من السري، وقري عيناً برؤية الولد النبي، فقد جمعنا لك في السري والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين"،[5] وفي قوله تعالى: { وَقَرِّى عَيۡنًا } أُسند القرار إليها لا إلى عينها، بينما الأفعال الأخرى المذكورة في القرآن الكريم كان القرآن يُسندها إلى العين،

---

[1] قال ابن فارس: "السين والقاف والطاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الوقوع، وهو مطّرد. من ذلك سَقط الشيءُ يسقُطُ سقوطاً".ج3،ص70

[2] تُساقط في اللغة تفيد تتابع السقوط، تسقط ليس بالضرورة فيها تتابع يستمر، ساقطه الفعل الماضي أي تابع إسقاطه على وزن فاعَلَه فيها تتابع واستمرار حتى في الماضي ساقط غير سقط، ساقط يعني تتابع السقوط في الماضي وسقط مرة واحدة، تساقط بالمضارع يعني تتابع السقوط. ،السامرائي، فاضل صالح، اللمسات البيانية لسور القرآن الكريم، ص 185.

[3] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج11 ، ص96.

[4] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن،ج11 ، ص 94.

[5] الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف،ج2، ص507.

كما في قوله تعالى: {فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ } سورة طه آية 40، و قوله

تعالى: { وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ } سورة القصص آية 9 ، فأسند القرار والسعادة إليها ذلك ليدل على الحالة النفسية العالية التي نقل الله سبحانه مريم إليها ، فقد كانت قبل الولادة في غاية التوتر والإنفعال والقلق،[1] ومن لمسات رحمة الله بها أن كفاها مجادلة قومها في أمر عيسى _ عليه السلام _ فأمرها بالصوم عن الكلام، ووكل ذلك الأمر إليه _ عليه السلام _ ليكون أدعى لتبرئتها _عليها السلام_ من أي تهمة تُنسب إليه ، لإقامة الحجة عليهم، فلما أتت قومها تحمله، تعجبوا من حالها وقالوا منكرين لذلك: يا مريم لقد جئت بأمر عظيم منكر، أما قوله{ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ }آية 28 الراجح والله أعلم أنه رجل صالح من بني إسرائيل يسمى هارون ليس

بهارون أخي نبي الله موسى _ عليه السلام _ لقوله ﷺ عندما سأله المغيرة بن شعبه عما سأله عنه وفد نجران عندما قدموا المدينة حيث قالوا إنكم تقرؤون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فقال ﷺ: (إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)[2] ، قال الشنقيطي _رحمه الله_: " وإطلاق اسم الأخ على النظير المشابه معروف في القرآن وفي كلام العرب، فمنه في القرآن قوله تعالى: {إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ...} سورة الإسراء آية 27، وقوله تعالى

[1] يُنظر الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، ج4، ص260-261.

[2] مسلم، أبوالحسين بن الحجاج ،صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم 2135، وهذا الحديث رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

{وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ } سورة الأعراف آية 202، قوله تعالى:

{وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ...} سورة الزخرف آية 48،[1] كما أيدوا شدة

إنكارهم لهذا الأمر ببيان أن أباها لم يك { امْرَأَ سَوْءٍ } مريم آية 28 قال ابن عباس _رضي الله

عنهما_: زانياً، وأن أمها لم تك { بَغِيًّا } أي زانية، قالوا: فمن أين لك هذا الولد؟ فأشارت إلى

وليدها مما زادهم غضباً وإنكاراً فجاء ردهم بأن قالوا { كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا

}، وهنا ينطق المولود الذي في المهد مُعلنا عبوديته لله سبحانه، ومُقراً بها رداً على من غلا من

بعده في شأنه، بقوله{ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ } آية 30 ، وشرع _ عليه السلام _ في بيان هبات الله سبحانه

وتعالى عليه أن جعله نبياً ، وآتاه الكتاب أي الإنجيل، وجعله ذا بركات ومنافع في الدين ومعلماً له،

وأوصاه المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها، وعلى والزكاة بأدائها في الأموال، أو بتطهير الجسد

بترك الذنوب واجتناب المعاصي، وأن جعله باراً بوالدته غير عاق بها، متواضعاً غير مستكبراً

على الله فيما أمره به، ونهاه عنه، وجعل عليّ أمنة من عنده من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا

مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة، من الطعن فيه، ويوم أموت، من هول المطلع، ويوم أبعث حيا

يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم، وبين الشنقيطي _رحمه

الله_ علة التعبير بالماضي في قوله { ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا } فقال: "وعبر بالماضي عما

سيقع في المستقبل تنزيلاً لتحقق الوقوع منزلة الوقوع، ونظائره في القرآن كثيرة، كقوله تعالى: {

---

[1] الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(1393هـ) ، البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت ، 1995 ، ج3، ص414.

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ } سورة النحل آية1، وقوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ }– إلى قوله –: { وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ } سورة الزمر الآيات (68–71)، وقوله تعالى: { وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا } سورة الزمر الآيات (73–74)".[1]

وقد ورد عن يحيى _ عليه السلام _ {وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا } آية (14)، وورد عن عيسى _ عليه السلام _ { وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارًا شَقِيًّا } آية (32) فاختلف الوصفان مع اتحاد مرماهما، والسر في ذلك أن الله سبحانه وصف يحيى _ عليه السلام _ بعظم التقوى {وَكَانَ تَقِيًّا} آية (13) وتقي فعيل من التقوى وهي من أبنية المبالغة فيُفهم الوفاء بوجوه التقوى حتى لا يكون الموصوف به معصية ولا تقصير {وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} فالمراد نفي المعاصي جملة وهو المراد بقوله في الموضع الآخر { وَسَيِّدًا وَحَصُورًا} سورة ال عمران آية 39 أي ممنوعاً من المعاصي والحصر الحبس، أما عيسى _ عليه السلام _ فالملاحظ من قصته _ عليه السلام_ عصمته من الرضا بما وقع فيه أتباعه من العظيمة حين قالوا: هو ابن الله، – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً– فاستحقوا الوصف بالشقاء، والشقي يستحق العذاب الأخروي [2] ، أما قوله: { وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا } آية (31) فكل ما ورد في القرآن من (وصّى) بالتشديد فهو

---

[1] الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج3، ص416.

[2] يُنظر الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل، ج2، ص 793–794.

في الدين وفي الأمور المعنوية ، كما في قوله تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } البقرة آية 132 وقوله تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ} النساء آية 131،أما (أوصى) فتُستعمل في القرآن في الأمور المادية، كما في قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} النساء آية11، ولم ترد في القرآن أوصى في أمور الدين إلا في مكان واحد اقترنت بالأمور المادية وهوفي هذه الآية: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً مريم} آية 31 فهذا الموضع الوحيد الذي اقترنت به أمور الدين (الصلاة) بالأمور المادية (الزكاة) على قول من قال أنها أداة زكاة الأموال [1]، أما قوله تعالى: { وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا } آية 33 فأخبر _ عليه السلام _ أن الله أضفى _ عليه السلام _ والإحسان في المواضع الثلاثة الحرجة الخطيرة من حياته يوم ولادته ويوم يموت ويوم يُبعث حياً، وحكمة تعريف هذا السلام وتخصيصه أن الله نعالى يعلم أن اليهود سيكذبون عيسى _ عليه السلام _، ويكفرون به، وسيحرصون على قتله وصلبه [2]، ويختم _عليه السلام _ كلامه مع قومه بتأكيد أول ما نطق به من كونه _ عليه السلام _ عبد لله سبحانه ربه ورب العالمين جميعاً، بقوله { وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ } آية36، وينتهي هذا المشهد ببيان القول الفصل في حقه _ عليه السلام _ بقوله تعالى {ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمۡتَرُونَ }

---

[1] يُنظر السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، ط4، 2006، ص15–16.

[2] يُنظر الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني ج4، ص277–279.

آية 34، أي ذلك الموصوف بتلك الصفات، عيسى بن مريم، من غير شك ولا مرية، بل قول الحق، وكلام الله، الذي لا أصدق منه قيلاً ولا أحسن منه حديثاً، فهذا الخبر اليقيني، عن عيسى _ عليه السلام _، وما قيل فيه مما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه لاختلافه، فقد زعم اليهود : أنه ساحر كذّاب ، وقالت النصارى: أنه ابن الله ، كما ينتهي المشهد بنفي ما ادعته النصارى من اتخاذ الله له ولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وذلك في قوله تعالى: { مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ } آية (35)، قال الشنقيطي _رحمه الله_:

" لفظ { مَا كَانَ } ، يدل على النفي، فتارة يدل ذلك النفي من جهة المعنى على الزجر والردع، كقوله تعالى: { مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ } ا سورة التوبة آية 120، وتارة يدل على التعجيز؛ كقوله تعالى: { ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ } سورة النمل الآيات 59–60، وتارة يدل على التنزيه، كقوله: هنا: { مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ } ، وقد أعقبه بقوله: {سُبْحَانَهُۥ} ، أي: تنزيهاً له عن اتخاذ الولد وكل ما لا يليق بكماله وجلاله. فقوله: { مَا كَانَ لِلَّهِ } بمعنى: ما يصح ولا يتأتى ولا يتصور في حقه جل وعلا أن يتخذ

ولداً، و زيدت {من} في قوله تعالى: { مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ } آية 35 ، قبل المفعول به

لتأكيد العموم، وقد تقرر في الأصول أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها لفظة {من} لتوكيد العموم كانت نصاً صريحاً في العموم، وتطرد زيادتها للتوكيد المذكور قبل النكرة في سياق النفي في ثلاثة مواضع: قبل الفاعل كقوله تعالى: { وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} سورة القصص آية 46، وقبل المفعول كهذه الآية، وكقوله: { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ } سورة الأنبياء آية25، وقبل المبتدأ؛ كقوله: {مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ } سورة الأعراف آية 59 "، [1] قال ﷺ :

"قال الله تعالى : (كَذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إيَّاي فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقوله : لي ولد. فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا).[2] وقال ﷺ: (لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ؛ إنهم يجعلون له ولدا ، وهو يرزقهم ويعافيهم)[3]، كما ذكرت الآيات اختلافهم في عيسى _ عليه السلام _، فقد اختلفوا في أمره

---

[1] الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج3، ص419.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه ، حديث رقم 4212، وهذا الحديث رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ .

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب الصبر على الأذى، حديث رقم 5748، وهذا الحديث رواه أبو موسى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، حديث رقم 2804، رواه عبد الله بن قيس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ .

_ عليه السلام_ وصاروا أحزاباً متفرّقين ، قال الإمام الطبري _رحمه الله_: " ذُكر لنا أن لما رُفع ابن مريم، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم، فقالوا للأوّل: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صَعِد إلى السماء، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت اليعقوبية من النصارى; وقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله ، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت النَّسطورية من النصارى; وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ قال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، هو كلمة الله وروحه; فاختصم القوم، فقال المرء المسلم: أنشدُكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يَطعم الطعام، وأن الله تبارك وتعالى: لا يطعم الطعام قالوا: اللهمّ نعم، قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهمّ نعم ، قال فخصمهم المسلم; قال: فاقتتل القوم. قال: فذُكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن { إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾} آل عمران آية 21" ،[1]وذكر ابن كثير _رحمه الله_ في تفسيره : أن النصارى من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلهًا، ومنهم من يعتقده شريكاً، ومنهم من يعتقده ولدًا، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولا، ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير، وهو

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج18، ص195.

سعيد بن بَطْرِيق –بتْرَكُ الإسكندرية–في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية، أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم، وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة، وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة، وأنهم اختلفوا عليه اختلافًا لا ينضبط ولا ينحصر، فكانوا أزيد من ألفين أَسْقُفًا، فكانوا أحزابًا كثيرة، كل خمسين منهم على مقالة، وعشرون على مقالة، ومائة على مقالة، وسبعون على مقالة، وأزيد من ذلك وأنقص، فلما رأى عصابة منهم قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفرًا، وقد توافقوا على مقالة، فأخذها الملك ونصرها وأيدها –وكان فيلسوفًا ذا هيئة ومَحَقَ ما عداها من الأقوال، وانتظم دَسْتُ أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر، وبنيت لهم الكنائس، ووضعوا لهم كتبًا وقوانين، وأحدثوا الأمانة التي يلقنونها الولدان من الصغار – ليعتقدوها–ويُعَمّدونهم عليها، وأتباع هؤلاء هم الملكية، ثم إنهم اجتمعوا مجمعا ثانيًا فحدث فيهم اليعقوبية، ثم مجمعًا ثالثًا فحدث فيهم النسطورية، وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح، ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم! هل اتحدا، أو ما اتحدا، بل امتزجا أو حل فيه؟ على ثلاث مقالات، وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى" [1] ، قال رسول الله ﷺ : (افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[2]، وقال ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في

---

[1] ابن كثير، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم،ج2، ص479.

[2] أبو داود، سليمان بن الأشعث(275)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم4596، وهذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم قال الجماعة)، [1] ثم يأتي الحديث عن أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم _ عليه السلام _ ، في الحلقة المتعلقة بدعوة أبيه إلى الله سبحانه، فهو جديرٌ بأن يذكر لما اتسم به من كريم الشمائل وعظيم الفضائل ، فهو صديقٌ صدق مع الله ومع الناس وكان صادقاً في سره وعلنه ، وفيّاً بعهده ووعده ، ومن كمال عبوديته وصدقه في دعوته وأدائه لرسالته دعوته لأبيه وتأدبه معه وتلطفه به، وخوفه عليه، والتودد إليه بيا أبت وبره به مع بقائه على كفره وإصراره على ضلاله ، وفي إيراد قصته ردٌّ على النصارى وغيرهم من المشركين ممن يدعي إتباع إبراهيم ، فإن كانوا صادقين في محبته واتباعه والانتساب إليه فهذه هي دعوته التي دعا بها وابتلي بسببها ، دعوة التوحيد ، قال أبو حيان _رحمه الله_: " ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى واختلاف الأحزاب فيهما وعبادتهما من دون الله ، وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة ذكر الفريق الضال الذي عبد جماداً والفريقان وإن اشتركا في الضلال ، والفريق العابد الجماد أضل ثم ذكر قصة إبراهيم مع أبيه υ تذكيراً للعرب بما كان إبراهيم عليه من توحيد الله وتبيين أنهم سالكو غير طريقه ، وفيه صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به وأن ذلك متلقى بالوحي "،[2] فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبه سبحانه ذرية من الأنبياء إسحاق ويعقوب عليهم السلام قال ابن عاشور –رحمه الله-: " وقد رُتّب جزاء الله إبراهيم على نبذه أهل الشرك ترتيباً بديعاً إذ جوزي بنعمة الدنيا وهي العقب الشريف ، ونعمة الآخرة وهي الرحمة وبأثر تينك النعمتين وهو لسان الصدق ، إذ لا يذكر به إلا من حصل النعمتين" [3]، فقد بينت

---

[1] ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم،حديث رقم 3992، وهذا الحديث رواه عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

[2] أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ، ج 6، ص 191.

[3] عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج16، ص126.

هذه الحلقة نوعاً آخر من أنواع الرحمة التي قذفها في قلوب عباده القانتين المتمثلة بحرصهم على إنقاذ ذويهم وأهلهم من النار بسعيهم لبيان طريق الهداية لهم المتمثل بدخولهم تحت راية الإسلام وإعلان التوحيد لله سبحانه وتعالى، وقد ذكر ابن جماعة _رحمه الله_ لفتة جميلة عند قوله تعالى: { يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} آية (45)، حيث قال: كيف يسوَغ ذكر مس العذاب من الرحمن ، والرحمة صفة لا يُناسبها العذاب وإنما يُناسبه في مفهومنا البشري أن يُقال أن يمسه عذاب من المنتقم الجبار، فقال أن في ذلك تعظيماً لأمر الكفر الذي كان عليه أبوه، لأن من عظمة الرحمن رحمته، فهو لا يُعذب إلا على أمر عظيم بالغ القبح، فنبه على عِظم ما عليه أبوه من الكفر، ورجاء قبول توبته من الرحمن، [1] قال الإمام الرازي _رحمه الله_: "اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر، والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبودا سوى الله تعالى، وهؤلاء فريقان: منهم من أثبت معبوداً غير الله حياً عاقلاً فاهما وهم النصارى، ومنهم من أثبت معبوداً غير الله جماداً ليس بحي ولا عاقل ولا فاهم وهم عبدة الأوثان والفريقان وإن اشتركا في الضلال إلا أن ضلال الفريق الثاني أعظم فلما بين تعالى ضلال الفريق الأول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الأوثان فقال: {واذكر فى الكتاب} والواو في قوله واذكر عطف على قوله: {ذكر رحمت ربك عبده زكريا} كأنه لما انتهت قصة عيسى وزكريا _عليهما السلام_ قال قد ذكرت حال زكريا فاذكر حال إبراهيم" [2]، وبين البقاعي _رحمه الله _أنه تعالى لما ذم الضالين في أمر المسيح ، وعلق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب ، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث ، وعيرهم بأنهم لسوء أعمالهم كالمكذبين به ، وختم ذلك بأنه الوارث وأن

---

[1] ابن جماعة، محمد بن إبراهيم،(733)، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق عبد الجواد خلف، المنصورة، دار الوفاء، ط1، 1990، ص249.

[2] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج 11، ص190.

الرجوع إليه ، ودخل في ذلك الإرث بغلبة أنبيائه وأتباعهم على أكثر أهل الأرض برجوع أهل الأديان الباطلة إليهم حتى يعم ذلك جميع أهل الأرض في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ، وكان إبراهيم _ عليه السلام _ لكثرة أولاده من العرب وأهل الكتابين وراثاً لأكثر الأرض ، وكان مثل زكريا في هبة الولد على كبر سنه وعقم زوجه ، أتبع ذلك قوله : {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ..} آية 41، فإبراهيم أعظم آبائكم الذي نهى أباه عن المشرك يا من يكفرون تقليداً للآباء [1]، ثم تعقبها إشارات بالثناء على إسحاق ويعقوب ، وموسى وهرون، وإسماعيل ، وإدريس ، وآدم ونوح _عليهم السلام جميعاً_ ، قال سعيد حوى_رحمه الله _: " وفي ذكر موسى في هذا السياق تذكير برسالته ، وأنه من سلسلة الرسل المبشرين والمنذرين ، وتذكير بشأنه وحاله ، فقد كان يدعو إلى عبادة الله وحده ، وهو شيء يعرفه العام والخاص من بني إسرائيل وغيرهم ، فكيف يزعم من يزعم أن لله ولداً هو عيسى فيعبده ، إن التذكير بموسى وبصفاته في هذا السياق تعريضٌ بمن ينتسب إليه ، ولا يوحد الله كما وحده كأن يجعل المسيح ابنا لله ، وموسى لا يعلم ذلك ولا يعرفه ولا يدعو إليه " [2]، وقد سيق هذا القصص لإثبات مقصود السورة ومحورها التي تدور عليه، فقصة زكريا ويحيى _عليهما السلام- جاءت لإثبات قدرة الله سبحانه وتعالى وتمهيداً لقصة عيسى _ عليه السلام _ إضافة إلى ما بينته من تجليات الرحمة الإلهية المترتبة على تحقيق العبودية، أما قصة مريم ومولد عيسى _عليهما السلام_ ، فهي من أعظم الدلائل على قدرة الله سبحانه وتعالى وحكمته، والتي تمثلت بخلق عيسى _ عليه السلام _ من غير أب وما في ذلك من خرق للعادة، وكذلك تبينُ شمول رحمة الله سبحانه وتعالى لمريم وابنها _عليهما السلام_، وكمال عبوديتهما لله تعالى ، وفيها ردٌّ صريح على ما ادعاه النصارى ، فهو عبد الله ورسوله وليس ابنَ الله كما يزعمون ، أما الحلقة التي

---

[1] يُنظر البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر،ج4، ص535-536.

[2] حوى، سعيد، الأساس في التفسير،ج6، ص3279.

وردت في هذه السورة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ مع أبيه فقد بين الشرقاوي صلتها بوحدة السورة حيث قال: " تم ذكرها للتنويه بإبراهيم الخليل _ عليه السلام _ أبي الأنبياء فهو أوّل من أعلن التوحيد إعلاناً باقياً، لبيان كمال عبوديته لله سبحانه وكذلك بيان شمول رحمة الله سبحانه به _ عليه السلام _ ، كما أن في إيراد قصته ردٌّ على النصارى وغيرهم من المشركين ممن يدعي إتباع إبراهيم _ عليه السلام _ وتذكير للعرب بما كان إبراهيم ___ عليه السلام _ عليه من توحيد الله وتبيين أنهم سالكو غير طريقه ، ثم ذكر جمع آخرين من الأنبياء وشيء من موهبة الرحمة التي خصَّهم الله بها، وكمال عبوديتهم له سبحانه وتعالى ، وهم موسى وهارون وإسماعيل وإدريس _عليهم السلام_"[1].

- يتضح مما سبق أن العلاقة بين الوحدة الموضوعية لسورة مريم وبين القصص الوارد فيها علاقة وطيدة فجميع القصص الوارد فيها أكد ودلل على محور السورة وهدفها التي سعت لتحقيقه بجانبيه المتعلق بإثبات الوحدانية له عزوجل وكمال قدرته، وبيان كمال وشمول رحمته سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، وبيان تحقيق الأنبياء لمقام العبودية لله سبحانه وتعالى ودعونهم جميعاً لذلك.

خامساً: سورة الزخرف:

السورة مكية[2]، سميت بسورة الزخرف لما ذُكر فيها من زُخرف الحياة الدنيا الزائل الذي ذكر فيها ولم يُذكر في غيرها من سور القرآن الكريم، والتي حذرت السورة الكريمة من الإنخداع به، قال البقاعي رحمه الله: "وقد دلت تسميتها بالزخرف لما في آيتها من أنه لو أراد أن يعم الكفر جميع الناس لعمهم بسبوغ النعم ، ولكنه لم يعمهم بذلك ، بل فاوت بينهم فأفقر بعضهم وأكثر بؤسهم

[1] الشرقاوي ،أحمد محمد، التفسير الموضوعي لسورة مريم، 2007 م، ص 29. ويُنظر التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 4، ص406-410.

[2] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج21، ص559.

وضرهم وفرق أمرهم ، ليسهل ردهم عن الكفر الذي أدتهم إليه طبائعهم وحظوظهم ونقائصهم بما يشهدون من قباحة الظلم والعدوان إلى ما يرونه من محاسن الدين والإيمان ، ولذة الخضوع للملك الديان ، فتخضع لهم الملوك والأعيان ، ويصير لهم الفرقان على جميع أهل العصيان"، [1] وسُميت بذلك للدلالة على أن الدنيا في غاية الخسة في نفسها، وغاية العداوة مع ربها، بحيث لا تليق بالأصالة إلا لأعدائه،[2] ومن مناسبة هذه السورة لما قبلها وجود صلة قوية بين خاتمة سورة الشورى ومطلع سورة الزخرف ففي كل منهما حديث عن القرآن الكريم، قال تعالى في خاتمة سورة الشورى:{ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ } الشورى آية52، وفي مطلع سورة الزخرف قال:{ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ } (ا–4)، كما أن هناك ارتباط وثيق بين مضمون السورتين ففي كل منهما حديث عن دلائل قدرة الله سبحانه وتفرده بالوحدانية، [3] وحدة السورة الكريمة قائمة على إثبات التوحيد ونفي الشرك، وعرض دلائل قدرته سبحانه وتعالى ووحدانيته ، وكذلك إثبات مصدر الوحي ، وبيان خصائص

---

[1] البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر،ج7، ص3.

[2] القاسمي، جمال الدين ، محاسن التأويل ج8 ، ص 530 .

[3] يُنظر الطبرسي ،أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج9، ص58، ويُنظر التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 7، ص 101.

هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ بما ينفي عنه الريب ويُثبت إعجازه ، وفي ثنايا ذلك قامت بتصحيح الانحرافات الاعتقادية المُتعلقة بهما وأقامت الحجة على قائليها، قال البقاعي _رحمه الله_: " مقصودها البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة حتى يكونوا أعلى الأمم في العلم وما ينشأ عنه شأناً لأن هدايتهم بأمر لدني هو من أغرب الغريب الذي هو للخواص ، فهو في الرتبة الثانية من الغرابة وأن ذلك أمر لا بد لهم منه وإن اشتدت نفرتهم منه وإعراضهم عنه وأنه لذكر لك ولقومك حتى تكونوا أهلاً للجنة وفيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون"، [1] وقال صاحب الظلال _رحمه الله_: "تناولت السورة جانباً مما كانت تلاقيه الدعوة الإسلامية من مصاعب وعقبات، ومن جدال واعتراضات، وذلك بتصوير ما كان عليه المجتمع الجاهلي من خرافات ووثنيات ، وتعرض معها كيف كان القرآن الكريم يعالجها في النفوس" ... ثم قال: " وفي هذه السورة تصحيح لهذه الانحرافات الاعتقادية ؛ ورد النفوس إلى الفطرة وإلى الحقائق الأولى"،[2] فهذه السورة الكريمة عالجت موضوع العقيدة وأقامت الحجة بعد الحجة على أن هذا القرآن من عند الله سبحانه، وأن محمداً ﷺ رسول من عنده.

علاقة القصص الوارد في سورة الزخرف بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

وحدة هذه السورة الكريمة قائمة على مقدمة وثلاثة مقاطع وخاتمة كما يرى صاحب الظلال رحمه الله.

المقدمة: عرضت خصائص هذا القرآن المجيد ودعت إلى الإيمان والعمل به، وقد تمثلت في الآيات الثلاثة الأولى.

---

[1] البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر،ج7، ص3.

[2] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م5،ج25، ص3173-3174.

المقطع الأول: ناقش عقائد الكافرين الفاسدة المتعلقة بالقرآن الكريم، وأقام الحجة عليهم وبين سبب موقفهم من القرآن الكريم المتمثل في تقليدهم الأعمى لآبائهم، وذكرهم ببعض نعم الله عليهم، وقد شمل الآيات من (4–14)،

المقطع الثاني: ناقش أساطيرهم المتعلقة بعبادة الملائكة ، وأقام الحجة عليهم وأثبت الوحدانية لله سبحانه وتعالى، وقد شمل الآيات من (15–25)، المقطع الثالث: عمد إلى تفنيد شبهة أخرى أثارها المشركون حول رسالة محمد ﷺ المتعلقة بشخصه ﷺ ، وأقام الحجة عليهم، وبين وحدة الرسالات وإجماعها على التوحيد، وقد شمل الآيات من (26–66)، الخاتمة: عرضت مشهداً من مشاهد القيامة، تضمن ما أعده الله سبحانه من النعيم المُقيم للمتقين ، ومن العذاب الأليم للمجرمين، وقد شمل الآيات من (67–89)،[1] تحدثت السورة الكريمة عن إرسال الله سبحانه وتعالى للأنبياء بالإجمال وتكذيب أقوامهم لهم، ثم ذكرت حلقة من قصة إبراهيم الخليل _ عليه السلام _ في مقطعها الثالث وتحدثت بايجاز عن دعوته لأبيه وقومه، وقد بين أبو حيان علاقة ورودها بوحدة السورة الكريمة حيث قال: " أنه تعالى لما حكى عن المشركين تقليدهم الأعمى للآباء، وزعمهم أنهم من سلالته وعلى ملته ، والذي يفتخرون به وينتسبون إليه، فكذبتهم الآيات قي تلك الدعوى ، وبينت أن إبراهيم _ عليه السلام _ إمام الحنفاء وأول من تبرأ من عبادة الأوثان، وبينت لهم حقيقة ملة إبراهيم _ عليه السلام _ ، وأنها ملة التوحيد الخالص ، وأن كلمة التوحيد باقية في عقبه _ عليه السلام _ ، وأن الرسول ﷺ قد جاءهم بها" ،[2] قال صاحب الظلال _رحمه الله:_ " إن دعوة التوحيد التي يتنكرون لها هي دعوة أبيهم إبراهيم، الدعوة التي واجه بها أباه وقومه مخالفاً بها عقيدتهم الباطلة ، غير منساق وراء عبادتهم الموروثة ، ولامستمسك بها لمجرد أنه وجد أباه وقومه

---

[1] يُنظر ، قطب، سيد، في ظلال القرآن، م5،ج25، ص3175–3185.

[2] أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ، ج 8، ص 13–15.

عليها ، بل لم يجاملهم في إعلان تبرئه المطلق منها في لفظ واضح صريح ... ويبدو من حديث إبراهيم _ عليه السلام _ وتبرئه مما يعبدون إلا الذي فطره أنهم لم يكونوا يكفرون ويجحدون وجود الله أصلاً ، إنما كانوا يشركون به ويعبدون معه سواه ، فتبرأ من كل ما يعبدون ..، وقد قال إبراهيم هذه الكلمة التي تقوم بها الحياة ، كلمة التوحيد التي يشهد بها الوجود، ولقد كان لإبراهيم _ عليه السلام _ أكبر قسط في إقرار هذه الكلمة في الأرض ، وإبلاغها إلى الأجيال من بعده ، عن طريق ذريته وعقبه . ولقد قام بها من بنيه رسل ، كان منهم ثلاثة من أولي العزم: موسى وعيسى ومحمد خاتم الرسل –عليهم صلوات الله وسلامه - "[1]، ثم ذكرت حلقة من قصة موسى _ عليه السلام _ مع فرعون في مقطعها الثالث، الذي اعتز بجاهه ومُلكه (أي بمتاع الدنيا) وتعالى على الحق ، وبينت مصيره، لتفنيد الشبهة التي أثارها الكفار حين كذبوا بالحق وقالوا أن الرسالة كان يجب أن لا تنـــزل على رجل عديم المال والجاه ، وقد بين البقاعي رحمه الله علاقة ورودها بوحدة السورة الكريمة حيث قال: " إنها جاءت في سياق تفنيد الشبهة التي أثارها الكفار حين كذبوا بالحق وقالوا أن الرسالة كان يجب أن لا تنزل على رجل عديم المال والجاه، فسيقت هذه الحلقة قصة موسى _ عليه السلام _ مع فرعون التي يبدو فيها اعتزازه بمثل تلك القيم الزائفة ، لبيان أن منطق العناد والطغيان واحد ، وبيان هوان تلك القيم الزائفة على الله ، وهوان فرعون الذي سبقهم باعتزازه بها ، وبيان نهايته التي تنتظر المعتزين بمثل ما اعتز به" ،[2] كما في ذكره _ عليه السلام _ تأكيداً على كون دعوة الرسل واحدة.

وقد ورد فيها ذكر عيسى _ عليه السلام _ في مقطعها الثالث في سياق إبطال شبهة أخرى أثارها الكفار، وهي مجادلتهم النبي ﷺ في أمره _ عليه السلام _ ، وذلك تقريراً لحقيقة كونه

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م5،ج25، ص3176-3178.

[2] البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر،ج7، ص20- 24.

_ عليه السلام _ عبد من عباد الله سبحانه وتعالى ونبي من أنبياءه، وآية وعبرة لبنى إسرائيل ، يستدلون بها على قدرة الله سبحانه وتعالى، وذلك في قوله تعالى: { ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلاً لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ } الأيات (57–66)، وقد بين الإمام الرازي _رحمه الله_ أنه سبحانه وتعالى ذكر أنواعاً كثيرة من كفرياتهم في هذه السورة وأجاب عنها وقد ذكرها في تفسيره ،[1] فهذه الآيات سيقت لإبطال شبهة الكفار التي أثاروها في حق عيسى _ عليه السلام

[1] قال رحمه الله :" أولها: قوله تعالى: {وجعلوا له من عباده جزءا} (الزخرف: 15) وثانيها: قوله تعالى: {وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان إناثا} (الزخرف: 19) وثالثها: قوله {وقالوا لو شاء

_ أثناء مجادلتهم النبي ﷺ في أمره _ عليه السلام_ التي ما التمسوا بها الحق ، وذلك عندما شبه الله سبحانه عيسى _ عليه السلام _ في إحداثه وإنشائه إياه بآدم _ عليه السلام _ ، فمثله به بأنه خلقه من تراب ، فضجوا وقالوا: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلها نعبده، كما عبدت النصارى المسيح؛ فأنزل الله هذه الآية، قال القرطبي _رحمه الله_: " قال ابن عباس: أراد به مناظرة عبدالله بن الزبعرى مع النبي ﷺ في شأن عيسى _ عليه السلام _، وأن الضارب لهذا المثل هو عبدالله بن الزبعرى اسهمي حالة كفره لما قالت له قريش إن محمداً يتلو: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ } سورة الأنبياء آية 98 ، فقال: لو حضرته لرددت عليه؛ قالوا: وما كنت تقول له ؟ قال: كنت أقول له هذا المسيح تعبده النصارى، واليهود تعبد عزيرا، أفهما من حصب جهنم ؟ فعجبت قريش من مقالته ورأوا أنه قد خصم؛ فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} سورة الأنبياء آية 101، ولو تأمل ابن الزبعرى الآية ما أعترض عليها؛ لأنه قال: {وَمَا تَعْبُدُونَ} ولم يقل ومن تعبدون وإنما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل، ولم يرد المسيح ولا الملائكة وإن كانوا معبودين "،[1] وقد نهى رسول الله ﷺ عن المجادلة التي لا يكون مرادها إحقاق الحق أو إبطال الباطل فقال ﷺ:(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا

الرحمان ما عبدناهم} (الزخرف: 20) ورابعها: قوله {وقالوا لولا نزل هاذا القرءان على رجل من القريتين عظيم} (الزخرف: 31) وخامسها: هذه الآية التي نحن الآن في تفسيرها. ج 14، ص190.

[1] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج16 ، ص103-104.

أوتوا الجدل ثم تلا ﷺ هذه الآية {ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون}[1]، كما قررت الآيات بعد نفيها لتلك الشبهة أن ظهوره _ عليه السلام _ آخر الزمان عِلْمٌ يُعلَم به مجيء الساعة وأمارة وعلامة عليها ، لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة فقال تعالى:{ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ } آية 61، وقد وردت أحاديث متعددة عن نزول عيسى _ عليه السلام _ إلى الأرض قبيل الساعة منها قوله ﷺ: (... فبينما هو كذلك – يعني المسيح الدجال – إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله.. الحديث).[2] وقوله ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، و يعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعاً، والنمور مع البقر،

---

[1] الترمذي السلمي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الزخرف، حديث رقم 3253، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار وحجاج ثقة مقارب الحديث وأبو غالب اسمه حزور.

[2] مسلم، أبوالحسين بن الحجاج ،صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، حديث رقم2937 ، وهذا الحديث رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً، فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون)[1]، وقوله ﷺ :(لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم حكماً مقسطاً وإماماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)[2]، كما أن في ذكره _ عليه السلام _ تأكيد على كونه نبي كباقي الأنبياء .

- يتضح مما تم بيانه التلاؤم والانسجام بين وحدة سورة الزخرف والقصص الوارد فيها فكل قصة سيقت لتأكيد قضية من القضايا التي جاءت السورة الكريمة لبيانها، فالحلقة من قصة إبراهيم الخليل _ عليه السلام _ جاءت للتأكيد على وحدة الدين ووحدة الرسالة وأن دين التوحيد هو الدين المرتضى من عند الله سبحانه ولا دين سواه وهو الإسلام، والحلقة من قصة موسى _ عليه السلام _ مع فرعون سيقت لبيان الموقف الموحد لأهل الضلال واعتزازهم بأمور الدنيا الزائلة وبيان مصير من آثر الدنيا على الآخرة، وللتأكيد على وحدة الدين ووحدة الرسالة، أما الحلقة من قصة عيسى _ عليه السلام _ فسيقت لبيان كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وتفرده بالوحدانية وحق الألوهية، وكذلك للتأكيد على وحدة الدين ووحدة الرسالة.

سادساً: سورة الصف

---

[1] ابن حنبل ، أحمد أبوعبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة ، القاهرة، ج2،ص406 ،مسند أبو هريرة رضى الله تعالى عنه، حديث رقم 9259، وهذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

[2] ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (275)، سنن ابن ماجه، دار الفكر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج،حديث رقم4078، وهذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

سورة مدنية عند الجمهور [1] ، وهي إحدى السور المدنية التي تعُنى بالأحكام التشريعية، اشتهرت هذه السورة باسم سورة الصَّف لوجود العلاقة بين اسمها ومحورها ، ففيها دعوة للصفّ والوحدة وفي سبيل الله، قال الرازي _رحمه الله_: "وجه التعلق بما قبلها هو أن في تلك السورة بيان الخروج جهاداً في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله: { إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ } سورة الممتحنة آية 1 ،وفي هذه السورة بيان ما يحمل أهل الإيمان ويحثهم على الجهاد بقوله تعالى: { إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ} سورة الصف آية 4)"[2] وقال أبو حيان _رحمه الله_: "ومناسبتها لآخر السورة قبلها ، أنه جاء في آخر تلك : {يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } سورة الممتحنة آية 13 ، فاقتضى ذلك إثبات العداوة بينهم ، فحض تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم"،[3] وحدة السورة الكريمة التي تدور أحداثها حولها هي دعوة المؤمنين إلى وحدة الصف وحثهم على الجهاد والتضحية في سبيل الله ، وترغيبهم فيه بعد أن بينت أسبابه ومبرراته لإعزاز هذا الدين وإعلاء كلمة الحق ببيان أنه تجارة رابحة يسعد بها المؤمن في الدنيا والآخرة، وتبشير المؤمنين بالظهور والفتح والنصر، والتحذيرمن إخلاف الوعد والالتزام بواجبات الدين ومن مخالفة القول العمل، وختمت السورة الكريمة ببيان أسوة حسنة من المُخلصين من المؤمنين السابقين وهم أصحاب عيسى _ عليه السلام _ حثاً للمؤمنين على التأسي بهم، وذلك بعد بيان أن الإسلام

---

[1] الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن،ج23، ص340.

[2] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج 16، ص 269.

[3] أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ،ج8، ص258.

هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى وأنه خاتم الرسالات فهي كما يقول صاحب الظلال _رحمه الله_: " تقرر في ضمير المسلم أن دينه هو المنهج الإلهي للبشرية في صورته الأخيرة ، الذي سبقته صور منه تناسب أطواراً معينة في تاريخ البشرية، وسبقته تجارب في حياة الرسل وحياة الجماعات ، تمهد كلها لهذه الصورة الأخيرة من الدين الواحد ، الذي أراد الله أن يكون خاتمة الرسالات ، وأن يظهره على الدين كله في الأرض، لتستقر في أذهانهم هذه الحقيقة، ويستشعروا ثقل وعِظم هذه الأمانة، الذي يدفعهم إلى صدق النية في الجهاد لإظهار دينه على الدين كله،" [1]

علاقة القصص الوارد في سورة الصف بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

وحدة السورة الكريمة تقسم إلى مقدمة ومقطعين وخاتمة كما يرى صاحب الظلال رحمه الله.

المقدمة: بينت خضوع كل ما في السماوات والأرض لله سبحانه وتنزيههم له، وأشارت إلى في هذه السورة من معان تُجلي عزة الله سبحانه وحكمته، مما يدعو إلى الخضوع لله وتنزيهه والعمل بأوامره، وقد تمثلت بالآية الأولى من السورة الكريمة، المقطع الأول: يُبين ضرورة موافقة العمل للقول، ويقرر أن الله يُحب الذين يُقاتلون في سبيله صفاً، ويذكر مبررات القتال وأسبابه، وقد شمل الآيات من (2–9)، المقطع الثاني: يحض على الإيمان بالله سبحانه وبرسوله ﷺ وعلى الجهاد في سبيل الله مبيناً كون ذلك هو التجارة الرابحة، ويُبين ما وعده الله سبحانه وتعالى للمجاهدين المؤمنين، وقد شمل الآيات من (10–13)، الخاتمة: تحض على نصرة الله سبحانه وتعالى بنصرة دينه ورسوله ﷺ، وتعرض نموذجاً لمن نصروا نبيهم داعية المؤمنين للتأسي بهم، وقد تمثلت بالآية الأخيرة من السورة الكريمة.[2]

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن،م5،ج25، ص3550.

[2] يُنظر حوى، سعيد، الأساس في التفسير،ج10، ص5877–5889.

تناولت السورة الكريمة في مقطعها الأول حلقة من قصة موسى _ عليه السلام _، وحلقة من قصة عيسى _ عليه السلام _، وكلاهما تتعلق ببيان موقف اليهود من دعوتهما _عليهما السلام_، كنموذجين لنبيين أمرا قوماهما بالتوحيد، وجاهدا في سبيل الله حق جهاده ، ومع ذلك آذاهما قوماهما بالتكذيب وعدم الإيمان، وذلك تحذيراً للمؤمنين من أن يكون موقفهم تجاه دعوة النبي محمد ﷺ كموقف أهل الكتاب من دعوتي موسى وعيسى _عليهما السلام_، وقد بين أبو حيان _رحمه الله_ علة ذلك فقال: " وذلك ليقرر أن مصير مخالفة الرسل هو حلول العقاب ، تلويحاً إلى النهي عن إيذاء النبي ﷺ بقول أو فعل بما تضمنه ذيل الآية الكريمة من تخويف وإنذار وترهيب في نهاية قصة موسى _ عليه السلام _ { فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَـٰسِقِينَ } آية (5) ، وذلك تسلية لرسول الله ﷺ فيما ناله من كفار مكة"،[1] فكلا المثالين متعلق بنوع من أنواع مخالفة الأمر التي قد تصدر عن المخالفين، قال الإمام البقاعي رحمه الله: "ولما كان أذى النبي ﷺ بمخالفة أمره تارة يكون مع العلم برسالته والإقرار بها وتارة مع الإنكار ، قدم العتاب على ما كان منه على تقدير التصديق ، وذكر فيه بقصة موسى _عليه الصلاة والسلام _الذي كانوا يؤذونه مع العلم برسالته ، وهدد بما اتفق لهم من زيغ القلوب التي هي عماد الأبدان وصلاح الإنسان ، أتبعه ما يكون منه عند فرض الإنكار"[2] ، وكذلك ليقرر أن رسالة عيسى _ عليه السلام _ جاءت امتدادا لرسالة موسى _ عليه السلام _ ، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وممهداً للرسالة الأخيرة ومبشراً برسولها محمد ﷺ ، وذلك في

---

[1] أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ،ج8، ص259.

[2] البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، ج7، ص575.

في قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } آية 6 ، قال صاحب الظلال _رحمه الله_: " في هذه الصيغة التي تصور حلقات الرسالة المترابطة ، يسلم بعضها إلى بعض ، وهي متماسكة في حقيقتها ، واحدة في اتجاهها ، ممتدة من السماء إلى الأرض ، حلقة بعد حلقة في السلسلة الطويلة المتصلة وهي الصورة اللائقة بعمل الله ومنهجه . فهو منهج واحد في أصله ، متعدد في صوره ، وفق استعداد البشرية وحاجاتها وطاقاتها ، ووفق تجاربها ورصيدها من المعرفة حتى تبلغ مرحلة الرشد العقلي والشعوري ، فتجيء الحلقة الأخيرة في الصورة الأخيرة كاملة شاملة ، تخاطب العقل الراشد ، في ضوء تلك التجارب، ,وتطلق هذا العقل يعمل في حدوده، [1] قال السيوطي _رحمه الله_: " لم يقل في عيسى _ عليه السلام _ وإذ قال عيسى لقومه، كما قال لموسى ___ عليه السلام _ { وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ } آية (5)، بل قال يا بني إسرائيل، وذلك أن عيسى _ عليه السلام _ لم يكن له نسب فيهم فيكونوا قومه، إذ لم يكن له فيهم أب، بخلاف موسى _ عليه السلام _ "، [2]كما تناولت حلقة أخرى من قصة عيسى _ عليه السلام_ في خاتمتها

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن،م5،ج25، ص3555.

[2] السيوطي،جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج3، ص 530 .

المتعلقة بحواريه _ عليه السلام _ الذين ناصروا ونصروا دعوته وذلك حثاً للمؤمنين على التأسي بهم، وذبك في قوله تعالى: { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ } آية 14.

- يتبين مما ذُكر سابقاً وجود العلاقة الوطيدة بين وحدة سورة الصف واختيار القصص الوارد فيها، ففي كلا القصتين دعوة إلى اتباع أومر الله سبحانه باتباع أومر رسوله ﷺ ، وذلك ببيان مصير المخالفين لأمر الرسل ، وبيان تأييد الله سبحانه للمؤمنين منهم، وضرب المثل للمؤمنين في عهد النبي ﷺ بالأسوة الحسنة ممن اتبعوا أوامر الرسل وظهورهم على عدوهم.

❖خلصت الدراسة في هذا المبحث إلى أن تخصيص حلقة من قصة عيسى _ عليه السلام _ بالذكر في أي سورة لا بد له من علاقة بمقصد السورة وموضوعها، فالقصة القرآنية تأتي متفقة مع موضوع أو موضوعات السورة التي وردت فيها، ومن ثم تتفق مع السورة في المقصد الذي سيقت لبيانه، فهي تدعم موضوع السورة وتؤكده بل تأتي شاهدة عليه ، فقصته _ عليه السلام _ ذكرت في السور التي كانت أحداثها تدور حول قضية التوحيد ونفي الشرك والولد وإفراد الله سبحانه بالعبودية، وبيان كمال قدرته سبحانه وتعالى الدالة على التوحيد، وبيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، وكذلك بيان وحدة الرسالة ومصدر الوحي .

المبحث الثاني: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي وردت فيها ذكر مريم وعيسى عليهما السلام وترتيب القصص القرآني الوارد فيها:

القصة تمثل جزء أصيلاً من النسيج المحكم للسورة القرآنية تأتي في المكان المحدد لها وتؤدي الغرض المراد منها على أكمل وجه وبأوضح بيان، قال الدكتور دراز: " إن المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان لا بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسها كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب ومن

وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصا كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية، [1] فسياقة القصص في القرآن بهذا التنسيق في عرضه وبهذا التناسق بينه وبين الموضوع الذي يساق فيه ، وبهذا التناسب بين أهداف القصص وأهداف السياق في السورة الواحدة .. إن هذا كله ليشهد بالقصد والتدبير العميق اللطيف الذي لا يلحظ في الأساطير المبعثرة التي لا تجمعها فكرة ، ولا يوجهها قصد.[2]

المطلب الأول: السور التي ذكرت فيها القصتان إشارةً أو إجمالاً:

أولاً: سورة البقرة:

بينت الدراسة أن وحدة سورة البقرة قائمة على على بيان مقاصد الدين ومجمل أحكامه وذلك إعداداً للجماعة المسلمة لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض ، وذلك بعد بيان موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية، وإعلان نكول بني إسرائيل عن حملها ، ونقضهم لعهد الله بخصوصها.[3]

علاقة القصص الوارد في سورة البقرة :

القصص الذي وردت في هذه السورة الكريمة هي حلقة من قصة آدم _ عليه السلام _ التي جاءت في سياق امتنانه سبحانه على بني إسرائيل، قال أبو حيان _رحمه الله_: " ومناسبتها لما قبلها أنه لما امتن عليهم بخلق ما في الأرض لهم ، وكان قبله إخراجهم من العدم إلى الوجود ، أتبع ذلك ببدء خلقهم ، وامتن عليهم بتشريف أبيهم وتكريمه وجعله خليفة وإسكانه دار كرامته ، وإسجاد الملائكة تعظيماً لشأنه وتنبيهاً على مكانه واختصاصه بالعلم الذي به كمال الذات وتمام الصفات ،

---

[1] دراز ،محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ص 195.

[2] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م4،ج13، ص2551.

[3] يُنظر ص 38-39.

ولا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع ، وشرف الفرع بشرف الأصل"،[1] ثم ذكرت حلقات من قصة موسى _ عليه السلام _ مع بني إسرائيل تذكرهم بنعم الله عليهم ، قال الإمام الرازي رحمه الله: " اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولاً ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود كسراً لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة واستمالة لقلوبهم بسببها، وتنبيها على ما يدل على نبوة محمد ﷺ من حيث كونها إخباراً عن الغيب..." ثم قال: "واعلم أنه سبحانه وتعالى إنما ذكرهم بهذه النعم لوجوه: أحدها: أن في جملة النعم ما يشهد بصدق محمد ﷺ وهو التوراة والإنجيل والزبور، وثانيها: أن كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم تلك النعم لكي يحذروا مخالفة ما دعوا إليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، وثالثها: أن تذكير النعم الكثيرة يوجب الحياء عن إظهار المخالفة"،[2] وأُتبعت هذه الحلقات بالإشارةً إلى عيسى _ عليه السلام _ الذي جاءهم بالبينات الواضحات على صدق نبوته، وجاءت رسالته متممة لرسالة موسى _عليهما السلام- ومع ذلك كذبوه ولم يؤمنوا به، ثم جاءت حلقة من حلقات قصة إبراهيم _ عليه السلام _ المتعلقة بإمامته _ عليه السلام _ وبناء الكعبة وبوصايته _ عليه السلام _ لبنيه بالتوحيد والتي أتبعت بحلقة من قصة يعقوب _ عليه السلام _ المتحدثة عن اتباع نهج جده إبراهيم _ عليه السلام _ في وصاية بنيه بالحنيفية المسلمة حين حضره الموت، قال أبو حيان _رحمه الله_: " ذكر حديث إبراهيم وما ابتلاه به الله ، واستطرد إلى ذكر البيت وكيفية بنائه ، وأنهم لما كانوا من نسل إبراهيم ، كان ينبغي أن يكونوا أكثر الناس اتباعاً لشرعه ، واقتفاء لآثاره ، فكان تعظيم البيت لازماً لهم ، فنبه الله بذلك على سوء اعتمادهم ، وكثرة مخالفتهم ،وخروجهم عن سنن من ينبغي اتباعه من آبائهم ، وأنهم ،

---

[1] أبو حيان ، محمد بن يوسف ، البحر المحيط، ج1، ص 286.

[2] الرازي، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج2، ص32،27.

وإن كانوا من نسله ، لا ينالون لظلمهم شيئاً من عهده "،[1] وأُتبعت هذه الحلقات بالإشارة إلى مجموعة من الرسل ومن بينهم عيسى _ عليه السلام _ في سياق تقرير حقيقة دين إبراهيم _ عليه السلام _ وهو التوحيد الخالص، ثم ذكرت قصة طالوت والملأ من بني إسرائيل الذين أمروا بالقتال فنكثوا وخالفوا فذمهم الله تعالى عليه، وعرضت حلقة من قصة داود _ عليه السلام _ وقتله جالوت، وإيتائه الملك والحكمة، والتي أُلحقت بتعقيب لخص قصة الرسل والرسالات وأشار إلى اختلاف الذين جاءوا من بعدهم من الأجيال المتعاقبة فبعضهم آمن وبعضهم كفر وأن الرسل قد نالهم من أقوامهم ما نالهم، والذي أُشير فيه إلى عيسى _ عليه السلام _ وذلك تسلية للرسول ﷺ على إيذاء قومه له ، ثم ذكرت الحلقة الثانية من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ المتعلقة بمناظرته _ عليه السلام _ مع ملك زمانه وما فيها من بيان قدرة الله سبحانه وتعالى، و قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وما فيها من إثبات البعث والمعاد، والتي اُعقبت بحلقة من قصة إبراهيم __ عليه السلام _ المتعلقة بسؤاله _ عليه السلام _ ربه أن يُريه كيف يُحيى الموتى وهي أيضاً دالة على صحة البعث.

- يتبين مما سبق الانسجام التام بين القصص التي عُرضت في السورة عقب بعضها البعض، فالحلقة من قصة آدم _ عليه السلام _ والحلقات من قصة موسى _ عليه السلام _ مع بني إسرائيل ، والإشارة الأولى لعيسى _ عليه السلام _ جاءت في سياق امتنان الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل وتذكيرهم بنعمه عليهم ، والحلقة الأولى من حلقات قصة إبراهيم _ عليه السلام _ المتعلقة بإمامته _ عليه السلام _ وبناء الكعبة وبوصايته _ عليه السلام _ لبنيه بالتوحيد والتي أتبعت بحلقة من قصة يعقوب _ عليه السلام _ وأُتبعت هذه الحلقات بالإشارة إلى مجموعة من الرسل ومن بينهم عيسى _ عليه السلام _ جاءت في سياق تقرير حقيقة دين إبراهيم _ عليه

---

[1] أبو حيان ، محمد بن يوسف، البحر المحيط، ج1، ص545.

السلام _ وهو التوحيد الخالص، وقصة طالوت والملأ من بني إسرائيل الذين أمروا بالقتال فنكثوا وخالفوا فذمهم الله تعالى عليه، والحلقة من قصة داود _ عليه السلام _ وقتله جالوت، وإيتائه الملك والحكمة، التي بينت حال من نكث وحال من وفى مع الله والتي أُلحقت بتعقيب لخص قصة الرسل والرسالات وأشار إلى اختلاف الذين جاءوا من بعدهم من الأجيال المتعاقبة فبعضهم آمن وبعضهم كفر،كما بينت أن الرسل قد نالهم من أقوامهم ما نالهم، والذي أُشير فيه إلى عيسى _ عليه السلام _ وذلك تسلية للرسول ﷺ على إيذاء قومه له ، أما الحلقة الثانية من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ المتعلقة بمناظرته _ عليه السلام _ مع ملك زمانه، و قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها والتي أُعقبت بحلقة ثالثة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ المتعلقة بسؤاله _ عليه السلام _ ربه أن يُريه كيف يُحيي الموتى فهي دالة على قدرة الله سبحانه وتعالى، وفيها إثبات البعث والمعاد.

ثانياً: سورة الأنعام:

بينت الدراسة أن وحدة سورة الأنعام قائمة على تركيز القواعد الأساسية الثلاث التي كان المشركون يومئذ يتنازعون فيها وهي إثبات الوحدانية لله سبحانه ودحض قواعد الشرك، وبيان مصدر الرسالة ، والرد على منكرى البعث.[1]

علاقة القصص الوارد في سورة الأنعام:

ورد في هذه السورة الكريمة حلقة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ ، وإشارات إلى كل من إسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط عليهم السلام جميعاً ، وقد تم ترتيب الأنبياء الوارد ذكرهم في السورة الكريمة على هذا النحو لاشتراك الذين ورد ذكرهم معاً في أمر جامع بينهم اختصوا به،

---

[1] يُنظر صفحة 46-47.

قال الإمام الرازي _رحمه الله_: " واعلم أنه تعالى ذكر أولاً أربعة من الأنبياء، وهم: نوح، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر من الأنبياء: داود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسمعيل، واليسع، ويونس، ولوطا، والمجموع ثمانية عشر، فإن قيل: رعاية الترتيب واجبة، والترتيب إما أن يعتبر بحسب الفضل والدرجة وإما أن يعتبر بحسب الزمان والمدة، والترتيب بحسب هذين النوعين غير معتبر في هذه الآية فما السبب فيه؟ قلنا: الحق أن حرف الواو لا يوجب الترتيب، وأحد الدلائل على صحة هذا المطلوب هذه الآية فإن حرف الواو حاصل ههنا مع أنه لا يفيد الترتيب البتة، لا بحسب الشرف ولا بحسب الزمان وأقول عندي فيه وجه من وجوه الترتيب، وذلك لأنه تعالى خص كل طائفة من طوائف الأنبياء بنوع من الإكرام والفضل، فمن المراتب المعتبرة عند جمهور الخلق: الملك والسلطان والقدرة، والله تعالى قد أعطى داود وسليمان من هذا الباب نصيباً عظيماً، والمرتبة الثانية: البلاء الشديد والمحنة العظيمة، وقد خص الله أيوب بهذه المرتبة والخاصية، والمرتبة الثالثة: من كان مستجمعاً لهاتين الحالتين، وهو يوسف _ عليه السلام _، فإنه نال البلاء الشديد الكثير في أول الأمر، ثم وصل إلى الملك في آخر الأمر، والمرتبة الرابعة: من فضائل الأنبياء عليهم السلام وخواصهم قوة المعجزات وكثرة البراهين والمهابة العظيمة والصولة الشديدة وتخصيص الله تعالى إياهم بالتقريب العظيم والتكريم التام، وذلك كان في حق موسى وهارون، والمرتبة الخامسة: الزهد الشديد والإعراض عن الدنيا، وترك مخالطة الخلق، وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين، والمرتبة السادسة: الأنبياء الذين لم يبق لهم فيما بين الخلق أتباع وأشياع، وهم إسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط".[1]

---

[1] الرازي ، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج7، ص53-54.

كما أن عيسى _ عليه السلام _ ورد ذكره بعد ذكر زكريا ويحيى –عليهما السلام– لكون قصة زكريا وولادة يحيى _عليهما السلام_ تُعد تمهيداً لهذه الولادة العجيبة، فولادة العجوز العاقر حدث عجيب يُمهد لحدث أعجب منه وهي ولادةٌ من غير أب، إذن تم ذكر الأنبياء في هذه السورة الكريمة على هذا النحو بناءاً على اشتراك المذكورين معاً في خصلة جمعت بينهم .

ثالثاً: سورة التوبة:

بينت الدراسة أن وحدة سورة التوبة قائمة على بيان أحكام الجهاد الإسلامي ومبرراته في حق مخالفيه، وفتح باب التوبة والحث عليه .[1]

علاقة القصص الوارد في سورة التوبة:

ورد في هذه السورة الكريمة إشارات إلى عيسى _ عليه السلام _ في سياق الحديث عن السبب المُبيح لقتال المنحرفين من النصارى، وإلى نوح _ عليه السلام _، وقوم عاد، وقوم ثمود، وقوم إبراهيم _ عليه السلام _، وأصحاب مدين، وقوم لوط _ عليه السلام _، ثم جاء الحديث عن إبراهيم _ عليه السلام _، وجميعها منسجمة مع بعضها فجميعها وردت كأمثلة محذرة من المخالفة ببيان حال المخالف من الأقوام السابقة، قال الإمام الرازي _رحمه الله_: " اعلم أنه تعالى لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في الرغبة في الدنيا وفي تكذيب الأنبياء والمبالغة في إيذائهم بين أن أولئك الكفار المتقدمين منهم، فذكر هؤلاء الطوائف الستة، فأولهم قوم نوح والله أهلكهم بالإغراق، وثانيهم: عاد والله تعالى أهلكهم بإرسال الريح العقيم عليهم، وثالثهم: ثمود والله أهلكهم بإرسال الصيحة والصاعقة، ورابعهم: قوم إبراهيم أهلكهم الله بسبب سلب النعمة عنهم، وخامسهم: قوم

---

[1] يُنظر صفحة 49-50.

شعيب وهم أصحاب مدين، والمؤتفكات قوم لوط أهلكهم الله بأن جعل عالي أرضهم سافلها، وأمطر عليهم الحجارة".[1]

[1] الرازي ، فخر الدين،، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج9، ص103.

رابعاً: سورة الأنبياء:

بينت الدراسة أن وحدة سورة الأنبياء قائمة على معالجة قضية التوحيد ، والرسالة والبعث .[1]

علاقة القصص الوارد في سورة الأنبياء:

ورد في هذه السورة الكريمة إشارة إلى موسى وهارون _عليهما السلام_، وحلقة من قصة إبراهيم _ عليه السلام_، وإشارات إلى كلٍ من إسحاق ويعقوب ولوط ونوح وداود وسليمان وأيوب واسماعيل وإدريس ويونس وزكريا _عليهم السلام جميعاً_، كل ذلك في سياق بيان نعم الله تعالى عليهم، وبيان حال أقوامهم من دعوتهم وتكذيبهم لهم وذلك إيناساً وتسلية للنبي ﷺ، قال أبو حيان _رحمه الله_: " لما تقدم الكلام في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أتبع ذلك بثلاثة عشر نبياً غير مراعى في ذكرهم الترتيب الزماني ، وذكر بعض ما نال كثيراً منهم من الابتلاء كل ذلك تسلية للرسول ﷺ وليتأسى بهم فيما جرى عليه من قومه[2] ، وقد جاء الحديث عن عيسى وأمه – عليهما السلام_ عقب الحديث عن زكريا ويحيى _عليهما السلام_ التي تُعد قصتهما تمهيداً لقصة ولادته _ عليه السلام_ الفريدة الدالة على مطلق وكمال قدرة الله سبحانه .

خامساً: سورة المؤمنون:

علاقة القصص الوارد في سورة المؤمنين:

عرضت سورة المؤمنون حلقة من قصة نوح _ عليه السلام _، وحلقة من قصة هود _ عليه السلام _ وحلقة من قصة موسى وهارون _عليهما السلام_ ، وأشارت إلى عيسى ابن مريم وأمه _عليهما السلام_، وقد جاءت هذه الحلقات متسقة فيما بينها حيث بينت حقيقة الإيمان التي جاء بها

---

[1] يُنظر صفحة 52.

[2] أبو حيان ، محمد بن يوسف البحر المحيط، ، ج6، ص298.

الرسل جميعاً ، وأظهرت كيف كان استقبال الناس لهذه الحقيقة الواحدة التي لا تتبدل على مدار الزمان ، وتعدد الرسالات، وتتابع الرسل، وقد دل على ذلك التعقيب الذي انتهى به عرض هذا القصص وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ، وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} الآيات (51–52)، قال صاحب الظلال _رحمه الله_: " إنما سيقت لتقرير الكلمة الواحدة التي جاء بها الجميع ، والاستقبال الواحد الذي لقوه من الجميع ، ومن ثم بدأ بذكر نوح _ عليه السلام _ ليحدد نقطة البدء ؛ وانتهى بموسى وعيسى ليحدد النقطة الأخيرة قبل الرسالة الأخيرة ، ولم يذكر الأسماء في وسط السلسلة الطويلة ، كي يدل على تشابه حلقاتها بين البدء والنهاية ، إنما ذكر الكلمة الواحدة في كل حلقة والاستقبال الواحد ، لأن هذا هو المقصود"[1] .

سادساً: سورة الأحزاب:

بينت الدراسة أن وحدة سورة الأحزاب قائمة على تحديد أُطر الحياة في المجتمع الإسلامي وربطها بالأصل الكبير وهو العقيدة والاستسلام لله سبحانه وتعالى ولقدره، والحديث عن النبي ﷺ وتشريفه وتنزيهه مع زوجاته والمؤمنين ، وتصوير ما يعرض له ﷺ من إيذاء ، وكذلك الحديث عن غزوة الأحزاب.[2]

علاقة القصص الوارد في سورة الأحزاب:

ورد في هذه السورة الكريمة إشارات إلى كل من محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام جميعاً والعلاقة بينهم بارزة حيث أُشير إليهم جميعاً في سياق الحديث عن ميثاق الله

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م4، ج 18 ، ص 2452 .

[2] يُنظر صفحة 58.

تعالى مع النبيين عامة، والنبي ﷺ وأولي العزم من الرسل خاصة، لبيان كونه ميثاقاً واحداً، وأن الرسالات جميعها رسالة واحدة مُرسلة من عند الله سبحانه.

سابعاً: سورة الشورى:

بينت الدراسة أن وحدة سورة الشورى قائمة على قضية الوحي والرسالة، وبيانحقيقة الوحدانية لله سبحانه وذكر دلائلها.[1]

علاقة القصص الوارد في سورة الشورى:

الإشارت الواردة في هذه السورة الكريمة جاءت منسجمة فيما بينها إذ أنها تحدثت عن أولي العزم من الرسل في سياق الحديث عن وحدة الدين من لدن نوح _ عليه السلام _ أول الرسل إلى محمد ﷺ آخرهم.

ثامناً: سورة الحديد:

بينت الدراسة أن وحدة السورة قائمة على تعميق قضية الإيمان وبيان ما يحقق ذلك، والتأكيد على وحدة الرسالة في جوهرها وكتابها وميزانها ورجالها.[2]

علاقة القصص الوارد في سورة الحديد:

أشارت السورة الكريمة إلى نوح وإبراهيم وعيسى _عليهم السلام جميعاً_، وهذه الإشارات جاءت متسقة فيما بينها حيث جاءت في سياق عرض نماذج انحراف الناس عن الحق وذلك لنتجنب مثل هذا الانحراف، فالنموذج الأول كان ما بعد نوح وإبراهيم _عليهما السلام_ وهم الذين قست قلوبهم،

---

[1] يُنظر صفحة 60.

[2] يُنظر صفحة 62.

والنموذج الثاني هم أتباع عيسى _ عليه السلام _ الذين ابتدعوا الرهبانية من تلقاء أنفسهم ومع ذلك لم يطبقوا ما ألزموا به أنفسهم.

تاسعاً: سورة التحريم:

بينت الدراسة أن وحدة سورة التحريم قائمة على ذكرتوجيهات عامة للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله ﷺ.[1]

علاقة القصص الوارد في سورة التحريم:

جاءت الإشارت الواردة في السورة الكريمة متسقة فيما بينها، حيث وردت كأمثلة تُبين أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرق بينهما الدين ، فالمثل الأول كان لزوجتي نوح ولوط _عليهما السلام_ اللتان لم تنفعهما صلتهما بالأنبياء فكانتا مثلاً للكفر في بيت الإيمان، والمثل الثاني كان لامرأة فرعون ومريم _عليها السلام_ اللتان لم يضرهما صلتهما بالكفار بل كانتا مثلاً للإيمان في بيت الكفر.

المطلب الثاني: السور التي ذكرت فيها القصتان تفصيلاً:

أولاً: سورة آل عمران:

بينت الدراسة أن وحدة سورة آل عمران قائمة على إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، وإقامة الأدلة على ذلك عقلاً ونقلاً ببيان القدرة التامة الموجبة للتوحيد ، وما يتعلق بها من أمر الوحي والرسالة وبيان وحدة الدين عند الله تعالى.[2]

---

[1] يُنظر صفحة 64.

[2] يُنظر صفحة 67-68.

علاقة القصص الوارد في سورة آل عمران :

أشارت السورة الكريمة إلى آدم ونوح وآل إبراهيم عليهم السلام وآل عمران في أثناء الحديث عن الاصطفاء، فعرضت قصة امرأة عمران وولادة مريم _عليها السلام_، وهي السورة الوحيدة التي وردت فيها هذه القصة، وهي قصة امرأة مؤمنة عابدة شاكرة، ناجت ربها وتَضرعت إليه كي يرْزقها ولداً ، ونذرته محرراً خالصاً لوجهه الكريم، ولما علمت أن مولودها أنثى سمتها مريم وحصنتها بدعائها لله عزّ وجل أنْ يُعيذها وذريتها مِنَ الشيطان الرجيم، فهي نموذج للمرأة المسلمة الواعية لدورها الحقيقي في هذه الحياة، تجاه أولادها ومجتمعها ودينها، فهي امرأةٌ صاحبة رسالة، كما عرضت السورة الكريمة في ثنايا هذه القصة قصة زكريا _ عليه السلام _، الذي تولى رعاية مريم _عليها السلام_ ، واستجابة الله لدعائه ومناجاته لربه سبحانه وتعالى أن يهبه الذرية الطيبة بعد ما تجلّى له من كرامات وهبها سبحانه وتعالى لها، بأن بشرته الملائكة وهو قائم يصلي في محرابه بيحيى _ عليه السلام _ مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين، ثم عادت الآيات للحديث عن مريم _عليها السلام_ وبشارة الملائكة لها باختيار الله لها واجتبائها لطاعته، وتطهيرها عن الكفر والمعصية قال سيد قطب رحمه الله: "والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى ، وذلك لما لابس مولد عيسى _ عليه السلام_ من شبهات لم يتورع اليهود أن يلصقوها بمريم الطاهرة ، معتمدين على أن هذا المولد لا مثال له في عالم الناس فيزعموا أن وراءه سراً لا يشرف" [1] واصطفائها على نساء العالمين ، وتابعت الآيات الحديث عن البشارة الثانية لمريم _عليها السلام_ المتمثلة بعيسى _ عليه السلام _، وشرعت في بيان صفاته وشرح معجزاته الدالة على صدق نبوته، وبينت موقف قومه منه _ عليه السلام _ ، ومكرهم به بأنهم هموا بقتله _ عليه السلام _ وصلبه ، كما بينت علو شأنه _ عليه السلام _ وعظيم منصبه عند الله تعالى بأن رفعه

---

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م1، ج3، ص395.

إليه وطهَره من الذين كفروا، وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، قال أبو حيان _رحمه الله_: " وفي هذه الأوصاف تشبه من أوصاف مريم _عليها السلام_ ، وذلك أن زكريا لما رأى ما اشتملت عليه مريم من الأوصاف الجميلة ، وما خصها الله تعالى به من الخوارق للعادة ، دعا ربه أن يهب له ذرية طيبة ، فأجابة إلى ذلك ، ووهب له يحيى على وفق ما طلب ، فالتصديق مشترك بين مريم ويحيى ، وكانت مريم سيدة بني إسرائيل بنص الرسول في حديث فاطمة ، وكان يحيى سيداً ، فاشتركا في هذا الوصف . وكانت مريم عذراء بتولاً لم يمسسها بشر وكان يحيى لا يقرب النساء ، وكانت مريم أتاها الملك رسولاً من عند الله وحاوراها عن الله بمحاورات حتى زعم قوم أنها كانت نبية ، وكان يحيى نبياً ، وحقيقة النبوّة هو أن يوحي الله إليه ، فقد اشتركا في هذا الوصف "[1]، كما أشارت الآيات إلى إبراهيم _ عليه السلام _ ، وبينت كونه _ عليه السلام _ حنيفاً مسلماً، ولم يكن من اليهود ولا من النصارى فكذبهم فيما ادعوه من موافقة شريعة إبراهيم _ عليه السلام _ لهما، ولا من المشركين تعريضاً بكون النصارى مشركين في قولهم بإلاهية المسيح وبكون اليهود مشركين في قولهم بالتشبيه، وذلك رداً على أهل الكتاب الذين زعموا أن شريعة التوراة والإنجيل مخالفة لشريعة القرآن وحاجوا فيما ليس لهم به علم وهو ادعاؤكم أن شريعة إبراهيم _ عليه السلام _ كانت مخالفة لشريعة محمد ﷺ، والملاحظ أن القصص الوارد في السورة الكريمة جاء متسقاً فيما بينه ، متآلفاً أتم التآلف، قال البستاني: " هناك مجموعة من عناصر التلاحم والتجانس بين هذا القصص و يتجسّد في خضوع القصص الثلاث إلى طابع الممارسة العبادية عند الشخصيات الثلاث أولاً، ثم في خضوع القصص الثلاث إلى عنصر الإنجاب المعجز وخرق العادة ثانياً، ثم في خضوع القصص الثلاث إلى عنصر المفاجأة ثالثاً، كما أن هذا القصص قصة امرأة عمران وولادة مريم _عليها السلام_ ، وقصة زكريا ويحيى _عليهما السلام_ كان

[1] أبو حيان ، محمد بن يوسف ، البحر المحيط، ج2، ص468.

ممهّداً للدخول إلى قصّة أكبر حجماً، وأوسع دلالةً، هي قصة عيسى _ عليه السلام _ ، أما قصة آدم _ عليه السلام _ ونمط مولده، فجاءت امتداداً لرسم الحدث المعجز الذي غلّف كل القصص الوارد في سورة آل عمران، وبما في ربط هذا الحدَثَ الأخير المتمثل بقصة عيسى _ عليه السلام _ بأول حدثٍ معجزٍ في التجربة البشرية المتمثل بقصة آدم _ عليه السلام _، ضمن سلسلة من الأحداث المعجزة عبر القصص في السورة الكريمة"، [1] ويمكن القول أن هذا القصص اتحد أيضاً في اصطفاء الله لشخصيات هذا القصص والوحي إليها ، فقد اصطفى الله سبحانه مريم _عليها السلام_ وأوحى إليها وذلك عن طريق حوارها مع جبريل _ عليه السلام _، واصطفى كذلك يحيى وعيسى _عليهما السلام_ وجعلهما أنبياء.

- يتبين مما سبق التناسق والتلاحم بين هذ القصص فجميعه متعلق بالعنصر الدال على كمال القدرة لله سبحانه وتعالى الدال على الوحدانية، فجميع هذ القصص جاء ممهدة لقصة عيسى _ عليه السلام _، التي أثبتت الوحدانية المطلقة لله سبحانه ونفى الولد والشريك له، كما دل على وحدة الرسالة والدين من لدن آدم _ عليه السلام _ إلى محمدﷺ.

ثانياً: سورة النساء:

علاقة القصص الوارد في سورة النساء:

سورة النساء التي قررت حقيقة الربوبية ووحدانيتها، وبينت ما يُنظم العلاقات بين المسلمين، وأكدت وحدة الرسالة ومصدر الوحي، عرضت في ثنايا ذلك إشارة إلى إبراهيم _ عليه السلام _، ثم حلقة من قصة موسى _ عليه السلام _ مع قومه ، وعرضت عقب ذلك حلقة من قصة عيسى _ عليه السلام _، وكلها جاءت في سياق الحديث عن جرائم اليهود ضد أنبيائهم، كما أشارت إلى نوح و

---

[1] التفسير البنائي للقرآن الكريم،ج 1،ص159–165 ،168–174.

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان عليهم السلام، وما ذُكر من النبيين على سبيل الإشارة ، وقد بين ابن جماعة _رحمه الله_ أن ترتيبهم جاء على هذا النحو لأن هذه الآية نزلت رداً لسؤال اليهود أن يُنزل عليهم كتباً، فبين فيها أن ليس كل الأنبياء أنزل عليهم كتباً، بل بعضهم بوحي، و بعضهم بكتب، وبعضهم بصحف، فقدم نوح _ عليه السلام _ لعدم كتاب أنزل إليه، ثم إبراهيم _ عليه السلام _ لأن له صحفاً، وتلاه بمن لا كتاب له، ثم قدم عيسى _ عليه السلام _، لأن له الإنجيل، وتلاه بمن لا كتاب له، ثم ختم بداود لزبوره، ثم أجمل الرسل، وختمهم بموسى _ عليه السلام _ لبيان أن تشريفه للأنبياء ليس بالكتب، ولا بد، بل خص بعضهم بما شاء من أنواع الكرامات، إما بتكلم أو إسراء أو إنزال كتب أو صحف، أو وحي على من يشاء، فناسب هذا الترتيب ما تقدم.[1]

- يظهر مما ذُكر سابقاً وجود المناسبة والاتصال بين القصص المذكورة في السورة، فكلا الحلقتين والإشارة لإبراهيم _ عليه السلام _ تتحدث عن موضوع واحد وهو تعنت وافتراءات اليهود.

ثالثاً: سورة المائدة:

بينت الدراسة أن وحدة سورة المائدة قائمة على حث المؤمنين على التزام المواثيق والعهود وتحذيرهم عاقبة إهمالها ، والنعي على أهل الكتاب نقضهم مواثيقهم مع الله سبحانه، وبيان أن هذا كان شأن جميعهم، وقد جاءت المشاهد القصصية منسجمة مع تلك الأهداف .[2]

علاقة القصص الوارد في سورة المائدة:

أول ما بدئت به السورة من القصص الحديث عن جوانب من تاريخ بني اسرائيل ، فوردت حلقة من قصة موسى _ عليه السلام _ مع قومه المتعلقة بأخذ الميثاق عليهم ، ونقضهم للميثاق ،

---

[1] يُنظر ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص 110-112.

[2] يُنظر صفحة 96-97.

وعصيانهم أمر نبيهم موسى _ عليه السلام_ بالدخول إلى الأرض المقدّسة، ثم عُرضت قصّة ابني آدم _ عليه السلام _ عقب قصة بني اسرائيل لما بينهما من مناسبة واتصال ، فقد ذكر ابن عاشور_رحمه الله_ في تفسيره أن المناسبةُ بينهما مناسبة تماثل ومناسبة تضادّ، فقال:" فأما التماثل فإنّ في كلتيهما عدم الرضا بما حكم الله تعالى : فإنّ بني إسرائيل عصوا أمر رسولهم إيّاهم بالدخول إلى الأرض المقدّسة ، وأحدَ ابني آدم عصى حكم الله تعالى بعدم قبول قربانه لأنّه لم يكن من المتّقين، وفي كلتيهما جرأة على الله بعد المعصيّة ؛ فبنو إسرائيل قالوا : (اذهب أنت وربّك) آية 24 ، وابن آدم قال : لأقتلنّ الّذي تقبّل الله منه، وأمّا التّضادّ فإنّ في إحداهما إقداماً مذموماً من ابن آدم ، وإحجاماً مذموماً من بني إسرائيل ، وإنّ في إحداهما اتّفاق أخوين هما موسى وأخوه على امتثال أمر الله تعالى ، وفي الأخرى اختلافَ أخوين بالصّلاح والفساد " ،[1] فتم تقديم الحلقة من قصة موسى _ عليه السلام_ مع قومه على قصة ابني آدم _ عليه السلام_ وذلك لتناسبها مع مطلع السورة الذي دعا إلى الالتزام بالعهود والمواثيق وسيقت هذه القصة للتحذير من مخالفتها وبيان عاقبة ذلك، ثم عُرضت قصة ابني آدم _ عليه السلام_ بعد الحديث عن حكم المحاربين الذين يقتلون الناس بغير حق ويسعون في الأرض فساداً كنموذج للتحذير من هذا الأمر وبيان عاقبته، ثم جاء الحديث عن عيسى __ عليه السلام_ وكونه عبدا لله سبحانه بعد الحديث عن انحرافات أهل الكتاب العقدية والسلوكية، ثم عرضت قصة المائدة التي جاءت في سياق تقرير عيسى _ عليه السلام _ ببعض نعم الله عليه وبيان معجزاته، وحثّ أتباعه على الوفاء بما عاهدوا الله عليه. [2]

---

[1] عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج6، ص 168.

[2] يُنظر عرفات ،عمر علي حسان، منهج القرآن في عرض القصص قصة موسى _ _ عليه السلام___ أنموذجا، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية، 2009، ص72-73، 90-94.

- يظهر مما سبق تلاؤم القصص الثلاث واتحادها بمحور واحد يتعلق بالوفاء بالعهود والمواثيق والتحذير من نقضها وعدم الوفاء بها وبيان مصير المخالفين، فأول هذا القصص وآخره دعا إلى الوفاء بالعهد.

رابعاً: سورة مريم:

بينت الدراسة أن وحدة سورة مريم قائمة على تقرير التوحيد لله عز وجل وتنزيهه سبحانه عما لا يليق به ونفي الولد والشريك، وبيان مطلق القدرة لله سبحانه وتعالى، وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين.[1]

علاقة القصص الوارد في سورة مريم:

استهلت السورة الكريمة بحلقة من قصة زكريا _ عليه السلام _ ، تعقبها حلقة من قصة مريم وهي التي بُسط فيها مولد عيسى _ عليه السلام _ ، ثم انتقلت الآيات للحديث عن حلقة من قصة إبراهيم _ عليه السلام _ مع أبيه، المتعلقة بدعوته إلى الله سبحانه، وتلطفه به، ثم تعقبها إشارات إلى النبيين: موسى وهارون، وإسماعيل ، وإدريس ، وآدم ونوح ،عليهم السلام.

فقصة ولادة عيسى –عليهما السلام_ ذُكرت إثر قصة زكريا _ عليه السلام _ ، لما بينهما من كمال ارتباط واتصال لقرب النسب، فقد قال رسول الله ﷺ عن (ليلة أسري به ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابني خالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم

---

[1] يُنظر صفحة 109–110.

قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح) [1] وهي بمثابة توطئة وتمهيد لمريم _عليها السلام _قال الشعراوي _رحمه الله_ : " وفي استجابة الله لزكريا ورزقه يحيى _عليهما السلام_ ؛ مقدمة وتمهيداً لمريم _عليها السلام_ ، فلا تنزعج من حَمْلها، وتردّ هذه المسألة إلى أن الله يرزق مَنْ يشاء بغير حساب، وليكون ذلك إيناساً لنفسها واطمئناناً لها"[2]، أما قصة إبراهيم _ عليه السلام _، التي ذكرت عقب قصة مريم وابنها عيسى _عليهما السلام_، فقد سيقت لبيان تحقيقه _ عليه السلام _ لمقام العبودية لله سبحانه ودعوته لذلك، قال ابن عاشور رحمه الله: " سيقت تذكيراً للعرب بما كان إبراهيم _ عليه السلام _ عليه من توحيد لله عزوجل، وبيان أنهم سلكوا غير طريقه ، وفيها بيان صدق رسول الله ﷺ فيما أخبرهم به وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ على ما لقي من مشركي قومه لمشابهة حالهم بحال قوم إبراهيم". [3]

أما ما ذُكر من إشارات إلى النبيين: إسحاق ويعقوب ، وموسى وهارون، وإسماعيل ، وإدريس ، وآدم ونوح عليهم السلام، فهي إشارات ثناء الله عليهم ، وبيان الرحمة الربانية والنعم الجلية التي شملتهم جميعاً ، من بداية خلقه لآدم _ عليه السلام _ الذي هو أبو البشر أول الخلق وأعجبه، الذي خلقه من تراب بيده من غير أب ولا أم، وما في هذه الإشارة من إثبات القدرة المطلقة لله سبحانه وتعالى، قال الشرقاوي: " فعرضت السورة موكباً من مواكب الرسالات التي أرسلها الله سبحانه وتعالى من أجل إثبات وحدة الرسالة من لدن آدم ___ عليه السلام _، فجميع الرسل

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى {ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا}،حديث رقم3247، وهذا الحديث رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ.

[2] الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، ص 2275.

[3] عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج16، ص111.

جاؤوا لدعوة الناس إلى توحيد الله ، ونبذ الشرك والأوثان" ،[1] وبين أبو حيان رحمه الله أن جميع من تحدثت عنهم السورة من أنبياء كانوا من ذرية إبراهيم _ عليه السلام _، فإسحاق وإسماعيل ويعقوب من ذُرية إبراهيم _عليهم السلام _ ، وزكريا ويحيى وموسى وهارون وعيسى من ذرية إسرائيل عليهم السلام جميعاً، وإبراهيم _ عليه السلام _ من ذرية من حُمل مع نوح _ عليه السلام _، وجميعهم مع إدريس _ عليه السلام _ من ذُرية آدم _عليهم السلام جميعاً_.[2]

- يتضح مما ذُكر كمال اتصال وترابط القصص الذي ورد في السورة الكريمة، فالقصص الوارد إثر بعضه مشترك بحلقة متصلة فيما بينه، فقصة مريم وعيسى _عليهما السلام_ التي جاءت إثر قصة زكريا ويحيى _عليهما السلام_ متصلة بعنصر خرق العادة المتعلق بالإنجاب، وبلمسات الرحمة الربانية، أما ما ذُكر من إشارات إلى النبيين: إسحاق ويعقوب ، وموسى وهرون، وإسماعيل ، وإدريس ، وآدم ونوح _عليهم السلام _ فهي متصلة فيما بينها ببيان كونهم من ذرية واحدة، وبيان نعم الله سبحانه على أنبياءه ورحمته بهم، وكذلك بيان مطلق القدرة الله جل في عُلاه، والتأكيد على وحدة الرسالة فيما بينهم، ببيان كون عيسى _ عليه السلام _ رسولاً كبقية الرسل.

خامساً: سورة الزخرف:

بينت الدراسة أن وحدة سورة الزخرف قائمة على إثبات التوحيد ونفي الشرك، وعرض دلائل قدرته سبحانه وتعالى ووحدانيته ، وكذلك إثبات مصدر الوحي ، وبيان خصائص هذا القرآن المنزل

---

[1] الشرقاوي ،أحمد محمد، التفسير الموضوعي لسورة مريم، ص 3-4.

[2] يُنظر أبو حيان ، محمد بن يوسف ،البحر المحيط، ، ج6، ص189-190 .

على محمد ﷺ بما ينفي عنه الريب ويُثبت إعجازه ، وفي ثنايا ذلك قامت بتصحيح الانحرافات الاعتقادية المُتعلقة بهما وأقامت الحجة على قائليها.[1]

علاقة القصص الوارد في سورة الزخرف:

ذكرت السورة الكريمة حلقة من قصة إبراهيم الخليل _ عليه السلام_ وتحدثت بايجاز عن دعوته لأبيه وقومه، وتبرئه _ عليه السلام_ مما يعبدون من دون الله ، ثم ذكرت حلقة من قصة موسى _ عليه السلام _ مع فرعون، الذي اعتز بجاهه ومُلكه أي بمتاع الدنيا وتعالى على الحق ، وبينت مصيره، لتفنيد الشبهة التي أثارها الكفار حين كذبوا بالحق وقالوا إن الرسالة كان يجب أن لا تنــزل على رجل عديم المال والجاه ، ثم تحدثت عن حلقة من قصة عيسى _ عليه السلام _، لإبطال شبهة أخرى أثارها الكفار، وهي مجادلتهم النبي ﷺ في أمر عيسى _ عليه السلام _ ، فسيقت القصة لتقرير حقيقة كونه _ عليه السلام _ عبد من عباد الله سبحانه وتعالى ونبي من أنبيائه، فهذا القصص جاء لبيان وحدة الرسالة ومصدر الوحي ، فجميع الأنبياء دعوا أقوامهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده وتبرؤا من عبادة غيره، وسيق هذا القصص كذلك لبيان الموقف الموحد من قِبل أهل الضلال، وبيان كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وتفرده بالوحدانية وحق العبودية.

- يظهر مما تبين سابقاً تلاؤم القصص الوارد في السورة الكريمة واتحادها في بيان وحدة الرسالة ومصدر الوحي، وإثبات الوحدانية لله سبحانه.

---

[1] يُنظر صفحة 23-124.

سادساً : سورة الصف:

بينت الدراسة في أن وحدة سورة الصف قائمة على حث المؤمنين على الجهاد والتضحية في سبيل الله ، وترغيب فيه بعد أن بينت أسبابه ومبرراته لإعزاز هذا الدين وإعلاء كلمة الحق، وذلك بعد بيان أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى وأنه خاتم الرسالات.[1]

علاقة القصص الوارد في سورة الصف:

تناولت السورة الكريمة حلقة من قصة موسى _ عليه السلام_ و حلقة من قصة عيسى _ عليه السلام_ تحدثتا عن موضوع واحد هو بيان موقف اليهود من دعوتهما _عليهما السلام_، وذلك أن رسالة عيسى _ عليه السلام _ متممة لوسالة موسى _ عليه السلام _، وكذلك لبيان أن مصدر الرسلات واحد، وأن كل نبي بشر قومه بنبينا محمد ﷺ، وإنما إفرد تعالى ذكر عيسى _ عليه السلام _ بالبشارة في هذا الموضع ، لأنه آخر أنبياء بني إسرائيل ، وآخر نبي قبل نبينا ﷺ.[2]

- يتضح العلاقة الحميمة بين الحلقتين المذكورتين من قصة موسى وعيسى _عليهما السلام_، فرسالة عيسى _ عليه السلام _ متممة لرسالة موسى _ عليه السلام _، وموقف اليهود من رسالتهما واحد وهو الإعراض .

❖ خلصت الدراسة في هذا المبحث إلى أن القصص الوارد في أي سورة متعانق فيما بينه أشد التعانق، متآلف فيما بينه، منتظم في وحدة محكمة لا انفصام لها، فهو إحدى الوسائل التي سيقت لإبراز وحدة السورة الكريمة.

---

[1] يُنظر صفحة 129–130.

[2] يُنظر عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 28 ،ص179 ، ويُنظر التفسير الموضوعي ج 8، ص135 .

الفصل الثاني: العلاقة بين الوحدة الموضوعية في السور التي ورد فيها ذكر مريم

وعيسى عليهما السلام وطريقة عرض هذه القصة.

ويتضمن:

المبحث الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض ولادة مريم وعيسى عليهما السلام

وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

ويتضمن:

المطلب الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض ولادة ونشأة مريم عليها السلام

وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المطلب الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض ولادة عيسى عليهما السلام

وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها .

المبحث الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض نبوته عليه السلام ومعجزاته

وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها. ويتضمن:

المطلب الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض نبوته عليه السلام، وعلاقة

ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المطلب الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض معجزاته عليه السلام،وعلاقة

ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المطلب الثالث: طريقة القرآن الكريم في عرض عبوديته عليه السلام لله سبحانه ودعوته إلى التوحيد وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المبحث الثالث: طريقة القرآن الكريم في عرض عبوديته عليه السلام لله سبحانه ودعوته إلى التوحيد ونفي دعوى التثليث وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها. ويتضمن:

المطلب الأول : طريقة القرآن الكريم في عرض نفي دعوى التثليث وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المطلب الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض نفي قتل عيسى عليه السَّلام وصلبه وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المبحث الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض ولادة مريم وعيسى عليهما السلام وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

سلك القرآن الكريم أسلوباً خاصاً في عرضه للقصص القرآني، فلم يتخذ أسلوباً واحداً مُضطرداً، بل نوَع في أساليب العرض، قال الفراهي _رحمه الله_: " اعلم أن القرآن يأتى بجملة من المعانى على نظام مختلف ، فيأتى بأمر واحد على أطوار ، حتى أن العبارة تتبدل والمعنى واحد، كما أن أمير الجيش يرتب رجاله على تآليف شتى ، ولا يتبين حسن نظامه إلا لمن مهر فى فنه وأما من هو دونه، فبما يعقبه من الأثر من النصر والغلبة، فالغرض من اختلاف الأسلوب ليس إلا زيادة فائدة غير ما كان، لأجل ما ينبني من الكلام الحسن والصيانة عن التكرار،فإن الشيء الواحد إذا ترآى لك مراراً بأطوار كثيرة، لا بُد أن تفهمه تماماً، فإن فاتك منه لمحة، ستأخذ بك أخرى"،[1] وقال د.إبراهيم عوضين: "إن البيان القرآني يحدد الغرض من القصة ويسلك له الطريق الذي يُوصل إليه متوسلاً في طريقه إلى غرضه بالوسائل البيانية المناسِبة أتم المناسَبة، ومن ثَم تنوعت الطرائق تبعاً لتنوع الأغراض ، واختلفت الوسائل البيانية تبعاً لتنوع الطرائق" [2]، وقد امتاز القرآن المجيد بنظم فريد ، وتصريف عجيب ، وثراء في الأساليب ، فهو ينتقل من موضوع إلى موضوع ومن حكمة إلى حكمة ومن قصة إلى قصة ومن مثل إلى مثل ، دون أن يؤدي ذلك إلى اضطراب أو خلل ، أو فتور أو ملل ، أو تناقض أو اختلاف ، بل تناسق وائتلاف ، مع مراعاة لطبيعة النفوس و تبصرة وتذكرة لأولي الألباب ، قال المطعني: "امتاز أسلوبه بخصائص فريدة متعددة كجريانه على نسق واحد بديع خارج عن المألوف وهو كذلك على مستوى رفيع واحد على الرغم من تنوع المعاني والموضوعات

---

[1] الفراهي، عبد الحميد الهندي، دلائل النظام، ص52.

[2] عوضين، د.إبراهيم، البيان القصصي في القرآن الكريم، مطبعة السعادة ، ط 1، القاهرة، 1985، ص116.

مع تحري الدقة التامة في انتقاء الألفاظ ووضعها في موضعها المناسب الذي يؤدي إلى دلالاته في أعلى درجات البلاغة فهو إيجاز في اللفظ مع وفاء في المعنى كل ذلك مع دقة في النظم وجودة في السبك وإحكام في السرد ناهيك عن سلطانه العجيب على القلوب وإمتاعه للنفوس بتأثيره الوجداني وإقناعه للعقول بالحجة الدامغة وصلاحية صياغته لمخاطبة الناس عامة على اختلاف ثقافاتهم وعصورهم".[1]، فالأسلوب القرآني " يحمل طابعاً لا يلتبس معه بغيره ولا يجعل طامعاً يطمع أن يحوم حول حماه، بل يدع الأعناق تشرئب إليه ثم يردها ناكسة الأذقان على الصدور" [2]، والقرآن الكريم كما يقول د. عبد الله النقراط: " يُصرف الأساليب التي تعارف عليها البلاغيون تصريفاً بديعاً ويتفنن في ذلك تفنناً دقيقاً"[3] وبين السبب من تصرف أساليب القصص القرآني تصرفاً كثيراً بقوله: "وذلك لتؤدي أغراضها المعنوية المختلفة حسب موقعها من الآية الواردة فيها والتي هي جميعاً في أعلى درجات البلاغة والفصاحة" ،[4]ولذا نرى تنويعاً في طريقة عرضه للقصص بين سرد وحوار ، وإيجاز وإطناب، وتشويق ومفاجأة، وتمهيد وتوجيه، فهو يُغاير في الاعتماد على أسلوبي السرد الذي يصف الأحداث والمشاعر والانفعالات والأزمنة والأماكن، والحوار الذي بعث الحياة والحركة في الحدث ويؤدي إلى الهدف ويُظهر المغزى ويكشف الصراع في المواقف المُتغايرة، كما أنه يُترجم انفعالات الشخصية وأزمتها، ويزج بالقارئ في تجربة القصة ليعيشها وينقله من عالمه إلى عالمها،

---

[1] المطعني،عبد العظيم إبراهيم ،خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط1، 1992، ج1، ص245.

[2] دراز ،محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ص 125.

[3] النقراط، د. عبدالله محمد، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، دار قتيبة، ط 1، 2002، ج2، ص929.

[4] المرجع السابق، ج2، ص931.

فأحياناً[1] يعتمد على أحدهما دون الآخر، وأحيانا يعتمد على كليهما، فلكل منهما دوره البارز في إحياء المشاهد وفي تمكينها من التأثير البليغ في نفوس المتلقين، وتحويل المتلقي إلى مشاهد يُعاين الوقائع بنفسه، ينفعل بها، ويتفاعل معها كأنه واحد من شخصيات المشهد، كما أنه يُغاير في الاعتماد على أسلوبي التفصيل و الإجمال الَذين هما لونان من التصريف البياني الذي امتاز بهما القرآن الكريم ، وكلاهما متعلق بالغرض الذي سيقت من أجله القصة كما تتعلق بمقاصد السورة التي وردت فيها، قال الرماني_ رحمه الله_: "الإيجاز بلاغة والتقصير عي ، كما أن الاطناب بلاغة و التطويل عي، و الإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه، وليس كذلك في التقصير لأنه لا بد فيه من الاخلال، وأما الاطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل ، فإن لكل واحد من الإيجاز و التفصيل موضعاً يكون به أولى من الآخر لأن الحاجة إليه أشد والاهتمام به أعظم"[2]، كما تنوعت أساليب القرآن الكريم في طريقة استخدام عنصر المفاجأة الذي هو أحد الأدوات المُهمة في استثارة القارئ أو المستمع ، وله دور كبير في تصوير الأثر النفسي للشخصية المتحدث عنها ،[3] وكذلك في استخدام التمهيد والتوجيه الذي يسبق القصة، والذي بدوره يهيّئ نفس المتلقي، و في استخدام التعقيب الذي يُبين جوانب العِبرة من القصة والمغزى منها ، فالقصة الواحدة تُعرض بأساليب مختلفة لتتلائم مع أفهام الناس، قال الجاحظ: " ورأينا أن الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب

---

[1] يُنظرالتهامي، نقرة، سيكلوحية القصة في القرآن، ص 413–414.

[2] الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، رسالة النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، ط4، 1991، ص78–79.

[3] ذكرها سيد قطب رحمه الله في كتابه التصوير الفني، وتم الإشارة إليها في ص 20–21 من هذه الرسالة.

بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام" [1]، وفي هذا السياق يقول الرافعي: " وبعد فأنت ترى أن أفصح الكلام، وأبلغه وأسراه وأجمعه لحر اللفظ ونادر المعنى، وأخلقه أن يكون منه الأسلوب الذي يحسم مادة الطبع في معارضته، هو ذلك الذي تريده كلاماً، فتراه نفساً حيّة كأنها تلقي عليك ما تقرؤه ممزوجاً بنبرات مختلفة، وأصوات تُدخل على نفسك –إن كنت بصيراً بالصناعة متقدماً فيها– كل مدخل، ولا تدع فيها إحساساً إلا أثارته ولا إعجاباً إلا استخرجته، فلا يعدو الكلام أن يكون وجهاً من الخطاب بين نفسك ونفس كاتبه، وتقرؤه وكأنك تسمعه، ثم لا يلج إلى فؤادك، حتى تصير أنت المتكلم به، وكأنه معنى في نفسك ما يبرح مختلجاً، ولا ينفك ماثلاً من قديم، مع أنك لم تعرفه إلا ساعتك" 2.

المطلب الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض ولادة ونشأة مريم **عليها السلام وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية سور التي وردت فيها.**

وردت ولادتها _عليها السلام_ في سورة آل عمران التي تدور وحدتها حول إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، وهي السورة الوحيدة التي ذُكر فيها هذا المشهد، وقد فصلت السورة الكريمة في عرض هذا المشهد وذلك تمهيداً لبيان بشرية عيسى _ عليه السلام _ ونسبه، وقد سبق هذا المشهد تمهيد بين اصطفاء الله سبحانه لآل عمران على العالمين ، ويبدأ المشهد بحوار دار بين أمها امرأة عمران وبين ربها سبحانه وتعالى حيث قالت: { رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا

---

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(255)، الحيوان، مكتبة محمد حسين النوري، ط 1، 1968، سورية،ج1ص65 .

[2] الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب دار الكتاب العربي، بيروت، ط2 1974، ص204.

قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ } الآيات (35– 36) فهو حوار بدى كمناجاة قريبة ، قال صاحب الظلال _رحمه الله_ : "مناجاة مَن يشعر أنه منفرد بربه ، يحدثه بما في نفسه، وبما بين يديه ، ويقدم له ما يملك تقديماً مباشراً لطيفاً، مناجاة من يحس أنه يُحدِث قريباً ودوداً سميعاً مجيباً"،[1] ثم يتحول المشهد إلى نص يُبين لمسات الرحمة الربانية التي تمثلت بحُسن القبول وحُسن الإنبات وحُسن انتقاء الكفيل، وذلك في قوله تعالى:{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا } آية (37) وينتقل المشهد إلى حوار بين مريم وبين زكريا _عليهما السلام_ الذي{ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ { هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ} آية (37) يصور الهبات الربانية، والمشاعر اليقينية فيما عند الله ، ثم يتنقل النص إلى حوار بينها _عليها السلام_ وبين الملائكة وذلك في قوله تعالى:{ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ } الآيات (42–43) الذي

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م1، ج1، ص392.

بين ما أُوتيت من كرامات لإعدادها لهذا الأمر الجلل وهو تلقي النفخة العلوية، وينتهي المشهد بتعقيب فيه دلالة على نبوة محمد ﷺ وإثبات للوحي، حيث أُخبر عن قصة مريم ولم يكن قرأ الكتب؛ وذلك في قوله تعالى:{ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } الآية (44) تخلله الحديث عن اختصام القوم في كفالة مريم التي آلت إلى زكريا _ عليه السلام_، ومن الملاحظ أن أسلوب القرآن الكريم في عرض هذه الحلقة من حياة مريم _عليها السلام_ بدأ عرضها بتمهيد تحدث عن اصطفاء الله سبحانه لآل عمران، وختمها بتعقيب قرر الحقائق الأساسية المستفادة من هذا القصص الذي تضمن ابتداء صدق الوحي الذي يوحى إلى محمد ﷺ ، كما تضمن القول الفصل في حقيقة عيسى _ عليه السلام _، كما أنه جمع بين أسلوبي السرد الذي وصف الأحداث وما صاحبها من لمسات الرحمة الربانية التي تمثلت بحُسن القبول وحُسن الإنبات وحُسن انتقاء الكفيل ، والحوار الذي بعث الحياة والحركة في الحدث بما عرضه من مشاعر وانفعالات، كما أنه لم يتطرق القرآن الكريم إلى نشأة مريم _عليها السلام_ وحياتها لكنه أشار إلى أنها تربت في بلدة ذات استقرار وأمن وماء معين وذلك في قوله تعالى:{ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ } سورة المؤمنون آية (50) وهذا من أسلوب القرآن الكريم في تخيُر وانتقاء ما له علاقة مباشرة بموضوع السورة العام وينتقي من المشاهد ما له علاقة بباقي القصص في السورة، فتطوى حلقات حياتها حتى تأتي حلقة ميلاد عيسى _ عليه السلام _.

المطلب الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض ولادة عيسى عليهما السلام وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها .

ورد هذا المشهد في سورة آل عمران كبشارة على لسان الملائكة الكرام في مشهد حواري بينها وبين مريم _عليها السلام_ صور الانفعالات النفسية والمشاعر الداخلية وذلك في قوله تعالى:{ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ }، الآيات (45–46) وقد ورد مشهد ولادته _ عليه السلام _ في هذه السورة الكريمة قصيراً مقتضباً لأن وحدة السورة قائمة على تقرير حقيقته _ عليه السلام _ في كونه عبداً لله سبحانه وتعالى ورسولاً إلى بني إسرائيل ، لإقامة الحجة على النصارى ودحض شبهاتهم، فبدأت البشرى ببيان اسمه ونسبه وصفته ومكانه من ربه وصلاحه لتهوين تلقي هذه البشارة عليها، وعندما تلقت مريم الطاهرة المصطفاه هذه البشرى أسرعت لمنجاة ربها القريب منها العالم بحالها، فقالت: { رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ } آية (47)، فجاءها الجواب الذي يهون عليها هول أمرها، ويطمئن بالها، ويُطفئ نار خوفها وقلقها وتعجبها برد الأمر إلى صاحب الأمر القادر على كل شيء، فقال: { كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ } آية (47)، أما في سورة مريم التي قررت التوحيد لله عز وجل وتنزيهه سبحانه عما لا يليق به ونفي الولد والشريك، وبينت مطلق القدرة لله سبحانه وتعالى بينت شمول لمسات الرحمة لله سبحانه وتعالى، الربانية والتي تجلَت في كل آية من آياتها، فهي تبدأ بالرحمة، وتنتهي بالرحمة، فالمشهد

عُرض فيها مفصلاً فبدأ بتقديم عبودية مريم _عليها السلام_ لله تعالى وحرصها على الخلوة في عبادتها وتواريها من أهلها واحتجابها عن أنظارهم لأجل ذلك ، وذلك في قوله تعالى:{ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ }،الآيات (16–17) يليه مشهد حواري بين مريم _عليها السلام_ وروح الله جبريل _ عليه السلام _ صور الانفعالات والمشاعر وخلجات النفس القوية ، التي تمثلت بتصوير مشاعر الخوف التي اعتلت هذه الطاهرة حين اقتحم رجل غريب عليها خلوتها، فتنتفض لهول المفاجأة، وتستعيذ وتلتجأ بربها ناصرها ومعينها ومؤيدها فتقول {إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ }آية 18، كما تستثير في نفسه وازع التقوى الذي يقي المؤمن من كل معصية فقَالَتْ {إِن كُنتَ تَقِيًّا } آية 18، فأسرع _ عليه السلام _ في بث روح الطمأنينة إلى نفسها المؤمنة فقَالَ { إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا } آية 19، وهذه بشارة عظيمة بالولد وزكائه فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة واتصافه بالخصال الحميدة فتعجبت من وجود الولد من غير أب، ونفت عن نفسها الوقوع في الفاحشة فقَالَتْ: { أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٌ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا } آية 20، فجاءها الجواب الشافي المُزيل لتعجبها بردِ ذلك الأمر إلى الله القادر على كل شيء فقَالَ _ عليه السلام _:{ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ

وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا} الآية (21) ، قال الكرماني _رحمه الله_: " وقد ذُكر استنكارها هذا أيضاً في آل عمران بلفظ الولد فقالت{ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ } آية47 ، لأن في سورة آل عمران تقدم ذكر المسيح وهو ولدها في آية{ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ } آل عمران آية 45 أما هنا فقد تقدم ذكر الغلام حيث قَالَ {إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا } مريم آية 19" [1]، وبذلك ينتهى الحوار بين الروح الأمين ومريم العذراء ، ولا يذكر السياق ماذا كان بعد الحوار، فهنا فجوة من فجوات العرض الفني للقصة، ثم ينتقل النص إلى عرض فترة الحمل بعيسى _ عليه السلام _ وما قاسته أمه من آلام المخاض الذي ألجأها إلى جذع النخلة وذلك في قوله تعالى:{ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ } ، الآيات (22–23) ويعود النص إلى الحوار بينها وبين وليدها المعجزة الذي يبدأ بقولها _عليها السلام_: {يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا} آية23، وقولها هذا ناتج عما اختلج في نفسها من مشاعر الخوف والوحدة ومقالة الناس عنها ، وما صاحب ذلك من ألم الولادة، ففوجئت بنداء وليدها الذي خفف عنها تلك الأوجاع، وأزال

---

[1] الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر(505)، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام ط2، ،1976، ص47.

عنها تلك الهموم، وبين لها ما هيئ لها ربها من طعام وشراب وقرة عين، وكفاها مجادلة قومها وذلك في قوله تعالى: {فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ رِيًّا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ } الآيات (23–26)، ثم ينتقل النص إلى إخبار مجمل وذلك في قوله تعالى:{ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥ } آية 27، ويعود سريعاً إلى الحوار على لسان قومها ، حيث قَالُوا عندما رأوها تحمله: { يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ } الآيات (27–28)، ثم ينتقل النص إلى إخبار مجمل بين التزامها بما أُمرت به من الكف عن مجادلتهم وذلك في قوله تعالى:{ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِ } آية 29 ، ويعود سريعاً إلى الحوار الذي دار بين قومها ووليدها الذي تكلم في المهد حيث قَالُوا متعجبين مستنكرين: { كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا } الآية 29، فجاء الرد الحاسم القاطع لكل شبهه بقوله _ عليه السلام _: { إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا } الآيات (30–33)، ولنا هنا أن نتصور درجة الذهول

التي بلغها هؤلاء القوم حين أُفحموا بالقول الحاسم و الحجة التي أخرست كل منطق، و كأننا نلمح وجوههم حين تلقوا البرهان، صبي ينطق بالحكمة و يبرئ أمه حينها فقط يسدل الستار و تنحني الرؤوس إجلالا أمام هذه القصة العظيمة التي كانت العبارة القرآنية فيها بمثابة عدسة تصوير رصدت كل خالجة، و كل انفعال اعترى أشخاص القصة لتنقله لنا و تجعلنا نقف موقفهم و ننفعل انفعالهم،[1] وقد ورد السلام على لسانه _ عليه السلام_ معرفاً وذلك في قوله:{ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّا} آية 33، أما ما ورد عن يحيى _ عليه السلام_ فكان نكرة وذلك في قوله تعالى:{وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} آية 15، وذلك أن السلام الذي على يحيى _ عليه السلام _ إخبار من الله تعالى ببركته وسلامه عليه، أما السلام الذي على عيسى _ عليه السلام _ إخبار من عيسى _ عليه السلام _ عن نفسه فناسب عدم التزكية لنفسه بنفي المعصية أدباً مع الله ، وقوله السلام معرفاً أي السلام المتقدم على يحيى علي أيضاً،[2] ثم يأتي التعقيب بعد هذا المشهد العجيب بالقول الفصل العدل وذلك في قوله تعالى:{ ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} آية (34)، وببيان البرهان على بطلان ما ادعاه وافتراه قومه وذلك في قوله تعالى:{ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} آية (35)، فطوى السياق القرآني موقف قومها من هذه الآية القاطعة والحجة الساطعة ، وأشارت الآية الكريمة إلى اختلاف اليهود والنصارى ، وذلك في قوله تعالى: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} آية (37)، وقد ورد في الزخرف (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ

---

[1] يُنظر نصيرة، بلحسني، الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف _ عليه السلام__ نموذجاً دراسة جمالية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، رسالة ماجستير، 2006، ص 116-119.

[2] ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص128.

ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) (الزخرف : 65) قال الكرماني: لأن الكفر أبلغ من الظلم وقصة عيسى _ عليه السلام _ في سورة مريم مشروحة وفيها ذكر نسبتهم إياه إلى الله تعالى حين قال (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (مريم : 35) فذكر بلفظ الكفر وقصته في الزخرف مجملة فوصفهم بلفظ دونه وهو الظلم لاختلافهم، [1]قال سيد قطب _رحمه الله_: " فهذه وظيفة القصص القرآني وطبيعته التي تحكم أسلوبه وطريقة عرضه في شتى السور على نهج خاص، فقد عرضت قصة عيسى في سورة مريم ، وعرضت هنا. وبمراجعة النصوص هنا وهناك تبدو زيادة بعض الحلقات هنا ، مع اختصار في بعض الحلقات .. فقد كان هناك تفصيل مطول في سورة مريم لحلقة مولد عيسى. ولم تكن هناك حلقة مولد مريم. وهنا تفصيل في رسالة عيسى والحواريين واختصار في قصة مولده كما أن التعقيب هنا أطول لأنه جاء بصدد مناظرات حول قضية أشمل ، وهي قضية التوحيد والدين والوحي والرسالة ، مما لم يكن موجوداً في سورة مريم .. مما يكشف عن طبيعة الأسلوب القرآني في عرض القصص ، مساوقاً لجو السورة التي يعرض فيها.[2]

والملاحظ أن أسلوب القرآن الكريم قد اعتمد_غالباً_ في عرض هذه الحلقة من قصته _عليه السلام_ على الحوار الذي بعث الحياة والحركة في الحدث وكشف الصراع في المواقف المُتغايرة، وعرض المشاعر والانفعالات ، كما أنه سبق عرضها بتمهيد تحدث عن الاصطفاء كما في سورة آل عمران، أوتحدث عن عبودية مريم _عليها السلام_ كما في سورة مريم، وعقبها بيان القول الفصل في حقيقته عليه السلام، وتم عرض هذه الحلقة تفصيلاً أو إجمالاً بناء على جو السورة ووحدتها القائمة عليها.

---

[1] الكرماني، محمود بن حمزرة بن نصر، أسرار التكرار في القرآن، ص 127.

[2] قطب، سيد، في ظلال القرآن، م4،ج13، ص2551.

المبحث الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض نبوته عليه السلام ومعجزاته وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المطلب الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض نبوته عليه السلام، وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

وردت الحلقة المتعلقة ببيان نبوته _ عليه السلام _ في سورة آل عمران التي قررت حقيقته _ عليه السلام _ في كونه عبداً لله سبحانه وتعالى ورسولاً إلى بني إسرائيل ، لإقامة الحجة على النصارى ودحض شبهاتهم، في سياق الحديث عن المعجزات التي أيده الله تعالى بها وذلك في قوله تعالى:{ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ }الآيات (49-50) ، وكذلك في سورة المائدة التي حثت المؤمنين على التزام المواثيق والعهود وحذرتهم عاقبة إهمالها ، ونعت على أهل الكتاب نقضهم مواثيقهم مع الله سبحانه، وقد وردت هذه الحلقة في سياق بيان تصديق رسالته لرسالة موسى _ عليهما السلام _ وذلك في قوله تعالى:{ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ

ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ } آية (46)، وكذلك ورد التأكيد على نبوته وكونه رسولاً كباقي الرسل بإيراد دليل على بشرته هو وأمه _عليهما السلام_ بكونهما يأكلان الطعام وذلك في قوله تعالى:{ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ } آية (75)، وأعقب ذلك بقوله تعالى:{ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ }

آية (76) زيادة في البيان ولإقامة الحجة عليهم ببطلان ما افتراه قومه عليه حيث عبدوه من دون الله، و في سورة الصف التي بينت أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى وأنه خاتم الرسالات ، ودعت المؤمنين إلى وحدة الصف ، وإلى الجهاد والتضحية في سبيل الله، وحذرت المؤمنين من أن يكون موقفهم تجاه دعوة النبي محمد ﷺ كموقف أهل الكتاب من دعوتي موسى وعيسى _عليهما السلام_، عُرضت نبوته _ عليه السلام _ في حوار بينه وبين بني إسرائل في سياق بيان تصديق رسالته لرسالة موسى _ عليهما السلام _ والتبشير برسالة محمد ﷺ وذلك في قوله تعالى:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ

هَـٰذَا سِحۡرٌ مُّبِينٌ} آية (6)، وأعقب ذلك بقوله تعالى:{ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَـٰمِ‌ۚ وَٱللَّهُ لَا يَہۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ} آية (7) لبيان عظيم جرمهم الذي اقترفوه في حق أنبيائهم هم ومن كان على شاكلتهم، والملاحظ أن أسلوب القرآن الكريم قد غاير في عرض هذه الحلقة من قصته _عليه السلام_ بين أسلوبي السرد الذي جاء في سياق التقرير والتأكيد على نبوته _عليه السلام_، والحوار الذي دار بينه وبين قومه الذي وصف المشاعر والانفعالات التي تمثلت باستنكاره _عليه السلام_ موقف قومه من دعوته وتكذيبهم له، وقد أُعقبت هذه الحلقة بدعوتهم إلى تقوى الله سبحانه وطاعة نبيهم ، وبيان عظيم جرمهم الذي اقترفوه في حق أنبيائهم.

المطلب الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض معجزاته عليه السلام، وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

وردت هذه الحلقة في سورة آل عمران التي قررت حقيقته _ عليه السلام _ في كونه عبداً لله سبحانه وتعالى ورسولاً إلى بني إسرائيل مؤيد بالمعجزات، لإقامة الحجة على النصارى ودحض شبهاتهم، كمشهد حواري بين عيسى _ عليه السلام _ وبين قومه مُقراً لهم أن كل معجزة إنما هي من عند الله وبإذنه وذلك في قوله تعالى:{ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسۡرَٲٓءِيلَ أَنِّى قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ‌ۖ أَنِّىٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ‌ۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَڪۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ‌ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمۡ‌ۚ إِنَّ فِى ذَٲلِكَ لَأَيَةً لَّكُمۡ إِن كُنتُم

مُّؤۡمِنِينَ } آية 49، وفي سورة المائدة التي حثت المؤمنين على التزام المواثيق والعهود

وتحذيرهم عاقبة إهمالها ، وتحدثت عن انحرافات أهل الكتاب العقدية والسلوكية، جاء الحديث عن معجزاته عليه السلام، كمشهد حواري بين الله تعالى وبينه _ عليه السلام _ سبقه الحديث عن سؤال الله سبحانه أنبيائه عن إجابة أقوامهم لرسالتهم التي بُعثوا بها وذلك بقصد توبيخ أقوامهم ، قال الشوكاني _ رحمه الله_: "وخُص عيسى _ عليه السلام _ من بين الرسل وهو تخصيص بعد التعميم لاختلاف طائفتي اليهود والنصارى فيه إفراطاً وتفريطاً ، هذه تجعله إلهاً، وهذه تجعله كاذباً " ،[1] وذلك في سياق تذكير الله سبحانه له بنعمته عليه وعلى أمه _عليهما السلام _، فهي امتنان من الله عليه ببيان ما خصهما به من الكرامة، وميزهما به من علو المنزلة مع كونهما ذاكرين لها عالمين بتفضل الله سبحانه بها ، أو لتأكيد الحجة ، وتبكيت الجاحد ، بأن منزلتهما عند الله هذه المنزلة ، وتوبيخ من اتخذهما إلهين ، ببيان أن ذلك الإنعام عليهما كله من عند الله سبحانه ، وأنهما عبدان من جملة عباده منعم عليهما بنعم الله سبحانه ، وذلك في قوله تعالى:{ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا

[1] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير، ج3، ص245.

سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ } الآيات (110-111)، وقد ورد في آية آل عمران { فَأَنفُخُ فِيهِ } وهنا في المائدة { فَتَنفُخُ فِيهَا } قال ابن جماعة _رحمه الله_ : "ذكَرها في آل عمران وأنثها في المائدة لأن آية آل عمران من كلام المسيح _ عليه السلام _ في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة ولم تكن صورة فحسُن التذكير والإفراد، وآية المائدة من كلام الله له يوم القيامة مُعدداً نعمه عليه بعدما مضت، وكان قد اتفق منه مرات، فحسُن التأنيث لجماعة ما صوره من ذلك ونفخ فيه"،[1] وقال السامرائي: " هو خلق لهم بمعنى التكوين أو الصنع من مواد أولية كان الله سبحانه وتعالى قد جعلها بين أيدينا، والإيجاد على غير مثال سابق هذا لله سبحانه وتعالى من لا شيء، هو صنع هيئة طير من طين، فإذا أريد الإشارة إلى الهيئة قال فأنفخ فيها يعني في هذه الهيئة أي في هذه الصورة. وإذا أراد أن يشير إلى الطين قال فأنفخ فيه ،[2] وقد ورد هنا في المائدة {بِإِذۡنِي } أربعَ مراتٍ عَقِب أربع جمل، وفي آل عمران{ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ } مرتين ؛ لأنَّ هناك موضعَ إخبارٍ فناسَبَ الإيجازَ، وهنا مقامُ تذكيرٍ بالنعمةِ والامتنانِ فناسَب الإسهابَ [3] ، وتبع هذا المشهد الحواري مشهد حواري آخر فيه بيان نعمة أخرى من نعم الله تعالى التي أعطاها لنبيه الكريم، دار بين عيسى _ عليه السلام _ وبين قومه الذين سألوه أن يُنزل الله عليهم مائدة من

---

[1] ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص128.

[2] السامرائي فاضل صالح ، اللمسات البيانية في سور القرآن الكريم، ص65.

[3] يُنظر السمين، أبو العباس أحمد بن يوسف الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج 6، ص 89-90.

السماء، فقالوا:{ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ } فقال لهم _ عليه السلام _{ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ } آية (112)، استعظاماً منه طلبهم للآيات الدالة على صدقه، فأجابوا بقولهم:{ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ} آية (113)، فانتقل المشهد إلى حوار بينه _ عليه السلام _ وبين الله سبحانه حيث قال _ عليه السلام _:{ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ } آية (114)، فجاء الرد منه سبحانه باستجابة طلب نبيه الكريم، وبالوعيد الشديد لمن كفر بعد ذلك فقال سبحانه: { قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ } آية (115)، فهذه الحلقة من قصته عُرضت كمشاهد حوارية بينه _ عليه السلام _ وبين قومه، صورت إقراره _ عليه السلام _ بكون هذه النعم من عند الله سبحانه ، وبينه وبين ربه سبحانه في سياق امتنانه عليه.

المطلب الثالث: طريقة القرآن الكريم في عرض عبوديته عليه السلام لله سبحانه ودعوته إلى التوحيد وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

وردت هذه اللقطة في سورة آل عمران التي قررت حقيقته _ عليه السلام _ في كونه عبداً لله سبحانه وتعالى ورسولاً إلى بني إسرائيل ، لإقامة الحجة على النصارى ودحض شبهاتهم، في حوار له _ عليه السلام _ مع قومه عقب بيان ما أمده الله تعالى من معجزات دالة على صدق

نبوته _ عليه السلام _، وذلك في قوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ } آية (51)، قال السعدي _رحمه الله_ : " استدل بتوحيد الربوبية الذي يقر به كل أحد على توحيد الإلهية الذي ينكره المشركون، فكما أن الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا نعما ظاهرة وباطنة، فليكن هو معبودنا الذي نألهه بالحب والخوف والرجاء والدعاء والاستعانة وجميع أنواع العبادة، وفي هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره _ عليه السلام _ بأنه عبد مدبر مخلوق" [1]، وكذلك في سورة المائدة التي حثت المؤمنين على التزام المواثيق والعهود وتحذيرهم عاقبة إهمالها ، وتحدثت عن انحرافات أهل الكتاب العقدية والسلوكية، صورت آياتها حواراً رقراقاً بينه _ عليه السلام _ وبين ربه الحليم المنان، والذي مثّل ختام قصته _ عليه السلام _ في الآخرة، فها هو ذا في اللحظة الأخيرة أمام خالقه يعترف بعبوديته، وذلك حين سأله ربه تبارك وتعالى فقال سبحانه: { يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ } آية(116)، فنفى عن نفسه ما افتراه قومه عليه بأليق أدب، وتبرأ من الذين اتخذوه وأمَّه إلهين من دون الله على رؤوس الأشهاد حيث قال:{ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص131.

تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إن } الآيات (116-117) كما فوض الأمر لصاحب الأمر فقال:{ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ } آية (118) فجاء التعقيب الفصل من العدل سبحانه وتعالى ببيان حال عباده يوم القيامة، ومَن الفائز منهم ومَن الهالك، ومَن الشقي ومَن السعيد فقال:{.. هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾} آية (119) ، وكذلك في سورة مريم التي قررت التوحيد لله عز وجل وتنزيهه سبحانه عما لا يليق به ونفي الولد والشريك، وبينت مطلق القدرة لله سبحانه وتعالى بينت شمول لمسات الرحمة لله سبحانه وتعالى، الربانية والتي تجلَت في كل آية من آياتها استهل الحوار الذي دار بينه _ عليه السلام _ وبين قومه الذين استنكروا كلامه في المهد فأقر عبوديته لله سبحانه فقَالَ:{ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا } آية (30) وكذلك في ختام حواره _ عليه السلام _ معهم أكد هذه الحقيقة فقال :{وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ } آية 36 ، وتم التعقيب على هذا المشهد الحواري ببيان اختلاف قومه في شأنه _ عليه السلام _ ، وب وعيد شديد لمن كفر به _ عليه السلام _ وبجميع الرسل يوم الجزاء والحساب والوعد والوعيد، وكذلك في سورة الزخرف التي أثبتت التوحيد ونفت الشرك، وعرضت دلائل قدرته سبحانه وتعالى ووحدانيته ، عُرِضت هذه الحلقة في ختام حواره _ عليه السلام _ مع قومه بعد أن بين

لهم أنه جاءهم بالحكمة، وليُبين لهم بعض الذي يختلفون فيه قال :{ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ } آية 64 وتبع هذا المشهد الحواري تعقيب طويل بين فيه تعالى حال الذين اختلفوا من بعده _ عليه السلام _ ببيان حال من آمن برسله وما أصابهم من نعيم مقيم جزاء إيمانهم وتصديق رسلهم، وكذلك حال المجرمين الذين ظلموا أنفسهم بإيرادها في العذاب السقيم جزاء كفرهم وعنادهم وافترائهم على الله سبحانه ، وأُعقبت الآيات بخطاب الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ بأن قل يا محمد إن ثبت لله ولد ، فأنا أول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون ثبوته ، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد ، وفيه نفي للولد على أبلغ وجه ، وأتمّ عبارة ، وأحسن أسلوب ، وهذا هو الظاهر من النظم القرآني ، وكذلك بتنزيهه سبحانه، وتقديسه عما يقولون من الكذب بأن له ولداً ، ويفترون عليه سبحانه ما لا يليق بجنابه، ببيان بطلان ما افتروه عليه سبحانه، فهو إله واحد في السماء والأرض، وله ملك السماوات والأرض، وعند وحده علم الساعة وإليه وحده المرجع والمآل، وذلك في قوله تعالى:{قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ } الآيات (81–86) ، قال

الخطيب الاسكافي _رحمه الله_: " انفردت آية الزخرف بإضافة لفظ {هو} فيها لأن قوله عز وجل :{ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ } وفي سورة آل عمران آية 51 جاء حكاية عن عيسى _ عليه السلام _ بعد ما مضت آيات كثيرة في ذكره وابتداء أمره من مبتدأ الآيات التي نزلت في شأن مريم _عليها السلام_ من قوله تعالى { وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ } سورة آل عمران 42 آية إلى آخر هذه الآيات العشر ، فتناصرت هذه الآيات في الدلالة على أنه عبد لله سبحانه، ونبي من عنده مصحوب بمعجزات تدل على صدق نبوته، وتبين كذب من قال ببنوته، وكذلك في سورة مريم جاء قوله: { وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} سورة مريم آية 36 بعد ما مضت عشرون آية في حقها ابتداؤها { وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا } سورة مريم آية 16 ، فاكتفى بما طال من الكلام المؤكد لحاله عن التوكيد الذي جاء في سورة الزخرف لأن هذا الموضع خلا من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله سبحانه ربه، وأن عيسى _ عليه السلام _ عبده لا ابنه، فهو ابتداء كلام منه فحسن التأكيد بقوله (هو) ليصير المبتدأ مقصوراً على الخبر المذكور في الآية وهو إثبات الربوبية ونفي الأبوة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً".[1]

[1] الخطيب الاسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني(420)، درة التنزيل وغرة التأويل ،تحقيق محمد مصطفى آيدين،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة،2001، ص379-383، ويُنظر الكرماني،محمود بن حمزة بن نصر، أسرار التكرار في القرآن، ص 49-50.

فهذه الحلقة من قصته _عليه السلام_ عُرضت كمشاهد حوارية بينه وبين قومه صورت إقراره _ عليه السلام _ بعبوديته لله سبحانه وتعالى، وتبعها تعقيب قرر القول الفصل من العدل سبحانه وتعالى بين حال عباده يوم القيامة، من الفائز منهم ومَن الهالك، ومَن الشقي ومن السعيد.

وقد بين الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي في كتابه البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية أن هناك نصوصاً في الإناجيل فيها تصريح بعبودية عيسى عليه السلام منها :

ما ورد في الفصل التاسع عشر رقم 16 - و – 17 من إنجيل يوحنا : أن شاباً جاء إلى المسيح فقال له أيها الرجل الصالح، فقال له لم تسميني صالحا ؟ لا صالح إلا الله، قال رحمه الله: " وفي هذا اعتراف بالعبودية أيضاً" .

و في الفصل - 24 - رقم) - 36 - من إنجيل يوحنا : أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلهما أحد من الناس ولا ملائكة السماء، ولكن أبي وحده هو يعلمها قال رحمه الله: " فهذا دليل قاطع على أن تلك الساعة لا يعملها أحد إلا الله، ففيه دليل على أن علم المسيح قاصر كسائر البشر، والله وحده هو الذي أحاط بكل شيء علماً.

وفي الفصل – 17 - رقم :-3 - من إنجيل يوحنا : وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.

وفي الفصل - 20 - رقم - 16 - من إنجيل يوحنا : قال لها يسوع :يا مريم، فالتفتت تلك وقالت له :ربوني - ومعناه يا معلم- ، قال يسوع:لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت السيد وأنه قال لها ذلك.

قال رحمه الله: " فقد شهد المسيح أن الله إلهه وإلههم، ولا فرق بينه وبينهم في العبودية، فمن زعم أن المسيح إله فقد كذّب المسيح، وكذّب جميع الأنبياء والمرسلين[1].

المبحث الثالث: طريقة القرآن الكريم في عرض نفي دعوى التثليث ونفي قتل عيسى عليه السَّلام وصلبه وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردتا فيها.

المطلب الأول: طريقة القرآن الكريم في عرض نفي دعوى التثليث وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

نُفيت دعوى التثليث في سورة النساء التي بينت السبب الداعي لهذا الافتراء الضال في حقه تعالى، ولهذا الاتهام الباطل في حق عيسى _ عليه السلام _، وهو غلو المُدَعون في دينهم الذي أدى بهم إلى الافتراء الزائغ عن الحق، وذلك في خطاب موجه من الله تبارك وتعالى لأهل الكتاب مبينٍ حقيقته _ عليه السلام _، ناهٍ عن هذا الافتراء العظيم في حقه تعالى، مُنزهٍ لله سبحانه وتعالى عن ذلك، دالٍ على بطلانه بكونه تعالى له ما في السموات والأرض، وذلك في قوله تعالى:{ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ

---

[1] الهلالي، محمد تقي الدين، البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية، مطابع دار الثقافة، مكة – الزاهر، 1972، ص5–7.

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ } آية (171)، وتم التعقيب على ذلك

ببيان عبوديته _ عليه السلام _ لله سبحانه وعدم استنكافه عنها، وبيان مآل المؤمنين الطائعين له

سبحانه، ومصير المستنكفين المستكبرين الذين لا يجدون من دونه سبحانه ولياً ولا نصيراً وذلك في

قوله تعالى:{ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن

يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ

وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا } الآيات

(172–173)، كما نُفيت دعوى التثليث في سورة المائدة التي بينت الحكم الصريح القاطع في حق

هؤلاء الغالين في دينهم وهو الكفر، كما بينت البرهان الساطع الدال على بطلان افترائهم بأدلة

عقلية واضحة فقال تعالى: { قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ

ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ

يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ }آية 17، فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعهم

لو أراد الله أن يهلكهم، ولا قدرة لهم على ذلك – دل على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك،

ولا في قوته شيء من الفكاك، وبكونه تعالى له ما في السموات والأرض يتصرف فيهم بحكمه

الكوني والشرعي والجزائي، وهم مملوكون مدبرون ، وذلك في قوله تعالى:{ لَّقَدۡ كَفَرَ

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ } آية (17)، قال السعدي _ رحمه الله_: " وقد ورد هذا النفي في سياق ذِكر أخذ الله تعالى الميثاق على أهل الكتابين، وأنهم لم يقوموا به بل نقضوه، فذكر قول النصارى، القول الذي ما قاله أحد غيرهم، بأن الله هو المسيح ابن مريم، فدل على أن قولهم اتباع هوى من غير برهان ولا شبهة" [1] ، وقد تم النفي الصريح لهذه الدعوى الزائفة على لسانه _ عليه السلام _ الذي صرح بأنه الله تعالى ربه وربهم جميعاً، وبين عاقبة الشرك بالله تعالى وهو حرمان أهل الشرك من دخول الجنة، وأن مأواهم النار، ليس لهم من دون الله أولياء ولا أنصار، وذلك في قوله تعالى:{ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ} سورة المائدة آية (72)، كما توعدت الآيات القائلين بهذه الدعوى الباطلة بالوعيد الشديد والعذاب الأليم، وذلك في قوله تعالى: { لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ} سورة المائدة آية (73) وأعقبت ذلك ببيان حقيقته _ عليه السلام _ بكونه رسولاً كباقي الرسل وأنه بشر يأكل الطعام هو وأمه الصديقة، وذلك في قوله تعالى:{ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص262.

ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ } سورة المائدة آية (75)، وأوردت أدلة تدل على بطلان دعواهم، زيادة في البيان وإقامة حجة عليهم، وذلك في قوله تعالى:{ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ } سورة المائدة آية (76)، أي كيف تعبدون من لا يضر ولاينفع وتدعون السميع العليم مالك الضر والنفع؟ وأكدت على السبب الأصيل في هذه الدعوى وهو الغلو، وحذرت من اتباع أهواء اليهود الذين ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، وذلك في قوله تعالى:{ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ...} الآيات (77–78) وبينت السبب الداعي للعنهم على لسان رسلهم { ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ } الآيات (78–80) ، قال رسول الله ﷺ : (إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه فإذا كان الغد لم يمنعه ما

رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن فقال {لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ } فقرأ حتى بلغ {ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون} قال وكان نبي الله ﷺ متكئاً فجلس فقال لا حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه على الحق أطراً).[1] أي تردونه إلى الحق، وأقر _ عليه السلام _ صراحة أنه دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذه وأمه إلهين من دون الله، وبيان أنه عبد مربوب، فهو ربي كما هو ربكم، وذلك في قوله تعالى:{ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ } الآية (117).

وبينت الآيات في سورة التوبة _ التي حددت العلاقات النهائية بين المجتمع المسلم وغيره (المشركون وأهل الكتاب) المتمثل بأمر الله تعالى قتالَ أهل الكتاب المنحرفين عن دين اللّه حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وبيان السبب الباعث المبيح لقتالهم- أن قول اليهود والنصارى الذي افتروه على الله كذباً وبهتاناً بنسبة الولد له سبحانه وتعالى عن ذلك، وأنهم ما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو، وأعانهم على ذلك اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من

---

[1] الترمذي السلمي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المائدة، حديث رقم 3048، وهذا الحديث رواه أبو عبيدة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ.

دون الله، الذين أحلُّوا لهم ما حرم اللّه فجعلوه حلالاً، وحرموا لهم ما أحل اللّه فجعلوه حرماً، الذين أرادوا بذلك أن يُطفئوا نور الله سبحانه المرسل على أنبيائه ورسله، فقد زعم اليهود أن عزير ابن الله ، كما زعمت النصارى أن المسيح ابن الله ، فكانوا مثل المشركين الذين أشركوا فى عبادة المخلوقات، فاستحقوا العقاب على ذلك ، فقولهم هذا الذي قالوه في حق عيسى _ عليه السلام _: {وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ } سورة التوبة آية 30 قولٌ ساذجٌ لا حجة فيه ولا برهان، فهو مجرد قول لساني لا دليل عليه ولا بيان ، قال الإمام القرطبي _رحمه الله_: " قال أهل المعاني: إن الله سبحانه لم يذكر قولاً مقروناً بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولاً زوراً، كقوله: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} سورة آل عمران آية 167، و{كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً} سورة الكهف آية 5 ، و{يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} سورة الفتح آية 11،"[1] يشابهون به قول غيرهم من الكفار (كفار العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود الذين قالوا عُزَيرٌ ابنُ الله)، فاستحقوا بذلك عقاب الله تعالى بالإهلاك، قال تعالى:{ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ } فإن من قاتله الله هلك، كما ذكر سبحانه ضرباً آخر من شركهم بالله هو اتخاذهم الرهبان والمسيحَ أربابًا (سادةً لهم) من دون الله، يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلُّوه لهم مما قد حرَّمه الله عليهم، ويحرِّمون ما يحرِّمونه عليهم مما قد أحلَّه الله لهم، والرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة، وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم، وذلك في قوله تعالى:{وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ

[1] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج8 ، ص118.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ

أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ

إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ

وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾}(30–32)، كما كانوا يمنعونهم

من الدخول في دين الإسلام كل ذلك ابتغاء الأموال التي كانوا يأخذونها منهم بغير حق، قال تعالى:{

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ...} آية(34)

والملاحظ أن أسلوب القرآن في نفي هذه الدعوى الزائفة الباطلة جاء بنصوص قاطعة بَينت حقيقته _ عليه السلام _، ونهت عن هذا الافتراء العظيم في حقه سبحانه وتعالى، ودلت على بطلان افترائهم بأدلة عقلية واضحة، وحوت حُكماً صريحاً

المطلب الثاني: طريقة القرآن الكريم في عرض نفي قتل عيسى عليه السَّلام وصلبه وعلاقة ذلك بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

تُعد هذه الحلقة خاتمة قصة عيسى _ عليه السلام _ في الدنيا والتي تمثلت برفعه _ عليه السلام _ إلى السماء فهي محفوفةٌ بالإثارة والدهشة، كما كانت ولادتُه كذلك ، وقد عُرضت في سورة آل عمران في مشهد حواري بين الله سبحانه وتعالى وبينه _ عليه السلام _، بين فيها تعالى أنه متوفيه ورافعه إليه ومطهره من الذين كفروا به ومكروا لقتله، قال تعالى:{ .. يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ..} آية (55)، سبقه مشهد حواري بين عيسى _ عليه السلام _ وبين الحواريين عندما علم _ عليه السلام _ كفر بني إسرائيل، ومكرهم لقتله، فلستنصر عليهم، فنصره الحواريون الذين قالوا:{ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ } الآيات (52–53)، وتم التعقيب على هذا المشهد الذي بين نفي القتل والصلب له _ عليه السلام _ ببيان أن المرجع والمآل له سبحانه، وبيان مصير الكافرين والمؤمنين، وبيان القول الفصل في عيسى _ عليه السلام _، وذلك في قوله تعالى:{ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ } الآيات (55 –57)، قال صاحب الظلال _رحمه الله_: "وقد تضمن هذا التعقيب إثبات صدق الوحي الذي يوحى إلى محمد ﷺ وما في تعبير التلاوة من معاني التكريم والقرب والود، وذلك في قوله تعالى:{ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ } آية 58 ، ثم يحسم التعقيب حقيقة عيسى _ عليه السلام _ وذلك في قوله تعالى:{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ

ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ } الآيات (59-60)،"[1] ثم أكد على أن هذا القصص هو قصص حق وأنه تعالى لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وذلك في قوله تعالى:{ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ } آية (62) ، كما عُرضت هذه الخاتمة في سورة النساء في سياق تعداد قبائحهم، قال تعالى:{ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ } الآيات (157-158)، فبين تعالى أن اليقين هو عدم قتله _ عليه السلام _، بل رفعه إلى السماء، وأن هذا الافتراء في حقه _ عليه السلام _ ليس إلا شك ناتج عن تخبطهم وظنهم الذي لا دليل لهم عليه ، وأعقب ذلك تهديداً ووعيداً لهم بأن كل كتابي سيؤمن بعيسى _ عليه السلام _ قبل موته ، ولكنه إيمان لا ينفع، وفي هذا ادحاض لافترائهم المزعزم وذلك في قوله تعالى:{ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ } آية (159)،

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن،م1ج1،ص420.

والملاحظ أن أسلوب القرآن قد نفى هذا الافتراء المتعلق بقتله وصلبه في مشهد حواري تبعه تعقيب قرر القول الفصل في ذلك، وفي نص واضح بين الأمر اليقين في ذلك وهو عدم قتله _ عليه السلام _، بل رفعه إلى السماء، وأعقب بتهديد ووعيد يدحض افترائهم المزعزم.

❖ خلصت الدراسة في هذا المبحث إلى أن أسلوب عرض اللقطة من قصة عيسى _ عليه السلام _ بُني على جو السورة ومحورها التي سيقت لبيانه فالسورة القرآنية لوحة فنية متناسقة الأجزاء، فهي وحدة واحدة في موضوعها، وفي جوها، وفي نسقها، وفي تأثيرها ، وكذلك ليتناسب مع طبيعة الموقف ومقتضى الحال، فكل مشهد من مشاهد القصة عُرض بالأسلوب الذي يُناسبه.

فقد يجمع الأسلوب القصصي بين الحوار الذي يُسهم في خلق الحركة في القصة القرآنية فيجعل مشاهدها حية ناطقة ويُصور الانفعالات والمشاعر وخلجات النفس ، وبين سرد طُويت فيه أحداث لا يحتاجها الموقف القصصي، أوعُرضت فيه أحداث عرضاً سريعاً مجملاً لأهمية ذكرها في السياق ولكن من غير تفصيل، كمشهد ولادة مريم _عليها السلام_ الذي عُرض في سورة آل عمران ، ومشهد ولادة عيسى _ عليه السلام _ الذي عُرض في كلٍ من سورتي آل عمران ومريم.

أو يقتصر على أسلوب الحوار الذي يُصورالانفعالات النفسية والمشاعر الداخلية الوارد في سورة المائدة كالحوار الرقراق الذي دار بينه _ عليه السلام _ وبين ربه ذي الجلال والإكرام، الذي مثَل ختام قصته _ عليه السلام _ في الآخرة.

أو يعرض الحلقة كمشهد حواري لملائمة أسلوب الحوار لمقتضى الحال وداعية المقام كما في المشاهد المتعلقة ببيان نبوته ومعجزاته _ عليه السلام _، وعبوديته لله سبحانه ودعوته إلى التوحيد، الوارد في كل من سورة آل عمران ومريم والزخرف والصف، فعيسى _ عليه السلام _ رسول من عند الله سبحانه، مُقر بعبوديته له، داعٍ إلى عبادته وحده سبحانه لا شريك له.

أو يقتصر على السرد الذي يأتي كخطاب صريح دال على فحواه قاطع في حكمه ومعناه ، كالمشاهد المتعلقة بنفي دعوى التثليث الواردة في سورتي النساء والمائدة، ونفي قتل عيسى _ عليه السلام _ وصلبه الوارد في سورة النساء.

كما أن الأسلوب القصصي قد جمع بين التمهيد والتوجيه الذي يسبق القصة، والذي بدوره يهيّئ نفس المتلقي، و بين التعقيب الذي يُبين جوانب العِبرة من القصة والمغزى منها، كما في الحلقات المتعلقة بولادة ونشأة مريم عليها السلام في سورة آل عمران، وولادة عيسى عليه السلام في سورة مريم ، وعبوديته عليه السلام في سورة المائدة و سورة مريم.

أو يقتصر على التمهيد الذي يسبق القصة، كما في الحلقات المتعلقة ب ولادة عيسى عليه السلام ، ومعجزاته الواردة في سورة آل عمران.

أو يقتصر على التعقيب الذي يُبين جوانب العِبرة من القصة والمغزى منها، كما في الحلقات المتعلقة بنبوته عليه السلام الواردة في سورة المائدة وفي سورة الصف، وبعبوديته عليه السلام الواردة في سورة الزخرف، وبنفي دعوى التثليث الواردة في سورة المائدة، وبنفي قتل عيسى عليه السَّلام وصلبه الواردة في سورة آل عمران وفي سورة النساء.

الخاتمة:

الحمد لله حمداً جزيلاً، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أن أعانني على إتمام هذه الدراسة ووفقني لخدمة كتابه العزيز.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي ما يلي:

1. إن القصص القرآني وسيلةٌ من وسائل القرآن الكريم الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، والعناصر في القصة القرآنية تابعةٌ للهدف منها، وللعبرة التي سيقت من أجلها.
2. القصة القرآنية قصة واقعية تهدف إلى غرس القيم النبيلة ومعالجة النفس البشرية، فهي قصة إيمان وهدفها تربية العقيدة في الوجدان ، جزئياتها متلاحمة، أهدافها سامية، أحداثها متتابعة، أفكارها متساسلة، معانيها مترابطة، كالبنيان يشد بعضه بعضاً، مما أكسبها رونقاً وسحراً جذاباً وأعطاها جمالاً وتألقاً.
3. إن القصة القرآنية هي: الأخبار الماضية التي قصها القرآن الكريم على النبي ﷺ سواء أكانت تتعلق بالأنبياء السابقين أم بغيرهم.
4. تعددت أهداف القصص القرآني نظراً لتعدد مقاصد القرآن الكريم فمنها ما يتعلق بالعقيدة ومنها أهداف أخلاقية، ومنها أهداف تربوية، ومنها أهداف اجتماعية وكلها تسعى إلى تحقيق هدف القرآن الأصيل والذي يتمثل في هداية الناس إلى الطريق المستقيم الذي يرشدهم إلى الإيمان برب العالمين.
5. لا تكرار في القصص القرآني إذ أن التكرار الذي ننفيه (هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، ولمعنى واحد) فإذا لم يتوافر هذان الشرطان فلا يسمى تكراراً، وهذا التكرار غير موجود في كتاب الله العزيز.

6. الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية تدور حول: كشف أو بيان ما في السورة القرآنية من تماسك وارتباط وذلك بتضافر عناصرها و اتحادها لإبراز الهدف أو المقصد الذي جاءت السورة لبيانه أو التأكيد عليه.

7. علاقة الوحدة الموضوعية بالتفسير الموضوعي أنها أحدى أنواعه التي تهدف إلى بيان تماسك وتكامل عناصر السورة القرآنية ، فالتفسير الموضوعي إذا أطلق يقصد به البحث عن موضوع معين في سور القرآن الكريم ، والوحدة الموضوعية تطلق على البحث عن موضوع السورة القرآنية ومقصودها.

8. إن العلاقة بين الوحدة الموضوعية وعلم المناسبات أنه أحد الركائز التي يقوم عليها بيان الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية الواحدة ، وذلك ببيان وجوه الاتصال والاتساق بين الآيات والمقاطع في السورة الواحدة التي لا يظهر ترابطها بما قبلها ، وكذلك في سور القرآن الكريم وذلك ببيان تمام الصلة وكمال الارتباط بين السور الواردة إثر بعضها البعض والتي تبدو كبناء متسق مترابط.

9. إن السياق القرآني طريق للاستدلال على الوحدة الموضوعية إذ يعين على تحديد موضوع السورة القرآنية، كما أن الدراسة الموضوعية الإجمالية تُسهم في إبراز سير معاني السور وتناسبها.

10. إن ذكر مريم وعيسى _عليهما السلام_ في السور التي ورد فيها ذكرهما إجمالاً جاءت في سياق الحديث عن الأنبياء وأولي العزم منهم خاصة واصطفاء الله عز وجل لهم وكذلك في سياق الحديث عن وحدة الوحي والرسالة ووحدة الشرائع، وكذلك بيان وحدة الرسالة إثباتاً لوحدانية الله سبحانه بإبطال ألوهية غيره ،كما جاء ذكره _ عليه السلام _ في سياق الحديث عن طبيعة اليهود المستكبرة المعاندة الضالة عن الهُدى ، وعن عادتهم في تكذيب رسلهم وقتلهم أنبائهم استكمالاً لعرض الأسباب التي تحول بينهم وبين الإيمان بالقرآن وبرسالة النبي ﷺ ، وكذلك لبيان بطلان افترائهم في حقه _ عليه السلام _، وبيان السبب الباعث المبيح لقتال أهل الكتاب المنحرفين عن دين اللّه وهو

افتراؤهم عليه _ عليه السلام _ بنسْبتهم الولد له ، وفي سياق أخذ الميثاق من الأنبياء عليهم السلام بتبليغ الدعوة و بوجوب الإيمان بالنبي ﷺ، وفي سياق عرض نماذج لانحراف الناس عن الحق وذلك لنتجنب مثل هذا الانحراف، لتعميق قضية الإيمان في نفوس المسلمين ،وجاء ذكرها _عليها السلام_ في سياق ضرب المثل للكفار لبيان أنه لا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان ، وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الأنبياء.

11. إن تخصيص قصص الأنبياء أو غيرهم بالذكر في أي سورة لا بد له من علاقة بمحور السورة، فمشاهد وحلقات قصة عيسى _ عليه السلام _ عُرضت متلائمة مع محور ومقصد السورة التي ذُكرت فيها، فتم اختيار اللقطة من حياته _ عليه السلام _ المعبرة والمناسبة للموقف الذي تعالجه السورة ، فقصة عيسى _ عليه السلام _ ذُكرت في السور التي كانت أحداثها تدور حول قضية التوحيد ونفي الشرك والولد وإفراد الله سبحانه بالعبودية، وبيان كمال قدرته سبحانه وتعالى الدالة على التوحيد، وبيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، وكذلك بيان وحدة الرسالة ومصدر الوحي .

12. إن تخصيص القصص بالذكر في أي سورة لا بد له من وجود علاقة فيما بينهم، وأن ترتيب هذه القصص كان بناءً على توافقها في القضية أو المقصد التي سيقت لأجله ، فالقصص الوارد في أي سورة متعانق فيما بينه أشد التعانق، متآلف فيما بينه، منتظم في وحدة محكمة لا انفصام لها ، فهو إحدى الوسائل التي سيقت لإبراز وحدة السورة الكريمة.

13. إن القرآن قد سلك الكريم منهجاً فريداً في عرض قصصه، فلم يلجأ في عرض القصص إلى سرد القصة بكاملها بل انتقى منها ما يلائم المقام ومُقتضى الحال ، ولذا تم انتقاء المشاهد والحلقات تبعاً للغرض الديني طولاً وقصراً، فالقصة القرآنية مُسخرة لتحقيق الغرض الديني الذي سيقت لأجله.

14. إن أسلوب عرض اللقطة من قصة عيسى _ عليه السلام _ مبني على جو السورة ومحورها التي سيقت لبيانه فالسورة القرآنية لوحة فنية متناسقة الأجزاء، فهي وحدة واحدة في موضوعها، وفي

جوها، وفي نسقها، وفي تأثيرها، وكذلك ليتناسب مع طبيعة الموقف ومقتضى الحال، فكل مشهد من مشاهد القصة عُرض بالأسلوب الذي يُناسبه.

فقد يجمع الأسلوب القصصي بين الحوار الذي يُسهم في خلق الحركة في القصة القرآنية فيجعل مشاهدها حية ناطقة ويُصور الانفعالات والمشاعر وخلجات النفس ، وبين سرد طُويت فيه أحداث لا يحتاجها الموقف القصصي، أوعُرضت فيه أحداث عرضاً سريعاً مجملاً لأهمية ذكرها في السياق ولكن من غير تفصيل.

أو يقتصر على أسلوب الحوار الذي يُصورالانفعالات النفسية والمشاعر الداخلية ، أو يقتصر على السرد الذي يأتي كخطاب صريح دال على فحواه قاطع في حكمه ومعناه .

كما أن الأسلوب القصصي قد بين يجمع التمهيد والتوجيه الذي يسبق القصة، والذي بدوره يهيّئ نفس المتلقي، و بين التعقيب الذي يُبين جوانب العِبرة من القصة والمغزى منها، أو يقتصر على التمهيد الذي يسبق القصة، أو يقتصر على التعقيب الذي يُبين جوانب العِبرة من القصة والمغزى منها.

15.إن من فوائد قصة عيسى غليه السلام:

أ. أن النذر مشروع ما دام في طاعة الله سبحانه قال ﷺ : **(من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه)**.[1]

ب. أن من نعمة الله سبحانه على العبد أن يكون في كفالة الصالحين الأخيار فإن المربي الصالح له الأعظم في حياة المكفول وأخلاقه وآدابه ومن ذلك تيسر الله سبحانه وتعالى الوالدين الصالحين

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة {وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار} ، حديث رقم 6318، وهذا الحديث روته عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ.

اللذين يربون أولادهم التربية الصالحة التي تعين الأبناء على السير على الطريق الموصلة لطاعة الله سبحانه ودخول جنته.

ت. إثبات كرامة الأولياء فالله تعالى كرَم مريم _عليها السلام_ بأمور متعددة ، كفلها زكريا ، ورزقها رزقاً وفيراً فريداً، ووهبها عيسى _ عليه السلام _، واصطفاها وجعلها من القانتين.[1]

التوصيات:

توصي هذه الدراسة ما يلي:

1. توجيه طلبة الدراسات العليا وحثهم على القيام بدراسات تطبيقية للبحث عن العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسور القرآنية والقصص الوارد فيها .
2. توجيه الباحثين نحو تنقية القصص القرآني مما علق به من الاسرائيليات والأساطير والخرافات.

[1] يُنظر السعدي،عبد الرحمن بن ناصر، مصابيح الضياء من قصص الأنبياء من تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، تحقيق عيسى بن محمد القرعاني، ط2، 2002، ص59-60.

قائمة المصادر والمراجع:

- الآلوسي، محمود أبو الفضل،(د،ت)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- الألمعي، زاهر بن عواض،(1995) **دراسات في التفسير الموضوعي**، (د، ن)، (د، ط) الرياض.
- البخاري، محمد بن إسماعيل،(1987)، **صحيح البخاري** ، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير.
- البستاني، محمود،(2001)، **التفسير البنائي للقرآن الكريم**، بيروت: دار الهادي.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (1997)، **معالم التنزيل**،(ط4)، تحقيق محمد عبد الله النمر ، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر،(1987)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور** ، تحقيق عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر،(1995)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، بيروت: دار الكتب العلمية.
- البوطي، محمد سعيد رمضان،(1966)، **من روائع القرآن تأملات علمية**، (ط1)، مؤسسة الرسالة.
- البيومي، محمد رجب (1971)،**البيان القرآني**، دار النصر للطباعة .
- الترمذي السلمي، محمد بن عيسى،(د،ت)، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- التهامي، نقرة،(1971)، **سيكلوحية القصة في القرآن**،الشركة التونسية للتوزيع.
- ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم، (1984)، **دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية** ،(ط2) ، تحقيق محمد السيد الجليند، دمشق: مؤسسة علوم القرآن.

- ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم،(1961)، **مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية**، الرياض : دار عالم الكتب.
- التنير، محمد بن طاهر،(1993)، **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، بيروت: دار عمران.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(1968) ،**الحيوان**، (ط1)، سورية: مكتبة محمد حسين النوري.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(1987)، **دلائل الإعجاز** ، تحقيق محمود محمد شاكر، مصر: مكتبة الخانجي.
- الجرجاني، علي بن محمد(1969) ، **التعريفات**، مكتبة لبان، بيروت.
- ابن جماعة، محمد بن إبراهيم،(1990)، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، تحقيق عبد الجواد خلف، (ط1)، المنصورة: دار الوفاء.
- حجازي، محمد محمود،(1970)، **الوحدة الموضوعية في القران الكريم** ، (ط1) القاهرة: دار الكتب الحديثة.
- الحديد، روان فوزان مفضي،(2010)، **السياق القرآني في تفسير أبي السعود العمادي** ، رسالة ماجستير،غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن، عمان.
- حسن، محمود السيد، (1981)، **روائع الإعجاز في القصص القرآني** ،،(ط1)،المكتب الجامعي الحديث .
- ابن حنبل ، أحمد أبوعبد الله الشيباني،(د،ت) ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، القاهرة: مؤسسة قرطبة.
- حوى، سعيد(1985)، **الأساس في التفسير**، ط1، دار السلام .
- أبو حيان ، محمد بن يوسف، (2001) ، **البحر المحيط**، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، (ط 1)، لبنان: دار الكتب العلمية .

- خالد، عمرو، (2004)، **خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن**، الدار العربية للعلوم.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1997)، **التفسير الموضوعي بين النظرية التطبيق**، (ط1)، الأردن: دار النفائس.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح،(1998)، **القصص القرآني عرض أحداث وتحليل وقائع**، عمان :دار القلم.
- الخطابي،أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم(2008) **رسالة البيان في إعجاز القرآن** ، (ط5)، القاهرة: دار المعارف.
- الخطيب الاسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني،(2001)، **درة التنزيل وغرة التأويل** ،تحقيق محمد مصطفى آيدين، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
- الخطيب، عبد الكريم،(د،ت)،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه** ، دار المعرفة.
- خلف الله، محمد أحمد،(1965)، **الفن القصصي في القرآن الكريم** ، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الدالي، محمد،(2002)، **الوحدة الفنية في القصة القرآنية**، (ط1) ، مون للطباعة والتجليد.
- دراز، محمد بن عبد الله،(1960)، النبَأ العَظِيم نظراتٌ جَدِيدَة في القرْآن الكَرِيم ، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية قدم له :عبد العظيم إبراهيم المطعني ، الكويت: دار القلم.
- الدغامين، زياد خليل،(2007)، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**،(ط1)، دارعمار.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث،(د،ت) ، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- الذهبي ،محمد بن أحمد بن عثمان،(2001)، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة.
- الرازي، فخر الدين،(1995)، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (ط1)، دار إحياء التراث العربي.

- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد،(1995)، **المفردات في غريب القرآن**، (ط1) ، دار المعرفة .
- الرافعي، مصطفى صادق،(1997)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** ، (ط1)، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان.
- الرافعي، مصطفى صادق ،(1974)، **تاريخ آداب العرب**،(ط2)، بيروت: دار الكتاب العربي.
- رحماني، أحمد(1998)، **مصادر التفسير الموضوعي**،(ط1)، القاهرة: مكتبة وهبه.
- رضا ، محمد رشيد بن علي (1990) ،**تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** ،الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى،(1991)، **رسالة النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، (ط4)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، دار المعارف .
- ابن الزبير الغرناطي،أحمد بن ابراهيم(ط1)،**البرهان في تناسب سور القرآن**، تقديم سعيد بن جمعة الفلاح، الدمام: دار ابن الجوزي.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله،(1984)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار التراث.
- الزمخشرى محمود بن عمر ،(د، ت) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- أبو زهرة ، محمد ،(د،ت). **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي.
- أبو زهرة، محمد،(1966)، **محاضرات في النصرانية**، (ط3)، دار الفكر العربي.
- الزيات ،أحمد وآخرون،(د،ت)،**المعجم الوسيط**،(ط2)، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار إحياء التراث العربي.

- السامرائي، فاضل صالح،(1999)، **لمسات بيانية في نصوص التنزيل**، دار الشؤون الثقافية العامة.
- السامرائي، فاضل صالح،(2006)، **التعبير القرآني**،(ط4)، دار عمار.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر،(2000)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**،(ط1)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.
- السعدي،عبد الرحمن بن ناصر ،(2000) **مصابيح الضياء من قصص الأنبياء من تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**(ط2)، تحقيق عيسى بن محمد القرعاني، ، مؤسسة الرسالة.
- أبو السعود العمادي، محمد بن محمد،(د،ت)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- السمين، أبو العباس أحمد بن يوسف الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**،(1994)، تحقيق علي بن محمد معوض، بيروت دار الكتب العلمية.
- سندي، أ.د فؤاد بن محمود بن محمد،(2009)، **لمسات من إعجاز كلام الله في سيرة كلمة الله السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام** ، (ط1)، مكة المكرمة: دار الصفا.
- السيوطي،جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر، (1996)،**الإتقان في علوم القرآن**،(ط1) ، تحقيق : سعيد المندوب، لبنان :دار الفكر.
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري،(1976)، **أسرار ترتيب القرآن**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، جدة: دار الاعتصام.
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري (1994)، **قطف الأزهار في كشف الأسرار**،(ط1) تحقيق أحمد بن محمحد الحمادي، قطر:وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري (1969، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**،)، تصحيح أحمد شمس الدين، القاهرة: دارالفكر.

- الشرقاوي ،أحمد محمد،(2007)، **التفسير الموضوعي لسورة مريم**، دار السلام.
- الشرقاوي، أحمد محمد،(2000)، **المرأة في القصص القرآني**، (ط1)، دار السلام.
- الشعراوي، محمد متولي،(1991)، **تفسير الشعراوي**، تحقيق أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم .
- شلتوت، محمود،(1982)**تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى**،(ط9)، القاهرة: دار الشروق.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(1995)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت: دار الفكر .
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1953) ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير**، لبنان: دار الفكر.
- شيخ أمين ، بكري ،(1994) **التعبير الفني في القرآني الكريم**، (ط1)، بيروت: دار العلم للملايين.
- الصديق، محمد الصالح،(2004)، **مقاصد القرآن**، (ط1)، دار الفجر.
- أبو صفية، عبد الوهاب أبو صفية،(1989)، **دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم** ، (ط1)،عمان،(د،ن).
- طبارة، عفيف عبد الفتاح،(1965)، **اليهود في القرآن**،(ط1) دار العلم للملايين.
- الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن(1961)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، بيروت: مكتبة دار الحياة.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،(2000)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (ط1)، تحقيق أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر(1984)، **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
- عامر، فتحي أحمد،(1976)، **المعاني الثانية في الأسلوب القرآني**، الإسكندرية :منشأة المعارف.
- عباس ، فضل حسن،(2010)، **قصص القرآن الكريم**، (ط3)،دار النفائس.

- عبد الرحيم، عبد الجليل ،(1992)، **التفسير الموضوعي للقرآن في كتفي الميزان**، عمان،(د،ن).
- عبد المطلب، رفعت فوزي،(د،ت)، **الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية** ، (ط1)، القاهرة: دار السلام.
- عبده، إبراهيم محمد بلبول،(د،ت)، **القصص القرآني**، رسالة دكتوراه في التفسير،غير منشورة، جامعة الأزهر الشريف، مصر، القاهرة.
- العدوي،محمد خير محمود،(1988)، **معالم القصة في القرآن الكريم**، عمان: دار العدوي.
- ابن العربي، أبو بكر محمد،(د.ت)، **أحكام القرآن**، تحقيق محمد على البجاوي. بيروت: دار المعرفة.
- عرفات ،عمر علي حسان،(2009)، **منهج القرآن في عرض القصص قصة موسى عليه السلام أنموذجاً**، رسالة ماجستير ،غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن ،عمان.
- العسكري، أبو هلال،(1981)، **الفروق اللغوية**، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي،(1993)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، (ط1)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، لبنان :دار الكتب العلمية .
- العمري،أحمد جمال، (1986)، **دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني**، (ط1)، مكتبة الخانجي.
- عوضين، إبراهيم،(1985)، **البيان القصصي في القرآن الكريم**،(ط1)، القاهرة: مطبعة السعادة .
- أبو غالية، إبراهيم خليل،(2001)، **خصائص التعبير البياني في سورة آل عمران**، رسالة ماجستير ، غير منشورة، جامعة القدس، القدس، فلسطين.
- الغزالي، محمد، **نحو تفسير موضوعي**،(1993)، القاهرة: دار الشروق.

- الغزالي،محمد، **نظرات في القرآن،(د،ت)** ط5، دار الشروق.
- الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير(1993)، **البرهان في ترتيب سور القرآن، (ط1)،** تحقيق محمد شعباني، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف.
- الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير(1985)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل،** تحقيق محمود كامل، بيروت: دار النهضة العربية.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا،، (د،ت)، **معجم مقاييس اللغة،** (ط1)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل.
- الفراهي، عبد الحميد الهندي(1969)، **دلائل النظام،**(ط1)، المطبعة الحميدية.
- الفرماوي، عبد الحي (1989)، **مقدمة في التفسير الموضوعي أو البداية في التفسير الموضوعي،** (ط4)، (د، ن).
- الفيروابادي، محمد بن يعقوب(د، ت)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، تحقيق محمد علي النجار، بيروت : المكتبة العلمية .
- الفيروز أبادي، مجد الدين يعقوب ين محمد بين إبراهيم بن عمر الشيرازي، (د،ت)، **القاموس المحيط،** تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.
- القرطبي،محمد بن أحمد الأنصاري(2003) ، **الجامع لأحكام القرآن،** تحقيق هشام سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب.
- القاسمي، جمال الدين بن محمد بن سعيد(1994) ، **محاسن التأويل** ، تحقيق محمد فؤاد الباقي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
- قطب سيد ، (1956)، **التصوير الفني في القرآن** ، دار المعارف.
- قطب، سيد، (2005)، **في ظلال القرآن،** (ط35) القاهرة: دار الشروق .

- قطب، محمد،(1980)، **دراسات قرآنية**، (ط2)، دار الشروق.
- قطب، محمد، القصة في القرآن،(2001)، **مقاصد الدين وقيم الفن** ، القاهرة: دار قباء.
- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب (1968)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- ابن القيم الجوزية ،محمد بن أبي بكر بن أيوب،(د،ت)، **بدائع الفوائد**، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد .
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (1999)، **تفسير القرآن العظيم**، (ط2)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر(1976)، **أسرار التكرار في القرآن**،(ط2)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام .
- الكومي، أحمد السيد والقاسم، محمد أحمد يوسف(1980)، الكومي، أحمد السيد، (ط 1)،**التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، القاهرة: دار الهدى للطباعة والنشر.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (د،ت)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت:دار الفكر.
- المثنى،عبد الفتاح محمود،(2008)، **نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية** ، عمان: دار وائل.
- مسلم، أبوالحسين بن الحجاج القشري ،(1954)،**صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- مسلَم، مصطفى، (د،ت)، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، (ط1)، دمشق: دار القلم.
- مطاوع، أ.د سعيد عطية علي،(2006)،**الإعجاز القصصي في القرآن**، (ط1)، دار الآفاق العربية.

- المطعني،عبد العظيم إبراهيم ،(1992)، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** ، ط1، مكتبة وهبة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،(د،ت)، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي.
- الميداني، عبدالرحمن،(1980)، **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل** ، ط1، دار القلم.
- ابن نبي، مالك،(1985)، **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر.
- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن،(2010)، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، إشراف مصطفى مسلم، جامعة الشارقة.
- النصيرات، جهاد محمد فيصل،(2009−201)، **منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية تأصيل ونقد**.
- نصيرة، بلحسني،(2006)،**الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجاً دراسة جمالية**، رسالة ماجستير،غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
- النقراط، عبدالله محمد،(2002،) **بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم**، (ط1)، دار قتيبة.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،(1992)، **المكتوبات**، (ط2)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،(د،ن).
- الهلالي، محمد تقي الدين، (1972)، **البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية**، مطابع دار الثقافة، مكة – الزاهر.
- ويل، ديورانت،(1965)، **قصة الحضارة** ، ترجمة زكي نجيب، القاهرة: جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية.

THE RELATION BETWEEN THE THEMATIC UNITY OF THE CHAPTER AND THE STORIES MENTOINED IN IT THE STORY OF MARY AND JESUS AS SAMPLE

by

Ghadeer Adnan Hussein Jaber

Supervisor

Dr. Jihad Muhammad Faisal Nuseirat

ABSTRACT

This study examined the relationship between the thematic unity of the Al-Quran and stories contained therein in order to talk about the relationship between receipt of scenes and episodes from the story of Maryand Jesus as Sample talk about the relationship between receipt of scenes and episodes from the story of Mary and Jesus, peace is upon them and the thematic unity of the fence by a male in it.

The Study in the introductory chapter talked about introductions on Quranic stories and thematic unity which she: the concept of Quranic stories and objectives and the methodology of the Holy Quran in his presentation, and offered as well as the meaning of unity of objectivity and its relationship Interpretation of substantive, and the relationship between the unity of objectivity and science events and the Quranic context, and The importance of studying thematic unity.

In the first chapter to talk about the relationship between the thematic unity in the wall, which states said Mary and Jesus, peace be upon them and the selection and arrangement of Quranic stories contained therein, in the wall which it is stated the

tow stories signal or total, and the wall which it is stated the tow stories detail, and showed that the tow stories and Reported in the wall that were events revolve around the issue of monotheism and polytheism and denied the child and members of God to slavery, and the statement of l Almighty ability to function, uniformity, and the statement of God's mercy towards His slaves the faithful, as well as the statement of the unity of the message and the source of revelation.

In the second chaptet the study showed the relationship between the thematic unity in the wall, which states said Mary and Jesus, peace be upon them and choose the presentation of this story, and concluded that the presentation of the story of Mary and Jesus, peace be upon them relied on the unit Sura where the male.

The conclusion has shown the most important findings of this study.